



١٩١٨ - ١٩٢٠

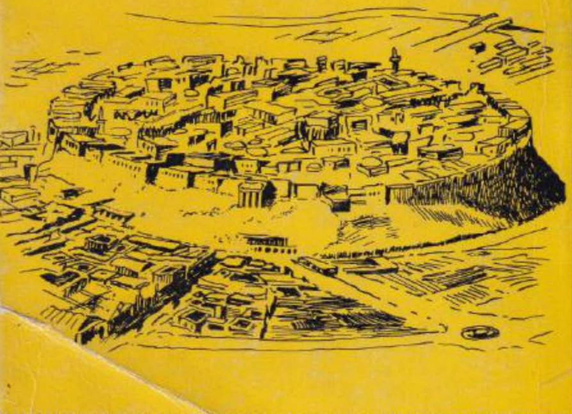
تأليف

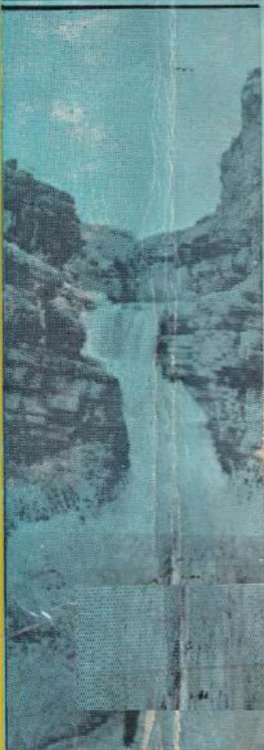
دبليو . آر . هَيْ

(حاكم أربيل السياسي أيام الاحتلال البريطاني الدابر)

ترجمة

فؤاد جميل







سنتان في كردستان

١٩١٨-١٩٢٠

تأليف

دبليو. آر. هي

حاكم اربيل السياسي

(ايام الاحتلال الانكليزي)

نقله الى العربية ، حققه ، وعلق عليه

فؤاد جميل

الجزء الاول

من الفصل الاول الى الفصل الثاني عشر

الطبعة الاولى

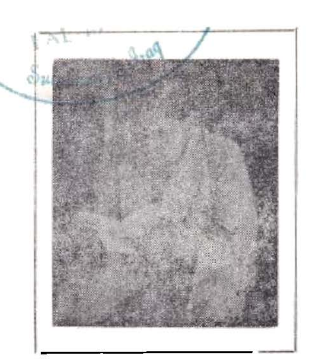
١٣٩٢ هـ - ١٩٧٣ م

انجز طبع الكتــاب على مطابع الـ (الجـاحظ) ببغــــداد

و

باتفاق شقيق (المتــرجم) الخــاص

١٣٩٢/٢٢٠٠ – ١٩٧٣



الأهداء

شقيقي فؤاد

نم قرير العين مطمئنا ، فلقد أخذت على عاتقي ما كنت تطمح به وتأمله ، فأنتاجك المتدفق من ترجماتك أخذطريقه للنشر كما لو كنت حيا ، وأصطفيت منها اليوم هـذا الكتاب ، وستتلوه أن شاء الله ترجماتك الأخـرى ... مسخرا بسبيل العهد الذي قطعته على نفسي كل ما املكه من جهد ومـال .

« واوفوا بالعهد أن العهد كان مسؤولا » .

جهاد جميل
شقيقك



المؤلف في سطور

● النقيب دبليو . آر . هي . وقد سما به سلم الرتب فاصبح (سر روبرت هي) .

● هو اول مساعد حاكم سياسي عين في اربيل التي كانت خاضعة الى الموصل ، ثم غدا حاكما سياسيا بعد رفع درجة اربيل الى محافظة .

● هو الذي اسس ادارة الاحتلال في اقضية كوي ورانية وبشدر . كان القضاءان الاولان مرتبطين بكركوك على حين كان بشدر مرتبطا بالسليمانية ايام الاتراك .

● طبع كتابه « سنتان في كردستان سنة ١٩٢١ في لندن » .

مقـــدمة (المؤلف)

في الصفحات التاليات ، وحيث امكن ، اتبعت الطريقة المعتبرة في الترسم(١) بقدر تعلق الامر باسماء الاماكن العربية والفارسية . على ان الضرورة قضت باجراء شيء من التغيير ، بقـدر تعلق الامر بالاســماء التركية والكردية . ذلك ان تهجئة (كوي : KEUI) وردت ، على هذا الشكل اطرادا بدلا من التهجئة الاكثرغلبة : . انها ايسر على النطق الحق واقرب .

لم يدرج ســرد (المراجع) ، والكتابان الوحيدان ، فيما خلا الكتب المعتادة التي استشيرت ، اللذان ذكراهما :

كتاب : سي . جي . ريج الموسوم : C . G . RICH'S RESIDNCE

ثواء في كردستان ١٨٣٦ IN KCORDISTN. 1836

وكتاب القدم اي.بي.سون الموسوم :

MAJOR E . B . SOANE, S

رحلة متنكر الى بلاد ما بين النهرين وكردستان ١٩١٢(٢)

TO MESOPCTAMIA AND KURDISTAN

وانك لتجد ((ملحقين اثنين)) في آخر هذا (الكتاب) ، في احدهما سر موجز للنظام الاداري في الانبراطورية التـركية ، وفي الثاني فذلكة بالحوادث التي وقعت في (بلاد ما بين النهرين) من الهـدنة التـركية ، المعقودة في تشرين الاول ١٩١٨ ، حتى نهاية سنة ١٩٢٠ .

ويطيب لـ (المؤلف) التنويه بالعون الذي اسداه له ، اولا (ســر اي.تي.ويلسون)(٣) ، اذ لولا تشجيعه لما الف هذا الكتاب قط . وثانيا

---

(١) آثرناها ترجمة (TRANSLITERATION) ؛ وقـد تترجـم بـ (تحرف) ايضا والمراد منها كتابة (كلمة) في لغة ما باحرف لغـة اخـرى . (المترجم) .

(٢) نقلناه الى العربية وقدمنا له وحققناه وعلقنا عليه ونشـرناه بهـذا الاســم . (المتـرجم)

(٣) هو الذي كان يعرف بـ (وكيل الحاكم الملكي العام في العراق) ، ايام الاحتلال البريطاني له . وكان لـ (المؤلف) ، باعتداده حاكما سياسـيا ، رئيـا ، وقد قمنا بنقل كتابه الموسوم :

MESOPOTAMIA, CLASH OF LOYALTIES

الى العربية ، وقدمنا له وحققناه وعلقنا عليه ونشرنا الجزء الاول منه سنة ١٩٦٩ والجزء الثاني في سنة ١٩٧١ واسميناه (بلاد ما بين النهرين .. بين ولاءين) (المترجم) .

الى (النقيب رندل) ، اذ من بين افضال له كثيرة فضــل الموافقة على تصويب تجاريب الطبع . وانه لمدين الى (النقيب كرك) كثيراً لسماحه باستنساخ طبعات من تصاويره الرائعة المتصلة بمنطقة رواندوز . ومن اسف ان لم يكن في الامكان الا الافادة من قلة من تلكم التصاوير الممتازة التي صورها في ذلك الجوار .

وان ما جاد به كل من (المقدم نويل) و (النقيب ملر) لامر يحمل على الشــكران ، وعلى التخصيص التصـــوير الذي صــوره الاخيــر لـ (حمه آغا) .

وثمة قلة من التصاوير ليس (المؤلف) على يقين مــن الــذي هو مدين بها اليه ، وانه ليعتذر عن الافادة منها من غير اذن الصور نفســه . و (المؤلف) ينشد الافصاح عن شكره الى (الآنسة سيبيل ابرام) لقراءة مخطوطته ، التي لاسبيل الى تبينها تقريبا وطبعها على الآلة الكاتبة ، والى الناشرين لرعايتهم العاطفية ، التي تجلت بلزائه ، أبان تعامله معهم .

« دأبت دوماً على الجري على عرق من العــادات البلدية (المحلية) ، وذلك بقدر ما يرتضيه ضميري ويسمح بــه شرف بلادي .

(ريج) في كتابه الموسوم ب (ثواء في كردستان)

الفصـــل الاول

تمهيـــــد

« السفر في الصغر من التربية شطرا وفي الكبر من التجربة شطرا »

بيكون BACON في مقالات [1]

سنحت الفرصة خلال الاجيال الحديثة ، لقلة من الناس نسبيــا فارتادت الاماكن الموحشة المجهولة ، وعاشت مــن كثب مع القبــائل الغريبه غير المعروفة . وعلى الرغم مما تحفل به الحياة الحـديثة مــن جذب وتأثير ، فان كثرة منا ، في انكلتره ، لا تزال تشعر بحوافز الروح الـ (اليزابيثية) ــ اعني : نداء البحر غير المسلوك وسحر كل ما هو طريف وعجيب .

وان من سنحت له الفرصة السنيه فجاس في بقاع لم يطرقها احد من قبل ، وشهد ما لم يشهده احد من قبل ، العذر ان تفجرت تجاربه فسعى الى وصف ذلك لصالح رفقته فامســك بالقلم وخط به ، وان لم يكن كاتبا مؤهلا له ابدا .

ذلك هو ، اذن عذر (المؤلف) في تحرير هذا الكتاب . وهو كتاب لا ينطوى على لوذعيه ، ولا على حصافة ولا على تفكير متعمق . انــه سرد (معجب) بما رأى وما تم . لقد سعد (المؤلف) ، خلال السنوات الاخيرة ، بالخدمة في (الادارة المدنية في بلاد ما بين النهــرين)[2] ، وكان ذلك في اقسام قصية منها ، على التقريب ، دوما .

وعلى الرغم من ان (بلاد ما بين النهرين) لم تمسح بعد ، لكنــها

---

(1) BACON : (ESSAYS) (المؤلف)

(٢) جهاز اداري مدني اقامته الحكومة البريطانية في اثناء مــدة احتلالها العراق وكان المؤلف من الضــباط الذين انتظموا فيه . (المترجم)

كانت،وبالنظر الى جل الناس،ارضامجهولة FERRA INCOGNITA
كانت بغداد عاصمة ارض قصص الجان • وكنا
نصور الاعراب ، وهم يهمزون جيادهم الجامحة على الافياف[٣] ، التي
تعدم اي مسار •

[والخيل ساطعة الغبار كأنه اجم يحرق او رعيل جراد*]

على حين لم نكن قد سمعنا بالاكراد ابدا ، او اننا سمعنا بهم
باعتبارهم قطاع طرق ، من اشد الناس تبديا •

وبتقدم الجيش من البصرة الى داخل البلاد ، شرع بارسال
(الحكام السياسيين) الى المراكز المهمة ليخدموا باعتدادهم وسطاء بين
(السلطات العسكرية) وبين الاهلين • وبعقد (الهدنة) غدت الاعتبارات
العسكرية اقل اهمية ، واصبحت الادارة واعلاء شأن القانون
واستتباب الامن والنظام بين العشائر اهدافنا الرئيسة في (بلاد ما بين
النهرين) • وبدأت (الدائرة السياسية) التي كان لها مقام ثانوي
فيما مضى ، تباري (المقر العام) وتنتص ، معجلة وتباعا ، دوائر
اخرى منها : (دائرة الارواء) ودوائر البريد والبرق والسكك
الحديد • ومهما يكن من امر ، وحتى مقدم (سر برسي كوكس) في
ايلول سنة ١٩٢٠ كان لـ (القائد العام) المقام الاسنى ، وبقيت (بلاد
ما بين النهرين) ، اثر الهدنة ، ولاتزال : « على حالة حرب » •

وشنت ، خلال السنة الاخيرة ، حملات كثيرة على (الادارة
المدنية في بلاد ما بين النهرين) ، لكن ليس من وكدنا ، هاهنا ، ان
نعلق عليها • اذ من اهم اهداف (كاتب هذه السطور) في (كتابه)
هو تجنب كل شيء يحتمل الجدل • وبشأن ما اذا كانت لتلكم الهجمات
ما يبررها ، اولا ، فلن يجود برأي ما • كما انه لن يحاول اقتفاء

(٣) الافياف والواحد منها (فيف) وهو البرية الواسعة . (المترجم)
• اضافة منا ، اقتضاها السياق ، ولاتخرج عن الاصل اردنا بها جمال
المبنى واشراقة المعنى . (المترجم)

اسباب الاضطرابات الحالية ايضا[٤] ، وفوق كل ذلك انه ليتمنع عن تثبيت معتقداته الغرة بشأن افضل سياسة تتبع في مقبل الايام ، ان كل ما يصبو اليه هو حمل (قرنه) ، الى بلد قصي ، ليشاركه فيه مسراته النابعة عن اشياء غريبة ، والتحدث مع اناس امرهم عجب ، والعيش معهم ، خلل مغامرات وساعات اهوال ، وعلى ما حظى به هـو تجربة وخبـرا •

ومن اللائق ، هاهنا ، ذكر (سر ارنلد ويلسون) الذي رأس (الادارة المدنية في بلاد ما بين النهرين) ، من اذار سـنة ١٩١٨ حتى ايلول سنة ١٩٢٠ ، وذلك ابان عهد توسعها الاعظم ، وحتى العهـد الذي منيت به بمصاعب كبرى • كان (سر ارنلد ويلسون) الى كونه (الرئيس الاعلى) ، تكتب هذه السطور ، ولمن عمـل في (الدائـرة السياسية) جميعا ، صديقا شخصيا ، ومحررا لجميـع جهودنا ، ومطامحنا ، وباعثا لا معدى عن اذ قلة من الرجال تستطيع ان تستلخص عملا راغبا عظيما ممن يعملون في امرتها ، ومما يساوره من ريب ايضا ان يكون ثمة رجل يحمل وزر مثل هذا العمل ويضـطلع بتبعة ، على غرار ما حمله واضطلع به شخصيا او ان يجبه مثل ذلك القـدر مـن الصعوبات بروح من الشعار الذي كتب على جدار مكتبه[٥] •

كانت (بلاد ما بين النهرين) ، او (العراق) وهو اسمها المحلي تنقسم ، فيما بعد (الهدنة) ، ولمقاصد ادارية ، الى ١٣ وحدة اداريـة رئيسة ، كل وحدة منها تحت (حاكم سياسـي)[٦] مسـؤول تجـاه (المفوض المدني في بغداد) مباشرة • وكل وحدة رئيسة منها كانـت

(٤) يريد اندلاع (ثورة العراق سنة ١٩٢٠) المشـرفة بازاء الاحتـلال البريطاني البغيض •

(٥) « في الاصل وهو لاتيني » :

AEQUAM MEMENTO REBUS IN ARDUIS SERVARE MENTEM

(المترجم)

(٦) كان يطلق عليه POLITICAL OFFICER وعلى من في امرته ASSISTANT POLITICAL OFFICER (المترجم)

تضم (وحدة تابعة) او (وحدتين) بأمرة (مساعد حاكم سياسي) مسؤول تجاه (الحاكم السياسي) في مقر الوحدة الرئيسة . كان لـ (مساعد الحاكم السياسي) ، في جميع المناطق المحتلة حديثا استقلال عظيم ، عادة . ولم يأخذ (الحاكم السياسي) بممارسة واجب السيطرة الا حين تبلور العمل الرتيب (الروتين) . وكانت (الوحدة الادارية) على العموم تقابل الـ (اللواء) التركي القديم ، و (الوحدة التابعة) تقابل الـ (قضاء). وكانت مساحة (الوحدة الادارية) تتراوح بين ٢٠٠٠ ـ ٦٠٠٠ من الاميال المربعة ، وسكانها بين ١٠٠ الف و ٢٠٠ الف نسمة . وكان يعين في جميع مراكز الوحدات الادارية ، وفي بعض التابعات منها ، ضباط بريطانيون يعنون بشؤون المجندين الـ (ليفي : LEVIES) البلديين والدرك الـ (جندرمة) . لقد كان هؤلاء مسؤولين شطرا تجاه (مفتش المجندين في بغداد) ، وشطرا تجاه (الحاكم السياسي) . وكان ثمة جرائحي (طبيب مدني) في مراكز الوحدات الادارية كلها ، وهو من كان يعني بصحة الاهلين فيها . وكان للشؤون التربوية وللعدل والزراعة موظفون ، وغيرهم من الاختصاصيين ، يستقرون في قلة من المدن الكبرى . وكانت القطعات العسكرية موجودة في مراكز الوحدات الادارية فيما خلا وحدة او وحدتين . ومهما يكن من امر ، فأن (مساعدي الحكام السياسيين) كان يطلب اليهم ، غالبا ، العيش في الاماكن النائية ، عيشة منعزلة ، وليس معهم الا كاتب واحد احتمالا .

وكانت واجبات (مساعدي الحكام السياسيين) جمة شتى . والرئيسة منها هي على مايلي السطر :

اولا : اعلاء شأن القانون ، واستتباب الامن ، والحفاظ على ذلك وكان يتناجد[٧] معه في ذلك : (الدرك) .

ثانيا : الحصول على معلومات شاملة عن جغرافية المنطقة ، وطبيعة القبائل القاطنة فيها ، وتكوينها وعاداتها . وهذا يعني القيام بتجوال واسع المدى .

---

(٧) تناجد اى تعاون (المترجم)

ثالثا : اشاعة العدل غير المتحيز ، وهو واجب عسير بالنسبة الى هاو في بلد ذي نظام قانوني غريب ، وان قام (مساعدو الحكام السياسيين) بصنيع حسن ، تهديهم في ذلك فطنتهم الخاصة .

رابعا : جباية الضرائب . ان واردات البلاد كلها ، على التقريب مستمدة مما تنتج الارض ، ولقد تطلب ذلك الاهتمام بما تجري عليه الزراعة البلدية من عرق ودراستها .

خامسا : جباية رسوم البلديات والعناية بحفظ الصحة والتحسينات البلدية . لقد نيطت هذه الواجبات اخيرا ، وجزئيا ، بالمجالس البلدية. كما كانت تقع على عاتقه واجبات ثانوية ، ذلك ان من شأنه الاهتمام بكل ما يتصل برعاية الاهلين الذين في امرته . وان وجدت قطعات عسكرية في منطقته كان من واجبه اسداء جميع المساعدات الممكنة الى السلطات العسكرية ، لاسيما ما اتصل منها بشراء المنتوجات المحلية واعداد العمال . وفي الوحدات الصغيرة ، كان من واجب (الحاكم السياسي) ، بالاضافة الى الاشراف على اعمال (مساعدي الضباط السياسيين) في المناطق الخارجية ، يقوم هو باعمال (مساعد الحاكم السياسي) في مقر منطقته .

وقبل (الهدنة) ، حين كانت الاعتبارات العسكرية تحول دون تخويل امثال هذه الصلاحيات الى السلطات المحلية ، كان (مساعد الحاكم السياسي) هو (السلطة المدنية المحلية) الفذة . وبعد (الهدنة) ، وفي كردستان على وجه اخص ، بذل كل جهد لتعليم الناس كيف يحكمون انفسهم بانفسهم ، لكنه كان يعتد ، بسبب من الترحيب الحار الذي لقيته السلطات البريطانية ، حاكما اختارته العناية الالهية ليجد حلا للمشكلات جميعا .

أن سلطاته القضائية ، على انها محدودة بالحكم لمدة سنتين مع الاشغال الشاقة وفرض غرامة مقدارها ٢٠٠٠ من الروبيات ، كانت كافية وافية بالنسبة لكل قضية كان يعالجها تقريبا . لقد كان في الامكان توسيعها باذن من (المفوض المدني)[٨] ، في ظروف خاصة . فاهل

الشرق ، والاكراد المبتدون منهم في الدرجة الاولى غير مكيفين الى الانماط الديمقراطية الحديثة في الحكم طبعا ، وقد يبدو للبعض غريبا على الرغم من ذلك ان يقال : انه كلما كان حكم (مساعد الحاكم السياسي) مباشرا كلما كان هو على العموم حبيبا الى قلوب الناس اثيرا ، وبالنسبة الى الاماجد البلديين من ذوي العقول الحصيفة خصيصا • ولم يكن ليجتوى وجوده احد غير اولئك الزعماء التقليديين الذين اعتادوا على « شراء العدل » في الازمنة التركية حصرا •

وكان يعاون (مساعد الحاكم السياسي) عادة ، كاتب بريطاني ومحاسب هندي • وكانت بقية الموظفين من المعينين بشؤون الواردات والعدل والكتاب البلديين،وغيرهم ، يستخدمون محليا • وكان الكتاب البريطانيون يستعارون من (الجهة العسكرية) اصلا ، وبعد (التسريح) منحوا عقدا مدنيا امده يتراوح بين سنة وثلاث سنوات مددا • انهم رجال كانوا يعنون بأهل البلاد عادة ، ويعرفون في الاقل ، لغة واحدة من لغاتها • لقد كانوا بالنسبة للضباط الذين كانوا في امرتهم عونا كبيرا جدا • وكان الموظفون الهنود يجندون في الهند • وسرعان ما حصلوا على معرفة تتصل باللغى البلدية ، وابدوا ، على التقريب ، سدادا مطردا في معاملتهم مع الاهلين • لقد اعجب بهم الناس ، جميعا ، لاخلاصهم وذكائهم ، ولم اسمع عن شكوى قدمت بازائهم ، الا على الندرى • وفي الاحايين ، ولدى غياب (مساعد الحاكم السياسي) ، كان عليهم تبوأ مناصب على حظ من خطر وذات تبعات كثيرة ، وفي اكثر الحالات كانوا مسرين في مراكزهم بشدة •

وما كان يحتاج ، في ايام (الاحتلال) الاولى ، الا الى قلة من الضباط لتنظيم (الادارة) في البلاد ، وكان جلهم من المنتسبين الى

---

(٨) كان يسمى بـ (الحاكم الملكي العام) ايضا ، وقد شغل المنصب هذا اولا سر برسي كوكس ، ثم اصبح سر ارنولد تالبوت ويلسون (وكيل الحاكم الملكي العام) وبهذا العنوان كان يوقع بياناته ويصدر القوانين والانظمة الصريبة • (المترجم)

(الدائرة السياسية في حكومة الهند) او (سلك الخدمة المدنية الهندية) • طبيعي ان يكون العدد الميسور من رجال هذين (المسلكين) محدودا • وبعد احتلال بغداد ، في اذار ، وعندما توسعت الارضون الخاضعة للادارة البريطانية سريعا ، عدت استعارة الضباط من السلطات العسكرية امرا محتوما • أن هؤلاء الضباط ، في الاغلب الاعم ، اصطفاهم (سر ارنولد ويلسون) — (وكان اوانئذ : النقيب ويلسون)— شخصيا ، وارتكن ، في ذلك ، الى اقتدارهم اللغوي ، والى قابليات اخرى • طبيعي الا تكون لديهم خبرة ادارية سابقة ، لكنهم كانوا يلحقون عادة باحد القدامى من رجال (الدائرة السياسية) للوقوف على واجباتهم • وعلى ذلك فأن الدائرة السياسية في حكومة الهند والخدمات الهندية المدنية ، وما شابه هذه المسالك وجانس ، مضطرة بسبب من حاجاتها الملحة ، الى استدعاء جل ضباطها من (بلاد ما بين النهرين) وعلى ذلك كان جميع الضباط العاملين في (الادارة المدنية) في البلاد سنة ١٩٢٠ من العسكريين تقريبا ، وهم ممن استعيرت خدماتهم من وحداتهم ودوائرهم موقتا • لقد تم استخدامهم على اساس عقود ، امدها يتراوح من سنة واحدة الى ثلاث سنوات ، وبشروط حسنة يقينا ، لكنها لم تزد على كونها معقولة ، ان اخذت بنظر الاعتبار الاوضاع التي كانت تكتنف خدمتهم •

ما كانت حياة (مساعد الحاكم العسكري) لتجرى ، بأي وجه من الوجوه رخاءا • اذ كان لزاما عليه ان يعيش في الامكنة النائية الخالية من وسائل الراحة غالبا • وعلى الرغم من امكانية ايجاد دار وسيعة حسنة له ، عادة ، لكن الاثاث كان من ايسر نوع ، كما كانت الترتيبات الصحية فيها معدومة ، او في الاقل ، بدائية • والطعام ، على انه صحي ، كان يعدم التنوع ، ويتألف عادة من لحم الظأن او المعزى والرز تنضاف اليه خضر ممتازة ومختارة • اما الطقس فكان صحيا محتملا لكنه كان شاقا عسيرا : ودبقة شديدة في الصيف ، وقر في الشتاء ، ان قورنت تلك بهذا • وكان يصحبه مطر تستحيل البلاد به الى حمأ مسنون

جميعا . وكان على (مساعد الحاكم السياسي) ان يعمل ، عادة ، ثماني ساعات في اليوم ، وفي مكتبه كان جل عمله ذا صبغة قضائية . وعندما لايكون في مكتبه كان يطوف في منطقته راكبا ، وفي الغالب في ارض مكشوفة ، وتحت نقمة وديقة اشبه ما تكون بما تقذفه لظى .

ينضاف الى هذا جميعا : ان حياته كانت معرضة الى اقصى خطر غالبا . وعلى الرغم من هذه الصعاب الثقال لم تكن من بين (مساعدي الحاكم السياسي) الا قلة لم تشغف بعملها حبا . وكان كل واحد منهم يتيه بمنطقته زهوا ، ويفخر بأن الشيوخ فيها هم اشد ما يكونون ولاء . وللقانون خضوعا وذلك من بين من في البلاد من اندادهم طراء ولزاما على اي انسان تصور هذا الاسى الشخصي الذي كان يخامر (مساعد الحاكم السياسي) حين يشهد صدقانه يصبحون في عداد الخونة وينقلب العمل الذي انصرف اليه باقصى قواه رأسا على عقب ويداس بالاقدام . ولعلّ الذين اسلوا من مثل هذا الاسى ، وهلكوا بين الركام ، كانوا اسعد حالا .

وعلى الرغم من الوعد الذي قطع بعدم تحليل اسباب الاضطرابات التي نجمت في (بلاد ما بين النهرين) ، من الضروري تبيان كيف اتخذت الحوادث مجاريها تبيانا مقتضبا . كان البريطانيون ، وهم يتقدمون في البلاد يلقون ، في كل مكان فيها ، ترحيبا . لقد ارسلت المدن البعيدة عن مسار القطعات اميالا ، وفودها تقدم الخضوع والطاعة وترجو ايفاد (مساعدي الحكام السياسيين) لحكمها . وما ان تيسر الضباط اللازمون لذلك الا ارسلوا اليها حقا . وعلى ذلك قبلت (ادارتنا) رقع وسيعة ، اشدها تميزا في الفرات الاوسط ، وتضمنها مدن : الحلة ، وكربلاء ، والنجف ، والكوفة ، وطويريج ، من غير ان تشهد جنديا بريطانيا واحدا . وفي الشمال ، وفي كردستان ، كان الامر شبيه بهذا كثيرا . قال الناس : انهم ايعلمون طوال سنوات ، ان البريطانيين قادمون وان (الملالي) كانوا يقولون ، على رؤوس الاشهاد ، انهم ، منذ امد بعيد ، عثروا في كتبهم على نبؤات تدل على ان الحكومة البريطانية ستستولي على

هذه البلاد ، في يوم من الايام (كذا ! : المترجم) •

كان كل فرد يعتقد ان (العصر الذهبي) قد جاء ، وان عهدا من الازدهار العظيم كان مترقبا • ستهيء الآلآت الزراعية ، وان الأرض ستجود بعشرة اضعاف ما كانت تجود به من غلة • ستمد السكك الحديد ، وستشق القنوات ، وستزدهر التجارة • ولعل الواقفين على بواطن الامور يتفقون على ان كل ما هو ممكن قد اجرى في سبيل تلبية هذه المطامح • لكن الشرقي مثالي دوما ـ انه يخطط قصره الموثق ، لكنه لايحسب للكلفة حسابا • وعلى ذلك لم يصبح « ساكن بلاد ما بين النهرين » خائب الرجاء ، بمرارة حسب ، حين وجد ان « العصر » لم يصبح فجاءة ، بين ليلة وضحاها « ذهبيا » بفعل ساحر ، لكنه استشاط غضبا حين وجد نفسه يفقد من حريته الشخصية شيئا •

لقد غدا السلب المصحوب بالعنف على الطرق العامة ـ وهو من الهوايات الشائعة في الايام الخوالي ـ جريمة عقابها الموت • ولم يعد في الامكان ممارسة اللعبة العظيمة في باب اختلاس مال الحكومة اذ اصبح من الضروري دفع الضرائب في ابانها ، كاملة غير منقوصة ، وان كان ذلك بمقياس اخفض مما كان عليه في الازمنة التركية • لذلك نجم رد فعل عظيم ـ وحمدا للدعاوة المنبعثة من سورية[٩] وتركية ، ولاسباب أخر لا لزوم لان نخوض فيها ـ فتمثل في (ثورة) جاءت في اعقاب ذلك •

وعلى العموم لم يكن للدين في (بلاد ما بين النهرين) شأن كبير (كذا ! : المترجم) • ومضى حين من الوقت قبل ان يدرك العشائريون ان الحكومة البريطانية (حكومة نصرانية) • روى ان شيخا عربيا كان يسب ، في يوم ما ، النصارى بحضور (مساعد الحاكم السياسي) ،

(٩) دعاوة بفتح الدال وكسرها ، والفتح اجود (المترجم)

حين قال له هذا : « الا تعلم انني نصراني ؟ » فما كان من (الشيخ) الا ان يجيبه : « كلا لست بنصراني ، وانما انت انكليزي » . ان النصراني الوحيدالذي كان يراود خاطر الثائرين هو مخلوق ينتسب الى طوائف مترديه لكنها تحمل ، ولا تزال هناك جماعات صغيرة منها في البلاد متناثرة هنا وهناك . من المشكوك فيه ان تصبغ الحركة الاخيرة بازاء البريطانيين في (بلاد ما بين النهرين) بصبغة دينية ، او لهذه الغاية بوطنية . (كذا ! : المترجم) .

اما وقد اوجزنا ، على سبيل التمهيد ، المركز الذي كان يشغله (الحكام السياسيون) في (بلاد ما بين النهرين) والواجبات المطلوبة منهم ، فان (كاتب هذه السطور) سيسعى الى ان يروى (حديثه) ويبين الاساس التي بنيت عليها (قصته) .

عندما اندلعت نيران الحرب كنت قد اكملت سنة دراسية واحدة في (جامعة اوكسفورد) وفي تشرين الاول ، من سنة ١٩١٤ ، ابحرت مع (وحدة دور سيتس ١/٤) الى الهند ، وفي كانون الاول سنة ١٩١٥ سافرت الى (بلاد ما بين النهرين) وكنت في جوار (شيخ سعد) وموقع (حنه) خلال القتال الذي استمر سنة ١٩١٦ في اشهرها الاولى . وفي نيسان ، من تلكم السنة ، جرحت جرحا هينا ، فاعدت الى الهند ، ولم اقفل الى (بلاد ما بين النهرين) راجعا الا بعد سنة من هذا . لقد عدت مع (وحدة البنجابيين/٢٤) اثر تشكيلها مجددا . وكنا في البصرة حتى حزيران ، وبعده اتخذنا الى (الفرات) سبيلا . وفي تشرين الاول اجتزت في العربية امتحانا ، وفي كانون الاول اصطفيت في (الادارة المدنية) عاملا .

وكان ان عينت (مساعد حاكم سياسي) في (مندلي) ، وهي بليدة تشتهر بتمورها وواقعة على الحد الفارسي ، وعلى بعد نحو ١٠٠ ميل من بغداد ، غربا . وكان ان بقيت فيها حتى اليوم الاول من تشرين الثاني سنة ١٩١٨ . وخلال جانب كبير من الوقت كنت الضابط الوحيد

فيها وما كان عندي جنود • وكانت مندلي[10] يومذاك ، آخر بقعة واقعة تحت احتلالنا ، وكنت فيها سعيدا • وكانت الحكومة فيها الى قلوب الناس اثيرة حبيبة ، كما كانت ثمة تجارب كثيرة يكتسبها الانسان ليغدو [مثل المحنك اغنته تجاربه !] •

وكان مما يذهب برتابة الحياة : قضايا الحدود ، وغارات قطاع الطرق ، بين الفينة والفينة ، وهم الذين كانوا قد التجأوا ، عبر الحدود الى (بشت ــ ى ــ كوه) • وعلى الرغم من اني صببت كثيرا من جهدي في معالجة ما كنت احسبه على خط كبير من خطر ، بسبب من عدم خبرتي ، لكنني ، على الحقيقة ، لم اجبه بمشكلة خطيرة ، كما لم اقع في خضم قلق حق ، او خطر حقيقي •

حقا ، لقد كانت مندلي ميدان تدريب مثاليا • ففي المنطقة تشيع اربع لغى ، وجل اهل المدينة كان يستطيع التكلم بها جميعا • لقد كانوا يتعلمون ، وهم اطفال «لغة الام» التركية من ابائهم ، كما كانوا يتعلمون اللهجة الكردية ــ اللرية البلدية من (داياتهم) ومن اهل التلال ايضا ، حيث كانوا يبعثون اليها ابان حلول موسم القيظ الحار • ثم انهم علاوة على ذلك ليحصلون على معرفة بالعربية ممن يعنون ببساتين النخل العائدة اليهم ، والفارسية من التجار الذين يختلفون اليهم ، ويحلون في بيوتهم ضيوفا • وكانت في المنطقة عشائر عربية وكردية متعددة ، وفي المدينة اتراك (وليسوا بعثمانيين) ، وفرس وكرد ولر • وتتمثل فيها الطائفتان المحمديتان : السنة والشيعة تمثيلا حسنا ، على حين توجد اعداد كبيرة من الـ (على الهية) الذين يطلق عليهم هذا الاسم لانهم على ما قيل يعتدون عليا (رض : المترجم) ، زوج بنت محمد (صلعم :

١٠ عرفت في المصادر العربية القديمة باسم (بندنجين) ولا يعلم معناه على التحقيق ، ومنهم من يرى انه من (وندنيكان) ــ جمع وندنيك ــ ومعناها : الملاكون الطون ثم صارت الى بندنكين فمندلي ــ وقد وردت في المدونات الآشورية باسم (اردنيكا) ، او (اردريكا) ــ على ما ذكرها هيرودوت ــ واضاف ان فيها عيونا للنفط ولاتزال هذه العيون في منطقة مندلي • (المترجم)

المترجم) قد حلت فيه روح الله (كذا : المترجم) ، وقلة من يهود •

كنت قد تعلمت شيئاً من الفارسية في الهند ، وشيئا من العربية على الفرات • واستطعت ان اتقدم تقدما عظيما في هاتين اللغتين في مندلي وشرعت بتعلم التركية فيها ايضا • لقد اصبحت افهم باللغة الاخيرة ، ويفهمني الناس بها ، قبل ان انقل الى (الطون كوبري) في مبتدأ شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٨ • ثم اني ، بعد ذلك ، حسنت في كل من كوى (يريد كويسنجق : المترجم) واربيل لغتي التركية وتعلمت التحدث بالكردية بطلاقة معتدلة •

ووردت (الطون كوبرى) في اليوم الثالث من تشرين الثاني • وفي العاشر منه اوفدت مع جنديين خيالين لتسلم اربيل من يد الاتراك ، باسم الحكومة البريطانية • ولم امكث فيها الا يومين اثنين ، خلفني بعدهما فيها النقيب (مقدم الآن) مرى • ثم اني قفلت الى الطون كوبري راج[illegible] في الـ ١٥ كانون الاول [illegible] مهام وظيفتي في منطقة الطون كوبرى الى مساعد الحاكم السياسي في كركوك : النقيب (وهو اليوم مقدم) لونكرك ، واتخذت سبيلي الى (كوى سنجق) لمعاودة اعلاء شأن القانون واستتباب الأمن هنالك • ثم زرت بعد ذلك كلا من (رانية) و (قلعة دزه) ، وابقيت (كوى) مقري حتى الـ ٢١ من شباط سنة ١٩١٩ ، حين رحلت الى بلادي ، لاسباب عائلية ، مجازا •

وعدت الى بلاد ما بين النهرين في نهاية حزيران فعينت في اربيل • وكانت حينذاك قضاء تابعا للواء (محافظة) الموصل التي كانت تحت حكم الراحل (العقيد لجمن) •وفي اليوم الاول من تشرين الثاني احدث لواء (محافظة) جديد باسم (اربيل) ، باقتطاع جزء ضئيل عن قضاء اربيل الاصلي كان يقطنه العرب ، وبقي هذا الجزء في لواء الموصل • لقد اضيف الى (لواء اربيل) كل من (كوى) و (رواندوز) • وعينت على اربيل (حاكما سياسيا) وعين (النقيب رندل) كـ (مساعد حاكم سياسي) في كوي ، و (النقيب كيرك) ، بهذه الصفة في رواندوز • وكان (النقيب برادشو) يساعدني في اربيل • وفي مبتدأ كانون الاول نقل (النقيب كيرك) الى

محل آخر ، ولم يعين في محله كمساعد حاكم سياسي احد . وعلى ذلك ، كنت منذ ذلك الوقت فصاعدا ، وبالاضافة الى وظيفتي كحاكم سياسي في اربيل ، (مساعد حاكم سياسي) في رواندوز .

وفي صيف سنة ١٩٢٠ عينت على سبيل التجربة في (الدائرة السياسية في حكومة الهند)،وكانت خدماتي قد طلبت،في نهاية السنة ، لذلك سلمت مهام منصبي كحاكم سياسي في اربيل الى (المقدم مارشل) ورحلت الى انكلترة لانمتع باجازة ، امدها ايام قليلة ، وذلك قبل ان اتخذ السبيل الى الهند عائدا . وخلفت بلاد ما بين النهرين آسفا .

واني لآمل ان يحالفني الحظ فاعاود زيارتها ومحافظة اربيل منها خصيصا وان اصافح (احمد افندي) والرؤساء الاكراد الذين خدموامعي بولاء فيه ، مرة اخرى .

وفي (قصتي) هذه ساتناول تجاربي في بلاد ما بين النهرين منذ الهدنة التركية (٣١ تشرين الاول ١٩١٨) حصرا والارضين الواقعة بين (الزاب الاسفل) و (الزاب الاعلى) المكونة لمحافظة اربيل ، و(قضاء رانية الذي هو جزء من محافظه السليمانية ، وبليدة (الطون كوبري) الكائنة في محافظة كركوك في يوم الناس هذا .

وفي الفصول الخمسة التاليات ساتناول الوضع الجغرافي للمنطقة بالبحث ، مشفوعا بطبيعة سكانها ، وعاداتهم وطرائقهم الزراعية ، ونظام ملكية الاراضي السائد ، وما تنتجه البلاد وما تجربه . ولن اكتب في هذه الموضوعات الا بايجاز . ثم اني سامضي ، بعد ذلك ، الى سرد تجاربي ، مبتدأ من الطونكوبري ، وزيارتي الاولى لمحافظة اربيل، واضعا سلسال مغامراتي في منطقة رواندوز ، وما نجم من اضطرابات في اربل في خاتمة المطاف ، والتي ثبت انها قلبت الحال رأسا على عقب. وسأنتظم ذلك كله بتنويه مقتضب يتصل بزملائي في الادارة المدنية ، واخص بالذكر منهم من خر صريعا .

الفصـــل الثاني

نبات (الاقليم) وحيوانيه : جغرافيــا

(راجع خريطة محافظة اربيل المفصلة في ملحق الكتاب)

ان اول ما يجب ان يعلق بالذاكرة ، بقــدر ما يتعلق بملامح بلاد ما بين النهرين الجغرافية ، هو ان كل ما فيها يمضــي جنوبا ــ شرقيا وشمالا ــ غربيا • وشكل البلاد مستطيل يقع في هاته الاتجــاهات ، وتشكل الجبال الفارسية والكردية الجانــب الطــويل على الجهــة الشمالية ــ الشرقية ، والفرات والنشــل الصحراوي (يقول بعضهم ان الاسم «عراق»)[1] او النشز قد اشتق منه يكونان الحد الموازي على الجهة الجنوبية الغربية • وينساب دجلة في الوسط نزلا •

وكان العراق ، تحت ظل الاتراك ، منقســما الى ولايــات ثلاث هن : البصرة وبغداد والموصل • ولو استثنينا الحافة الشرقية القصوى فان ولايتي البصرة وبغداد منبــطتان لا حجارة فيهما ولا شجر فيما خلا النخل[2] ان سكانها كلهم تقريبا من العرب •

---

(١) في اصل اسم العراق ، قلنا : جاء في (تاج العروس ٧: ٩ مادة عرق) العراق شاطيء الماء ، او شاطيء البحر خاصة ، ومن راي الراحل اللغوي الاب انستاس الكرملي (لغة العــرب ٤ : ٢٨١ : ٢ : ٤٤٢) ان العراق معناه البلاد المنخفظة او المعرضة للغرق ، وفي رايه ايضا ان عراق هو تعريب (ايراه) الفارسية التي تعني الســاحل ، باعتداده على الخليج العربي ، او ساحل شط العــرب . وذكــر الباحــث المستشرق الراحل (... سترانج) ان العرب اطلقت على بلاد ما بين النهرين الجنوبية اسم (العــراق) ومعناه الحــرفي (الجــرف) او (الساحل) على ان منشأ الاسم على القطع ، لايزال يساوره ريب. (راجع كتابنا المترجم ثورة العراق ١٩٢٠ ص ٢٤) . (المترجم)

(٢) هذا ماكانت عليه حال البلاد ، على ما خيــل للمؤلف ، اذ ليس في ولايتي بغداد والبصرة ــ على ما يقول ــ غير النخيل . والواقع اليوم مختلف اذ تستنبت فيها اشجار الفاكهة كالبرتقال والعنب والرمان والخوخ والمشمش والكمثرى وسائر الحمضيات . (المترجم)

وتختلف الولاية العليا ، الموصل ، من حيث طبيعتها ،اختلافا كليا. انها منفصلة عن بلاد ما بين النهرين السفلى بـ (جبل حمرين) او (التلال الحمر)[٣] ، وهو سلسلة جبال تبدأ عند محل ما ، قرب (الاحواز : الاهواز) ، وتتجه الى الشمال الغربي ، من غير انقطاع تقريبا ، لمسافة ٣٥٠ ميلا حتى تتلاشى في الصحراء الكائنة غربي دجلة، غير بعيد عن الموصل اخيرا . أن هذا النشز المسنن العاري والمكون من صخر رملي لا يعلو ١٠٠٠ قدم على الارض المجاورة له ؛ لكنه يتراءى ، بعلو جبال هيمالايا في نظر الجنود الذين قطعوا مئات كثيرة من الاميال في دلتا دجلة والفرات المنبسطة الموات . لكنه ، لو قورن بالجبال التي بلغت اخيرا ، لما كان غير زائدة بشعة ، حسب . ووراء هذه السلسلة تأخذ الارض بالتموج ، وتصبح صخرية ، ولا تزال الاشجار فيها نادرة . وتصادف ، بعد ذلك سلسلة من نشوز عالية شبيهة ، في طبيعتها ، بجبل حمرين ، وبينها سهول متموجة . ان هذه النشوز اشبه ما تكون ببوابات قناة ، ترفع كل واحد منها ، على التوالي ، مستوى الديار العام . وعلى مسافة اميال قليلة ، شرقي كركوك ، والطون كوبري ، واربيل ، تنقطع السهول العظمى فيشهد المسافر ، اولا ، اقدام التلال المتشابكة ، وكأنها الزبد في رغوته ، ثم الجبال العظيمة ، تمور بعضها فوق بعض ، لتنتهي بالسلسلة الوسيمة المطلة على هضبة فارس .

وتحاذي الحدود الفارسية اقدام التلال ، من الخليج الى نهر ديالى . وما ان تصل هذا النهر الا تعلو ثم تتسلق بعد ذلك الى قمة المنابع فتعقبها حتى تبلغ الحد الروسي ، عند جبل (ارارط) . وعلى

(٣) يمكن اعتداد هذه السلسلة من الجبال الحد الفاصل بين ارض بابل وارض اشور القديمتين . وسمى الآشوريون جبل حمرين باسم (ابح) وزعموا انه مستقر الههم العظيم : آشور . (المترجم)

ذلك تضم ولاية الموصل ، شرقي دجلة ، مساحة عظيمة من الاراضي الجبلية .

وفيما خلا جبل (سنجار) موطن اليزيدية المعروفين بـ (عبدة الشيطان) ، ليس في غربي دجلة الا صحراء غير محددة ، وليس ثمة رافد يقترن بالنهر الرئيس . ومن الجهة الاخرى ، ان التلال الكائنة في الشرق يوشل ماؤها من قبل انهار عديدة وسيعة . فعند زاخو [٤] مقرن الخابور بدجلة ، وهي في اقصى الشمال من المناطق المحتلة ، على حين يسيل الزاب الادني ، فويق المضيق الذي تخترق المياه عنده جبل حمرين .

وفي ولاية بغداد يسبب ديالى انتفاخ النهر .

سنعنى في هذا (المؤلف) ، في الدرجة الاولى ، برقعة الارض التي تشبه في الشكل « متوازي اضلاع » ، وهي المحصورة بين الزابين ودجلة والحد الفارسي . ان جانبيه الطويلين بطول ١٠٠ ميل تقريبا ، على حين تبلغ كل من نهايتيه ٥٠ ميلا . ولو تتبعنا الزاب الاعلى على الخارطة ، صعدا ، لرأيناه يكون دورة باتجاه الشمال الغربي ؛ قبل بلوغه (الحد) . ولاكمال صورتنا من الضروري ان نرسم لمجراه امتدادا خياليا ، وعندها نلحظ ان هذه الرقعة تتجه الى الجنوب الغربي والشمال الشرقي ، وانها ، عبر الموضع العام للبلاد ؛ لذلك يمكن الحصول على مختلف من المشاهد والاجواء : من صحراء (قراج) المتلظية الى جبال (زاغروس) المجللة بالثلوج البيض .

---

(٤) لا يعلم ، على التحقيق معنى اسمها اهو ارامي من (زاخوتا) على معنى الظفر او هو يرد الى اسم شعب ذكرهم البلداني ــ المؤرخ الاغريقي :ــ استرابون باسم (ساكوبودس) ، ومما يدل على انها موغلة في القدم وجود مستوطن قديم فيها اسمه (كيسته) وجدت فيه اثار ترجع الى ايام البابليين والاشوريين (المترجم)

ويرتفع الزاب الاعلى ، شمالي (جولميرك : جولەمەرك) [٥] ، وبعد ان يسير مسافة ١٥٠ ميلا في ارضين اشد ما تكون وعورة ، مارا في مجراه بمضايق دجلة النابهة الذكر ، لينفذ من اقدام التلال عند (كرد ماميك) ، على بعد ١٨ ميلا من اربيل شمالا • ومن هنا ، فصاعدا ، تبدأ عقيقته بالاتساع وتشطر الجزائر مجراه غالبا ، حتى يلتقى بدجلة اخيرا عند تل خاص يدعى (تل كشاف) ويشبه كمأة مقلوبة شكلا • ان الزاب الاعلى لنهر رائع سواء انظرت اليه من جباله العالية ام الى مجراه بين الهاويات السود ، ام في سيله بمائه اللازوردي بين ضفتيه المكسوتين بشجر الاثل ، وهما تحصرانه في مساقيه السفلى • وثمة قلة من المناظر المنعشة ، غير هذا النهر ، يتملاها المسافر في سيارة ، والنقع مستثار والطقس حار في سفرة بين اربيل والموصل • ان عيني المسافر خلال ساعتين ، لن تستقرا على مشهد غير سهل متموج سرعان ما يرقى صعدا ليشهد تحته شريطا وسيعا متمعجا ذا لون ازرق اشد ما يكون اشراقا ، وعلى حفافيه بياض الشاطئين الذي يخطف بالبصر ، فخضرة شجر الاثل الدكناء •

ولعل الزاب الاعلى ، لدى التقائه بدجلة ، يجود عليه بالماء الغمر • انه لعميق جدا ولا يمكن ان يعبر مخاضة ، الا في امكنة قليلة ، خلال اواخر الصيف ، والخريف • وعلى الرغم من انه نهر رائع الا ان نفعه لبني البشر قليل عمليا ، فيما خلا كونه مانعا • انه لا يصلح للملاحة حتى لـ (الاكلاك)[٦] فيما عدا احد اقسام مجراه ، وهو

---

٥) هي في منطقة (حەکاری) الكردية ، شأنها كشأن (جزيرة ابن عمر) ، وسكانها يعتدون من الاكراد الحكاريين ، وجوله مەرك مقام طائفة تسمى الـ (جولمركية) ويقال انهم من (بنى اميه) اعتصموا بجبالها عند غلبة بني العباس عليهم • (المترجم)

٦) الكلك : كلمة ارامية النجار ، وهو واسطة نقل مائية تبنى من عمد وتشد بأماليد ويطوف على جلود منفوخة وينساب في النهر نزلا . (المترجم)

قصير جدا . الا ان في الامكان ان ترمى قطع الخشب لتنساب فيه نزلا . ويمكن الوقوف على قلة من الروافع على ضفتيه هي ملك العرب الساكنين في اسفل (الكوير) ، وفيما عداه ليس له نفع في ارواء البلاد . وبحثت الحكومة التركية في امر حفر قناة تتجه جنوبا. من (كرد ماميك) تلقاء اربيل ، لكن هذا المشروع ، ان امكن القيام به يكلف كثيراه وثمة آثار تدل على قنوات قديمة ، احداها على موازاة المجرى الرئيس قرب (سافيا) ، واخرى تتفرع جنوبي الكوير.

ان رافد الزاب الاعلى الرئيس في هذه المنطقة ، والذي نعني به : (جاى رواندوز) [٧] ، وسنصفه بعد هذا . وفي اسفل جاى رواندوز ينساب الزاب الاعلى على ما هو ديدنه بمحاذاة وضع الارضين العام مخترقا فجوات متابعة في سلاسل الجبال ، وتلتقي به في اثناء ذلك مجار صغيرة متعددة منسابة من الوديان نزلا . ان هذه لتجود بجميع الماء المطلوب للارواء في ارض التلال .

ان كلمة (زاب) [٨] او (زى) تعبير اصلي يطلق على النهر في كردستان الجنوبية ويستعمله الاكراد ، غالبا ، عندما تحدث عن دجلة وجاى رواندوز . ان الزاب الاعلى والزاب الاسفل هما نهرا كردستان الجنوبية في الدرجة الاولى .

ينبع الزاب الاسفل في جنوبي (بحيرة اورمية) وانه على اغلب الوجوه شبيه لصنوه ، كما ان مياهه غير ذات جدوى ، في الوقت الحاضر عمليا ، وذلك بقدر تعلق الامر بالمقاصد الاروائية ، وعلى الرغم من وجود اثار قنوات عظيمة على ضفتيه ، جنوبي الطون كوبري.

---

(٧) او (روبار رواندوز) وهو يجري في مضيق (كهلى على بك) الذي تكون بزلزال لا يعرف زمنه على التحقيق ، وهو يصب في الزاب عند (بيخمه) . (المترجم)

(٨) الزاب الاسفل (زى كويه) والزاب الاعلى (زي باديان) وهما الزاب الاكبر والزاب الاصغر على التوالي . وعرف الزاب في المدونات الكلاسيكية بـ (زاباتس) ويترجح ان معناه (نهر الزيت) . (المترجم)

ان واحدة منها تنساب عبر النهاية الجنوبية لصحراء (قراج) وانها لتجعل مساحة كبيرة من القفر اليباب خاضعة للارواء ، لو اعيد التنقيب عنها • ان هذا النهر من الوجهة التجارية ، اشد خطرا من الزاب الاعلى ، اذ في الامكان تطويف (الاكلاك) فيه نزلا وذلك فيما تحت (دربند ــ ى ــ رماكان) [٩] ويخضع الزاب الاسفل الى فيضانات فجائية عنيفة ، ومن هذا جاء اسمه البديل (النهر المجنون)• انه ليس بذي غور عند الصيهود وفي الامكان خوضه بيسر في اماكن عديدة ، صيفا وخريفا •

وليس شطر دجلة المكون للجانب الغربي من (المتوازي) بذي خطر • ان قرى العرب راكبة عليه ، واهلها يزرعون رقعة صغيرة من الارض بواسطة (الروافع) •

سأحاول ، الآن ، مسح الارضين الكائنة في (المتوازي) الذي نبحث فيه ، مبتدأ من اسفل نقطة فيه ، على دجلة ، ومتجها تلقاء الشمال ــ الشرقي حتى يبلغ الحد •

من نقطة على الزاب الاسفل فوق مقرنه بدجلة بنحو ٣٠ ميلا ، تبدأ سلسلة جبل ضامرة سوداء تدعى (قره جه طاغ) وتتجه الى الشمال الشرقي ، ثم تتضاءل اخيرا لدى تقربها من الزاب الاعلى ، تحت الكوير • ان هذه المنطقة التي تعدم الماء وتقع ضمن هاته التلال والزاب الاسفل ودجلة تدعى بصحراء (قره جوق) او (قراج) [١٠]

---

(٩) يتجه الزاب بعد دخوله الحدود العراقية الى الشمال الغربي مسافة ٣٠ ميلا تقريبا وبعدها يخترق (دربند ــ ى ــ راماكان) . و(دربند) في الكردية فجوة في سلسلة جبال • فان كان شقا كبيرا اطلق عليه (كلي) •
(المترجم)

(١٠) منطقة قراج تضم قضاء مخمور في محافظة اربيل وتسكنها عشيرة (دزەيی) وهي من اكبر العشائر الكردية في المنطقة ، كما ان العشائر العربية التي يذكر المؤلف قراها في هذه المنطقة وفي (الكوير) فهي من طي والجبور والعبيد

(المترجم)

وهي مشهورة بخصوبتها، قيل انها تنتج في السنة التي تنزل فيها رحمة الله كثيرا من الحاصلات [11] ، وبنسبة ١٠٠ حبة الى كل حبة من حبات الحصيد . ومن اسف ان مثل هــــذا نادر الوقوع . وفي الغالب ، كثيرا ما ينحبس المطر في هذا الصقع ، او يكاد .

ان صحراء (قره جوق) لتقرب من سهول بلاد مــا بين النهرين الجنوبية باكثر من اي شطر آخر من محافظة اربيل . وعلى الرغم من تموجها تموجا يسيرا ، وعلى وجه اخص بمحاذاة حافتها الشماليةالتي تتخللها مجاري الماء العديدة ، فان مظهرها العام يشبه الارض الجدد الموات ، ولونها خلال الشطر الاعظم من السنة اسمر ، وهي جرداء ، فيما خلا بعض ادغال البادية الخاصة . ان الآبار لنادرة ، وما فيها من ماء ان هو الا ملح اجاج . والهواء خــلال الصيف حــار لافح . والمسافر يستشعر فيها بانه في فسحة وسيعة من الارض ، كل ما فيها قد زال من الوجود ، والشمس ترمى سهامها المحرقة .

وما ان يرسل الله السحاب نشرا ، ويهمي القطر على حين غرة . في مبتدأ شهر نيسان ، الا تتنبه هذه الفدفد كلهـا بالزهر احــداقا . وعندها يسوق جميع الاكراد من سهل اربيل قطعـانهم الى المــرعى وينصبون خيامهم السود الكبيرة ، حيثما يشاؤون ، في ارجائها . ان البرك التي خانها المطر تجود عليهم بمائها . والشباب منهم ، وهم على جيادهم كريا آلقة من جمال مظهر ، ويبدون بسالتهم على صهواتها . او تراهم يطاردون ارنبا او غزالا .

اما الرؤساء الذين علت بهم السن وبدت (طوالع شيب في مفارق اسود) فيتخذون مجالسهم في مضايف غنية بالاثاث ، وعلى استعداد لاستقبال الزوار . ان الصحراء خلال شهر او ستة اسابيع ، لاتعدو ان تكون مصحا . لكن الشمس ، في نهاية نيسان ، تبدأ باظهار سلطانها .

(١١) « رحمة الله » اريد بها المطر وعلى ما جاء في الآية الكريمــــة (ان رحمة الله قريب من المحسنين) .

(المترجم)

وفي غضون اسبوع او اسبوعين يستحيل العشب وتغدو الازهار (غثاء احوى)[١٢] .

وتختلف عدة سكان صحراء (قره جوق) باختلاف تسكاب المطر عليها . ففي سنتين او ثلاث سنوات من سني الخير تغدو النهاية العليا (عني الشطر القريب من التلال ، حافلة بالقرى ، وما ان تحل سنة عجفاء من (سني يوسف) الا يتلاشى اي اثر للسكان ، غير مخلفين وراءهم الا قلة من البيوت في بقاع اثيرة عند اقدام الـ (داغ) ، على حين تتناثر في بقية الصحراء مجموعات من جدر خربة من طين ، وكأنها الاصداف الخاوية على ضفة يابسة .

ويرتفع (قره جوق طاغ) الى علو ٢٨٠٠ من الاقدام ، فوق سطح البحر . انه مشطور بمضيق (حسيني غازي) الى كتلتين عظيمين ، اكبرهما الجنوبي منها . ان وجه التل ، وجانبيه ، وعر تعرى وخلفت امطار القرون عليه اثارها . ان هذه السلسلة غير ذات جدوى بني آدم ، ذلك انها عديمة الماء ، فيما خلا بعض مجار كبريتية صغيرة . كما ان الشجر لا اثر له فيها . ويروى ان الاشجار ونجوم النبات كانت الى ما قبل اقل من قرن مضى ، كثيرة وفيرة على سفوحه . وما ان جاء الكرد ، على اي حال ، الا انهالوا على خشب الوقيد فلم يبق اليوم منه اثر .وينمو العشب ابان الربيع ويعلو علوا حسنا . ويغدو لدى مختتم نيسان يابسا ، لكنه يبقى قائما فيجود بالمرعى خلال الصيف والخريف والشتاء للقطاعات ، وهي كثيرة عدا .

ان الارضين الواقعة فيما وراء (قره جوق طاغ) مقسمة الى قسمين ، بواسطة مقسم ماء لايكاد يشعر به تقريبا . فالشطر الشمالي الذي يوشل ماؤه في الزاب الاعلى معروف باسم (شاميك) والجنوبي باسم (كنديناوة)[١٣] . والشطران ينفصلان عن سهل اربيل بتلال

(١٢) اي : يابسا اسود وعلى المعنى الوارد في القران الكريم (المترجم)

(١٣) سهل كنديناوه الخصيب وهو واقع بين (قره جوق) و (زوكازارو) وطوله ٥٠ كيلو مترا وعرضه ٢٢ كيلو مترا وفيه كثير من الوديان. (المترجم)

مكسوة بالحصى .

ان صقع شماميك ، على العموم شبه دائرة شكلا . انه يقع بمحاذاة ضفة الزاب الاعلى اليسرى . وهو اكبر اقسام محافظة اربيل خصوبة دائمة ، واكثف سكانا . والارضون متموجة قليلا ، والآبار فيه غالبة ، وماؤها عذب فرات . ويجود بمجريا ماء دائمان للارواء . ان المحصولات تنضج هاهنا بعد اسبوعين من نضوجها في منطقة قره جوق تقريبا . وكل شيء في مبتدأ أيار مخضوضر ، والزهور تعطر الافاق باريجها . وعبر التلال وضمن مسافة ٤ اميال يكون الصيف قد ابتدأ واصبحت الدنيا سمراء . ان مرد الفرق في الدرجة الاولى الى المطر الوفير الذي تساقط على الجهة الشمالية من (قره جوق طاغ) فاحياها .

وكندناوة رقعة من الارض معدل عرضها : ١٥ ميلا وطولها نحو ٣٠ ميلا ، واقعة بين (قره جوق طاغ) و (زركه زيراو) . ان (كنده) في الهندية ، مثل (نالا) في الهندستانية ، وعلى معنى «المجرى الضيق ذي ضفتين منحدرتين» . ان الصقع ليستمد اسمه من (كنده) كبير خاص ينساب في وسطه نزلا . وتلتقي بهذا (كندات) صغار تأتيه من جانبيه ، عند كل ميل اوميلين من مجراه ، وعلى ذلك تخلل هذه المجاري الارضين كلها ، فيتعسر قطعها بالسيارة . والارض فيه خصبة خصوبة (شماميك) ، لكن الحاصلات ليست مضمونة ، فالمطر في الاحايين غير كاف ، ويسبب الجراد ، في الغالب ضررا كبيرا . والصقع كثيف السكان في نهايته الشمالية ، اما نهايته القصوى الجنوبية فتكثر فيها التلال ، وهي اقل خصوبة . ويستقى الماء من قلة نادرة من العيون ، وماؤها في الاكثر ، ملح اجاج .

و (زركه زيراو) سلسلة من تلال واطئة مسننة (ولهذا ان زركه اسم جنس في الكردية) وهي تفصل (كندناوه) عن (دشت ـ ى ـ هولير) ، او سهل اربيل . ان هذا الانفساح العظيم يمتد الى ٥٠ ميلا . من الزاب الاكبر الى الزاب الاصغر ، وعرضه نحو ٢٥ ميلا من

(زركه زيراو) الى اقدام التل الحقة . ان النهاية الشمالية ، عند الزاب الاكبر ، متموجة كثيرا ، وهي ، بالاحرى ، صخرية ، لكن الشطر الرئيس من السهل بين طريق اربيل ــ كركوك و (زركه زيراو) لايبرز الا تنؤا خفيفا . وهو ، على اطراد خصبا ، ولعله يجود سنويا بنسبة ١٠ : ١ طوال قرون . وفي الربيع قد يتسنى للمسافر الوقوف على تل من هذه التلال العتيقة التي تتناثر على سطحه ، وفيما خلا الطرق البيض ، بقدر ما يتسنى له من رؤية ، ان الارضين كلها مزروعة ، وهي اما خضراء يقوم فيها الزرع ، او محروثة على استعداد للبذار في الخريف . أنها كثيفة السكان ، ولقد كان السهل هذا مقر قبيلة الـ (دزەيى) القوية[١٤] وذلك خلال الاقرن الثلاثة الاخيرة .

وفي شرقي طريق كركوك تتموج الارضون اكثر فأكثر ، وتصبح صخرية جدا . وكانت هذه كثيفة السكان فيما قبل الحرب ، لكنها في سنة ١٩٠٨ منيت بهلاك كثير من اهلها ، كما رحلت نسبة كبيرة من البقية الباقية منهم الى ارضين أخرى .

ويسقى سهل اربيل الـ (كهاريز) في الدرجة الاولى ، وسيأتيك وصفها اخيرا . والآبار غالبة ، والماء وهو عذب دوما يمكن العثور عليه ، على بعد ٣٠ او ٤٠ قدما من سطح الارض .

ها قد بلغنا ، الآن ، اقدام التلال . يحد سهل اربيل في جهته الشمالية ــ الشرقية (باستورا حاى) و (دردوان طاغ) . وباستورا جاى مجرى ماء وسيع ينساب فيصب في الزاب الاعلى ، فيه سيل يأتي ربيعا ويغدو مجرى ماء صغيرا صيفا وشتاء ، وينعدم الماء فيه ، بالمرة، خريفا . أنه الحد الجنوبي ــ الغربي لمنطقة رواندوز ، وبالنظر الى اهل اربيل ، هو الحد بين العراق وكردستان .

---

(١٤) تبلغ عدة اسرها (٦٠٠٠) اسرة ، ويستقر احادها في اطراف جبل قره جوق وكندىناوه ــ قضاء مخمور ــ وقد امتدت مساكنهم حتى بلغت دجلة ، واجبروا من عليه من قبائل عربية على عبور النهر الى الضفة الغربية . ويمتازون بالنشاط الدائب .
(المترجم)

وسلسلة (دردوان) بعلو (قره جوق) سواء بسواء ، لكنها لا تقوم شاخصة في السهل على غرار الاخيرة • انقمتها هي الحد بين وحدتي : اربيل وكوي •

وينقسم اقليم كوي الى قسمين ، وحدة كوي ووحدة شقلاوة • والاول كدس لاينقطع من تلال صخر رملي خفيفة ومجاري ماء • ان الاشجار فيه نادرة والزراعة غير ممكنة الا على مرتفعات ارضية ، توجد هنا وهناك بين التلال القائمة • ويحصل على الماء من عيون صغار • أن هذه المنطقة محدودة بالزاب الاصغر جنوبا ، وبالتلال شرقا • ان الحد الفاصل بين كوي ورانية هو : هيبت السلطان طاغ الذي يبلغ ارتفاعه ٢٨٠٠ من الاقدام وهو جزء من سلسلة تمتد دونما انقطاع تقريبا من الخليج الفارسي (وبالاحرى العربي : المترجم) الى ماردين • ويرتفع الامتداد الشمالي لهذا الجبل الى نحو ٧٠٠٠ من الاقدام ويطلق عليه اسم (سفين داغ) او (جبل السفينة) اذ بالنظر للتواتر المحمدي ، كان هذا هو المكان الذي جرت فيه سفينة نوح (في موج) كالجبال وذلك قبل ان تستوي على (الجودى) ، قرب الـ (جزيرة)[١٥] • يكون (جبل سفين) بمنحدراته وتتؤاته الجيولوجية ناحية شقلاوة[١٦] عموما • انه شجير يحفل بالبلوط وفيه كثير من العيون الكبيرة • وليس هناك

---

(١٥) يريد (جزيرة ابن عمر) وهي منسوبة الى (الحسن بن عمر بن الخطاب الثعلبي) في منطقة اطلق عليها بلديا (بوتان) بين الموصل وديار بكر ، وفى الاخبار الطوال للدينورى ص ٢ : (وكان جنوح سفينة نوح عليه السلام واستقرارها على راس الجودي • جبل بقردي وبازبدى) •

(١٦) نسترجح ان اسمها محرف عن (شقلاباذ) وقد ذكرها ياقوت فقال : « انها قرية كبيرة مليحة في لحف الجبل المطل على اربيل ذات كروم كثيرة وبساتين وافرة ينقل عنها الى اربيل العام بطوله فيكفيهم • بينها وبين اربيل ٨ فراسخ » • وهناك من يذهب الى أن الذي اسس هذه القرية وسماها باسمه هو (شاه قلي بك بن شاه علي بك) امير البهران فى عهد السلطان سليمان القانوني وسماها « شاه قلي اوه » اي « شاه قلي اباذ » •

(المترجم)

من فسحة ارض الا ماهي صغيرة جدا ، ميسورة لاستنبات الحاصلات المعتادة : الحنطة والشعير ، لكن سفوح التلال مكسوة بالكرمات . ان (سفين داغ) جبل رائع يشرف على الارضين لاميال . وعلى المسافر ان يمضي لمرحلة يوم قبل ان يستطيع بلوغ سلسلة اخرى تساويه .

أن قضاء رانية الذي يضم ايضا شطرا من السنجق التركي القديم : قلعة دزه ، يحده جنوبا ، بقدر ما يعنينا ، الزاب الاسفل ويتألف ، في الدرجة الاولى ، من سهلين بارزين يفصل بينهما نشز نحيف يعرف بـ (كيوه رش) او (المشط الاسود) ، له مؤخرة من جبال عظيمة . أن اول هذين السهلين : (بيتوين) دائري الشكل عموما ، مساحته ١٥٠ ميلا مربعا . وترويه مجاري ماء عديدة وعيون جارية ، وكثير من هاته العيون حارة ، لكنها غير صحية الى ابعد مدى . أن رانية اوطأ من اربيل،وقد يصبح السهل خصبا ان روى ارواءا صحيحا، لكن الطبيعة هنا غنية بورد واعشاب ، من العسير ازالتها .

ويعرف السهل الثاني عادة بأسم (سهل بشدر) وهو اصغر من (بيتوين) واكثر منه تموجا . وتتخلله المجاري غالبا ، وهي منحدرة من التلال . لكنها في انحدارها عميقة المجرى فلا تصلح للأرواء الا قليلا . وشرقي هذا السهل ، يقع الحد الفارسي ، حيث ترتفع الجبال ١٠٠٠٠ من الأقدام وزيادة . ان اتجاهها العام يتراءى على زاوية قائمة من سلاسل الجبال الرئيسة ، وبينها كثير من الوديان التي يتكاثف فيها الشجر ويسكنها اكثر الاكراد تبديا .

أن الحد الفاصل بين شقلاوة ورواندوز[١٧] عشائري ولن اشق

(١٧) يتألف اسم رواندوز من لفظين (روان) وهو اسم قبيلة كردية رحالة و (دز) التي تعني في اللغة الكردية القديمة : (القلعة) ذكرها ابن الاثير في (الكامل) باسم (روينـدوز). وفي مطلع القرن التاسع عشر استقل فيها (باشا رواندوز) وهو محمد باشا الرواندوزي الملقب بـ (كور باشا) ووسع سلطته فشملت قلعة دزه ورانية واربيل والعمادية وزاخو وازدهرت رواندوز في عهده الى صنع المدافع فيها ويوجد مدفع منها في متحفة الاسلحة ببغداد . (المترجم)

على (القاريء) بمحاولة تعريفه جغرافيا • يكفي أن يتذكر المرء أن قضاء راوندوز يشبه (فخذ خروف) شكلا • أن نهايته الضيقة عند (جاي باستورا) ، وهو يأخذ بالاتساع بعد (سفين داغ) سريعا • ومن (باستوراجاي) شرقا ، هناك سلاسل خفيفة متابعة ، يزداد ارتفاعها تدريجا لمسافة ٢٥ ميلا تقريبا حتى تبلغ على حين غرة (دشت) او (سهل حرير) ان هذا انفساح ارضي طوله نحو ٢٠ ميلا ، وعرضه حوالي ٨ اميال ، وانه ليخضل بماء ارواء غمر وفيه عيون جارية ومجار منسابة ؛ وهو خصب جدا لوقورن بسائر اقليم راوندوز • وخلفه (حرير داغ)، وهو نشز مستقيم يتراءى اجرد ، فكدس معقد من القمم والنشوز والنتوات والاخاديد ، من المستحيل وصفها تفصيلا ما لم يبلغ المرء مقسم الماء الرئيس والحد الفارسي أنتهاءا • وبين هاته الجبال تغلب العيون ، لكن الارض الصالحة للزراعة صغيرة •

أن الملمح الرئيس الذي لا معدى عن ذكره هو (جاي راوندوز)• ينبع هذا المجرى من فوق الحد الفارسي ، قرب (كروه شيخ) او (مضيق كروه) وحيث المستوى العام لسلسلة الحدود تهبط الى نحو ٣٠٠٠ من الاقدام ، ويسمح بعبور هين الى فارس • وثمة واد عميق يتجه عموما شرقيا وغربيا حتى يخترق عند راوندوز قلب الجبال ، وبعد ان ينفذ من مضيق رائع مسافة ١٠ اميال يجد طريقه الى الزاب الاكبر•

ان التكوين الجيولوجي في محافظة اربيل مختلف بين (اليوراسي) و (الحديث) وهناك انواع عظيمة من الصخر وليس منها ما هو ناري • ان الجبال كلها مكونة من صخور كرتياسيه (CRETACEOUS) و (ايوسنية EOCENE) تقريبا ، وتوجد فيها صفائح صخر من (حجر الجير) طاغية • ويتكون سهل اربيل من عقيقات بليوسينية (PLIOCEENE) في الدرجة الاولى من مزاج متكتل وصفائح

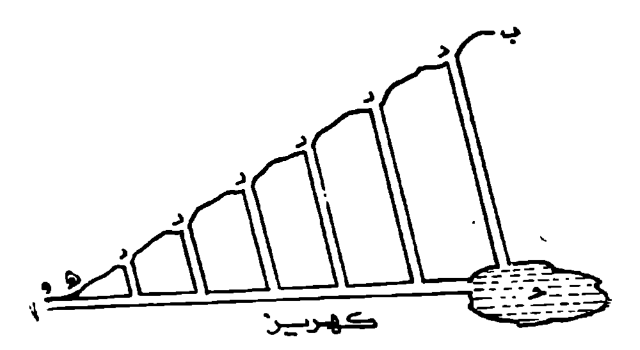
من رمل • وفي سلسلتي (زركه زيراو) و (قره جوغ) في فارس السفلى، تظهر «عقيقات» ، تحتوي على كميات كبيرة من الجبس •

والبلاد هذه فقيرة في المعادن ، اذ لا تملك عروقا معروفة من ترسبات معدنية ثمينة • والزيت ينضح في مكان واحد كائن على ضفتي الزاب الاكبر ، لكن آباره لا تستغل على الوجه السليم •

والجبس ، وهو وفير ، ثمين بالنسبة لمقاصد البناء • ويوجد الـ (بوراكس) ايضا • وفي قلة من الامكنة تصلب الجبس فغدا مرمرا خشنا •

ان قوام سهل اربيل الجيولوجي يتخذ شكل حوض تقريبا • أن هذه الحقيقة ، بوصلها مع طبيعة الطبقات الارضية السفلية ، لتوحي بأن الاوضاع الملائمة لتفجير المياه الجوفية قائمة • أن كثيرا من مياه المطر المتساقط على التلال بشدة لا معدى عن ان يترشح من خلال الطبقات السابقة الموجودة فيه ، كما يتراءى انه من المحتمل بالتنقيب في الطبقات السفلى تنفجر كميات كبيرة من الماء لترتفع الى وجه الارض عن طريق ضغطها الذاتي • أن قيمة مثل هذا الماء لا تقدر ولا تحد •

وليست ثمة في الوقت الحاضر قنوات ، بالمعنى الذي تدل عليه « كلمة قناة» يستفاد منها في محافظة اربيل، وذلك على الرغم من وجود آثار قنوات دائرة قديمة • وتحفر فيه المجاري لينساب الماء من العيون الى الارض التي يراد ارواؤها ، ويستخدم العرب الرافعات في الانهر الكبيرة • ومهما يكن الامر ، ان الماء الرئيس لمحافظة اربيل ، في هذا الباب ، هو الـ (كريز) او (كهريز) على ما يرد في اللغة الفارسية والـ (كهريز) سلسلة من العيون المتتابعة متناقصة الاعماق ترتبط بمجرى ارضي يأتي بالماء في نهاية المطاف الى وجه الارض ويصيره صالحا للارواء سيحا • أن المخطط التالي يصور قصدي •



(أ ـ ب) : وجه الارض . (ج) : ماء حوفي . ال (دالات) : تمثل رؤوس الآبـار .

(ج ـ هـ ـ و) : مجرى الماء الذي يصل العيون بعضها ببعض .
(هـ) : النقطة التي يقاد عندها الماء الى الخارج . (هـ ـ و) : شق يأتي بالماء الى مستوى الأرض .

ان الماء الذي يحصل عليه ، على هذا الوجه ، لايزيد على قوتي مطحنة او ثلاث ،الاعلى الندرى . أن هذا لهو التعبير الذي يجري على لسان الكرد عندما يريدون الافصاح عن التيار المائي . لا يمكن بناء الكهاريز الا في اقليم يسفل بالنسبة للجبال ، وحيث الارض شديدة الانحدار .

قيل أن كان في سهل اربيل أيام الخلافة العباسية ٣٦٥ من الكهاريز ، وأن الطريق الماد من (اربيل) الى (الطون كوبرى) كان حافلا بالبساتين بحيث كان في مقدور طير أن يقفز من شجرة الى شجرة اخرى ، على طول الطريق . ومهما يكن من أمر ، ان قصة مثل هذا الطير تروى عن كثير من الاقسام التي تعدم الشجر فى بلاد ما

بين النهـرين[18] .

لاريب في أن قد كان هناك كثرة من الكهاريز ، فسهل اربيل مغطى بصفوف من رابيات صغيرة هي بقية الآبار المحفورة . وهناك نحو ٦٠ من الكهاريز تستخدم اليوم ، كما أن عددا عديدا من الكهاريز القـديمة يساود حفرها .

وثمة شيخ هرم في اربيل يدعى (اسطه فتاح) يعتد بالكهاريز خبيرا وفي مقدوره ان يقرر غريزة وفنا ، اين يجب أن تحفر وأين يجب أن لا تحفر وذلك عند معاودة حفر كهريز داثر قديم أو عندما يراد مد كهريز قائم . كانت اسرته ، عبر اجيال ، خبيرة بالكهاريز أيضا ، وسيخلفه أبنه عندما يرحل عن هذه الدنيا . وليس في أربيل من يملك هذه الصنعة حصرا ، ولم تجر محاولة لحفر كهريز جديد كليا ابدا . فعلم الاستنباء مجهول ، وأني زعيم بأن (الأسطه فتاح) لا يحكم الا بوضع الارض وبأعتبارات مماثلة وذلك بقدر تعلق الامر بالآبار القديمة

(١٨) كان لكهاريز الماء فى ارواء منطقة اربيل دور كبير في ايام العباسيين ذلك ان الارضين فيها تنحدر من الشرق الى الغرب ، وهذا الانحدار هو الذي بعث فكرة حفر الكهاريز وارواء الارضين ، وذلك باحتذاء الطريقة التى اتبعها الملك الاشوري سنحاريب في شق القنوات . وقيل ان قد كانت عدة الكهاريز ايام العباسيين فى منطقة اربيل وحدها ٣٦٥ كهريزا ، لذلك كانت المنطقة الكائنة بين مدينة اربيل والطون كوپرى حفيلة بالبساتين العامرة . وفي رحلة تافرينه : ١٦٢٨ ـ ١٦٤٢) الموسومة بـ (العراق فى القرن السابع عشر) ما يؤيد ذلك اذ يقول انه انتهى الى سهل ريع تكثر فيه الاشجار المثمرة ، وما هذا الا سهل اربيل عينه . يذكر (المؤلف) عن وجود ٦٠ كهريزا في ايامه ، اما اليوم فلم يبق منها الا عدد قليل معروض للاندثار نتيجة الاهمال فى التنظيف .

ومن الكهاريز الشهيرة (كهريز قاسم آغا) الكائن على بعد قليل من اربيل ، اى الجنوب الغربى منها ، وقاسم آغا هو والد يعقوب اغا سرى اربيل واحد شعرائها النابهين . (المترجم)

الدائرة وما الذي يجود بالنفع منها • أن حفر امثال هــذه الكهاريــز
العملية خطرة ، ذلك أن سقف المجرى الارضي ليس له من سناد ، وقد
يدفن الحفار فيــه حيا •

ويختلف الطقس في المحافظة من مكان لآخر لكنه،على العموم ،
معتدل • ففي اربيل لايحل اكثر من شهر حار جدا في السنة الا نادرا
وعندها يشير المحرار في الظل الى ١١٠ درجة ، وزيادة • وقد يهمي
المطر في اي وقت ، بين تشرين الثاني ونهاية ايار • ومعدل سقوط المطر
في سهل اربيل يتراوح بين ١٢ ــ ١٤ بوصة • وانه لاقل من ذلك بكثير
في صحراء (قره جوغ) ، واكثر جدا في التلال • وكانون الثاني اكثر
الشهور مطرا • والشتاء ، على العموم ، هين ، ويحس الناس بالبــرد
القارس غالبا • وتساقط الثلج طوال ١١ يوما في شباط سنة ١٩٢٠ ،
وهو اول تساقط له في اربيل منذ نحو ٧ سنوات • وفي سنة ١٩١٦ غمر
الثلج البلاد لمدة ٤٠ يوما فتجمدت مياه الانهار • انها (ســنة الثلج)
على ما تعرف من قبل الكرد ، وتستعمل في تأريخ الحوادث كثيرا •

ويصبح الطقس في آذار حــارا وحتى مختتم ايار يكون كــل
شيء على ما يرام • وتســاقط ، بين الفينة والفينة زخات مطــر فتغدو
الهواء طريا ، وتزدان البلاد بالزهور وتسرح • أن حزيران والنصف
الاول من تموز على حظ من الحر ، لكن ذلك ليس بمستكره فالليالي
لطيفة ببردها • ومن منتصف تموز حتى منتصف آب يحــس الناس
بطقس حار جدا وبريح شرقية لافحة • وفي النصف الاخير مــن آب
يصبح الطقس باردا على حين غرة ، وكل من شهري ايلول وتشــرين
الاول معتدل • ومهما يكن الامر ، فأن كل شيء جاف مغبر ، والذباب
كاسح ويشتاق المرء الى المطر لينزل ويغسل الوضر الذي تراكم خلال
الطقس الحــار •

ان المحافظة على غاية من الصحة الموفورة فيما خلا المنــاطق التي
تنبت الرز ، حيث البرداء (ملاريا) منتشــرة • وطوال ثوائي في اربيل
لا اتذكر حالة واحدة من حالات الهيضة (كوليرا) ، او الجــدرى او

الـ (تيفوئيد) . لقد عانينا من (السعال الديكي) اسؤا الامراض المعدية، وذلك على الرغم من ان (الانفلونزا الاسبانيه) ـ المعـروفه محليا بـ (اسـانيول) ـ كانت،قبل مجيئي، قد حصدت من الناس في سنة ١٩١٨ اعدادا كبيرة .ومن الغريب أنها كانت على اسؤا ما تكون في بعـض القرى الكردية النائية واخص بالذكر منها : (شقلاوة) حيث مات ، في بيت احد اغواتها كل رجل وأمرأة وطفل فيه . وماء الشرب ، لا سيما في سهل أربيل ، ممتاز وهذا يفسر الى حد كبير انعـدام الامـراض المعـــدية .

أن المـدن الرئيسة التي يعنينـا امرها في المحافظـة هي : اربيل (وسكانها : ١٤٠٠٠) نسمة[١٩] وهي واقعة في انهاية الشمالية لسهل اربيل وكوي (وسكانها ٥٠٠٠) نسمة[٢٠] وتقع عند حافـة (سنجق كوي) تحت (هيت السلطان داغ) والطون كوبرى (وسكانها ٢٠٠٠) نسمة[٢١] وهي مبنية في الاغلب على جزيـرة في الزاب الاصـغر . ورواوندوز (وسكانها ١٥٠٠) نسمة[٢٢] وتقع فيالنهاية العليا لـ(كلي) جاي رواندوز ، وشقلاوة (وســكانها ٣٠٠٠) نسمة [٢٣] وتقع على المنحدرات الشمالية لـ (سفين طـاغ) ومخمور (وســكانها ١٠٠٠)

---

(١٩) تقدر نفوس مدينة اربيل حسب تعـداد ســـه ١٩٦٥ بـ ٩٥٥٦١ نســـمة .

(٢٠) ذلك ما كان عليه ايام (الكتاب) اما اليوم فتخمن نفوس مركـــز القضاء وقراه بـ ١٦١٢٤ نســمة وناحية طـق طـق التابعة لـه ... ٤٧

(٢١) هى الان في محافظة كركوك وتخمن مجموع نفـوس الناحية وقراها بـ ١٠٣٧٦ نسـمة .

(٢٢) تقدر نفوس مركز القضاء وقراه اليوم بـ ١٠٦٣٢ نسمة وناحية بلك التابعة له وقراها ١٣٠٠٣ نسمة وناحية برادوسـت التابعة لــه وقراها بـ ٦٢٩٨ نـــمة وناحية ديـانه التابعـة له وقراهـــا بـ ١٠٧١٥ نســـمة .

(٢٣) شقلاوة الان قضاء وتخمـن نفوس ناحية (حــرير) التابعة لهـا بـ ١٢٤١١ وخوشناو بـ ٩٨٨٨ نســمة وصلاح الـدين بـ ١٢٤١١ نســـمة .

نسمة [٢٤] وتقع على الحافة العليا لصحراء قره جوغ • وسأتناول هذه الامكنة لدى بلوغها في مواقعها من السرد •

ويخمن مجموع سكان محافظة اربيل ،الذي يضم كوي ورواندوز، ولا يضم الطون كوبري ومنطقة رانية بنحو ١٠٥٠٠٠ نسمة[٢٥] •

أن اهم الطرق في هذه المنطقة هو الطريق الذي يصل الموصل بأربيل وبالطون كوبرى وبكركوك ، وبرأس السكة قرب كفري • وفي مكنة السيارات استخدامه كله • وقبل الحرب كانت ثمة تجارة كبيرة تنحدر في هذا الطريق نزلا •وكان الطريق الاسلم هو الماد بين الموصل وبغداد ، بالنسبة الى الطريق الاقصر المحاذي لدجلة • والارضون الكائنة بمحاذاة الطريق خصبة ، كثيفة السكان ولا معدى عن أن يكون طريقا عاما لآلآف من السنين •

يمكن عبور الزاب الاكبر في موضعين اثنين ، اما عند (كلك) او عند (الكوير) • وطريق كلك وعر لا يصلح لسير السيارات ، لكنه اقصر من طريق الكوير بـ ١٥ ميلا • ويعبر النهر بـ (معبر) [٢٦] ، وثمة جسر ممتاز بناه الاتراك ، لكن الذي ينقصه هو الشطر الضروري عبر مجرى النهر الرئيس• وكانت النية معقودة لاكماله بواسطة(جسرمعلق) وبما ان احد العمد الذي كان يجب أن يرتكن اليه قد هوى ، فيستنتج من ذلك ان اساس البناء كله كان غير باعث على الطمأنينة والرضى • وتقوم كثير من (الانصاب) الدالة على عجز الاتراك وفقدانهم الكفاية، لقد جيء بالماء اللازم لاكمال المشروع ، ما الى الشك في ذلك من سبيل لكنه اتخذ السبيل الى جيوب الموظفين الجشعين من ذوي المشاهرات

---

(٢٤) ذلك ما كان عليه ايام الكتاب ، اما اليوم فتخمن نفوس القضاء وقراه بـ ٥٩٦٨ نسمة وناحية كنديناوه وقراها بـ ١٩٧٩٦ نسمة والكوير وقراه بـ ١٥٦٩٠ نسمة وقراج وقراها بـ ١١١٣١ نسمة . (المترجم)

(٢٥) تقدر نفوسه الان (حسب تعداد ١٩٦٥) بـ ٣٦٠.٢٥٥ نسمة .

(٢٦) في الاصل • وقد حرفت هذه اللفظة الانكليزية على لسان عامة العراق وشاعت منذ الاحتلال فاصبحت (فريمة) . (المترجم)

القليلة ، او الطريق الثاني الذي ليس فيه من عسر يمر عبر الـ (كوير)، حيث يعبر النهر بواسطة معبر يمكن تشغيله في اي وقت ، فيما خلا قلة من الأيام أبان الطوفان • وثمة طريق مباشر يمتد بين (الطون كوبري) و (الكوير) ويمر من (ديبكة) ، وكان هـذا هو سـبيل المواصلات الرئيس ، بين الموصل وكركوك ، خلال الحرب •

والطريق المهم الثاني هو الماد من اربيل الى رأس السكة الحديد عند الشرقاط ، عبر (مخمور) • ان الطريق المباشر لايصـلح لسـير السيارات ، ويجب القيام اليوم ، بدورة كبيرة • ويعبر دجلة بواسطة معبر • لقد ازدادت أهمية هذا النهر كثيرا عند بلوغ السكة الحـديد (شرقـاط) •

ويمكن الوصول بالسيارة الى كل قرية في اربيل تقريبا • لكـن المواصلات على التلال سيئة جدا ، وكثير من المسارات عليها غير صالحة حتى لسـير الحيوان • وهناك عديد من الطرق المادة بين اربيل وكويسـ وكلها رديئة جـدا •

وثمة طريقان رئيسان يمتدان من فارس ويمران من منطقتنا • أن الذي يقع منها الى الشمال باكثر من ثانيهما هو الطـريق الآتي مـن (صاوجبولاق) ، العابر الحدود عند (كوره شيخ) والمـار في وادي (رواندوز جاى) نزلا ، ثم من رواندوز نفسها والمضيق عبر (دشـتي حرير) الى أربيل انتهاء • لقد استخدم الروس هذا الطـريق لـدى احتلالهم رواندوز وقد بذلت محاولات راسعة لأصلاحه • لقـد جيء بسيارتين اليه ، لاتزال بقايا احداهما تشاهد في قعر الـ (گلي) • وكانت العربات تمضي عليه في أيام الاتراك بانتظام • أن قيمته ، باعتداده طريقا تجاريا ، لترتكن الى الوضع السياسي القائم على جانبي الحـدود • وتتصل المسارات الآتية من (اوشنو) و (اورمية) بالطريق الرئيس عند رواندوز ، ويخرج منه مسار قبل بلوغ (ديـره) فيهيء سـبيلا مباشرا للقوافل الذاهبة الى الموصل عن طريق المعبر لدى (كردمامك) • والطريق الذي يتجه مغربا اكثر يعبر الحد بسبيل مضيق (وزنه) ثم

يمضي على سهل بشدر بيتوين حتى يبلغ كوي • والمسار فوق (هيبت السلطان داغ) وعر جدا • وتمضي القوافل من كوي الى (طق طق) على الزاب الاصغر ، حيث يوضع المسافرون والأحمال على الاكلاك لتطفو الى التون كوبرى وبغداد نزولا ، او يعبر النهر بواسطة معبر لتمضي الرحلة الى كركوك دأبا •

أن قائمة تضم اسماء الحيوانات ليست بوسيعة • وسأترك الحيوانات الأليفة الى فصل قادم • ومن بين اللبائن التي تعيش في السهل ، أشيعها : الغزال الفارسي ، والذئب الاغبر ، وابن آوى ، والثعلب الذي يستحيل لونه عند الاطراف الى اسمر شتاء وهو ذو كساء اسحم ، ثم الارنب والخنزير البري واليربوع والقنفذ وبقية القواضم المعتادة • وتوجد قطعان كبيرة من الغزلان في صحراء قره جوق ولحومها ممتازة وتدجن غالبا • والزعم الشائع أن الذئاب تسرق عددا كبيرا من الغنم ، لكن من يسرقها غالبا هم من بني البشر ، ذلك أن الرعاة يجدون فيها عذرا ممتازا يخدعون به سادتهم • والارنب صيد وفير لرؤساء الاكراد ـ شأنه كشأن الخنزير البري ، وهذا يلحق بالحاصلات ضررا كبيرا ، وفي بيتوين خصيصا • ولا يستسيغ الكردي اكل لحم الخنزير البري[37] الا قليلا ، وفي سنة ١٩١٩ جاءت وافدة من الفئران فألحقت ضرا عظيما بحاصل الدخن المستنبت على الانهر الكبيرة • كما اجتاحت البيوت فئران من نوع وقح غير معتاد • واليربوع بقدميه الخلفيتين الطويلتين وذيله المنفوش مخلوق جذاب جدا وفي الامكان أن يصبح حيوانا اليفا يسر دونما اعسار •

وفي التلال يوجد (الوعل : IBEX) بكثرة ، وهو حيوان يطلق عليه أسم (سور) ، وأني لأرى انها يجب أن تكون من فصيلة (أيل المسك : MUSK — DEER) شأنه كشأن الـ (وَشَق :

---

(٣٧) اكل لحم الخنزير محرم في الشريعة الاسلامية الغراء ، والكردي من اشد المسلمين تمسكا باوامر دينه ونواهيه • (المترجم)

LYNX)[28] وال (سناجب : SQUIRRELS) وال (سنسار : STONE — MARTENS)[29] وحيوانات صغيرة جدا .

والثعلب والخنزير البري ، شائعان جدا . والكرد شغوفون بصيد الوعل ، للحمه في الدرجة الاولى ، والطلب على جلودها وهي تتخذ غطاء للسرج . ولم ار الدب التام النماء شخصيا ، لكن جراءه تصطاد وتجعل اليفة . واني لأذهب الى أنها تنفق عادة ، ومهما يكن من أمر فما أن تكبر الا تصبح عسيرة القياد .والسنسار ذو قيمةبسبب من فروه ، ذلك أن جلدا واحدا من جلوده يشترى بنحو ١٤ روپية في نيسان سنة ١٩٢٠ . كما تباع كميات كبيرة من جلود الثعالب . أن ثمن الجلد الواحد منها : ٢ر٨ من الروپيات تقريبا .

وليست الزواحف ، فيما خلا الضفادع و (العضايات : LIZARDS)[30] ، بشائعة . وتوجد قلة من الحيات الصغيرة تشاهد في العيون ، لكني اذهب الى انها في الغالب غير ذات اذى . لكن الاكراد تروعهم للغاية ، لكنني لم اسمع أن شخصا مات من نهش حية ، فيما خلا امرأةبلغت من الكبر عتيا ، وكان ذلك في ظروف محفوفة بالريب الى ابعد مدى . وقد يعثر في التلال على افعى كبيرة ، وقد تكون اصلة : (PYTHCN) أحيانا .

والسمك كثير في الانهار طرا . والذي في الزاب الاكبر منه ممتاز، لكن نتاج الزاب الاصغر منه يتدمن نوع أدنى . أن السمك هذا ، في العادة ، يصطاد بالشباك ، وقد يجري سحبه بواسطة طعم مسموم على يد الاهلين ، ولا يصطاد السمك في الزاب الاكبر الا شتاء وربما ، وحين تكون الماء كدرا والطقس باردا يمكن من نقله وبيعه في اربيل .

---

(٢٨) من فصيلة السناسير طويل القوائم قصير الذنب في اعلى ذنبه خصلة من الشعر الاسود .

(٢٩) احمر اللون اصفر الحلق والصدر .

(٣٠) دويبة من الزحافات ذوات الاربع

راجع : معجم الحيوان لامين المعلوف (المترجم)

أن الطيور المتادة شبيهة ، في الغالب ، ما هو موجـود منها في انكلترة . أما الانواع الهندية الزاهية فمعدومة كليا . وتكثر العصافير والقنابر وال (فنج الذهبي : GOLD FINCHES) ، الـى كثير من صغار الطيور التي لا استطيع تسميتها . ويشاهد (خاطـف الذباب FLY CATCHER) ذو اللون الازرق اللماع الـذي يخطف بالبصر ، في السهول غالبا ، شأنه كشأن الهدهد وال (وروار : BEE — EATER) وهو صغير نحاسي اللون . وفي التلال يوجـد (أبو زريق : JAY)[31] وهو طير ابيض اللون اسوده وذو ذيـل طويل . ويشاهد الغراب الأسحم في كل مكان ، شأنه كشأن انـواع شتى من الحدأة والصقر[32] . ويحلق النسر متعاظما متعاليا ، ويحـوم بين الجبال . وفي ربيع سنة ١٩٢٠ قنصت فراخ صـقر ووزعت بـين زعيمين كرديين او ثلاثة زعماء ، وقد اشاع هؤلاء أنهم سيعمدون الى تـدريبها .

ومن طير الصيـد هناك انواع شتى عظيمة . اذ تشيع (الحباري العظمى : GREAT BUSTARD)[33] في سهل اربيل . ولم ار (الحباري الصغرى : LESSER BUSTARD) في هـذه المنطقة الا مرة واحدة . والدراج الاسود وفير بمحاذاة نهـر الـزاب الاكبر على حين لا يوجد الدراج الصغير ، او الـ (ســـي الهنـدي : INDIAN SISI) الا في التلال الخفيضة . ويكثر الـ (جيخور: CHIKHOR) في التلال الكبرى ، وهو طير كبير ذو قدمـين حمراوين ومن نوع الدراج . وتغطي أسراب القطا[34] العظيمة السهول

(٣١) أو (زرياب) طائر كالغراب اصغر اللـون اسـود الـذنب مخطط الجناحين بزرقة وسواد وبياض كثير .

(٣٢) الحدأ والواحدة حداة . طائر من الجوارح يشبه صوته صـهيل الخيـل .

(٣٣) وفي كلام العرب (ابله من الحبارى) .

(٣٤) وفي كلام العرب (احذ رمن قطاة) . (المترجم)

بين نيسان وتشرين الاول ثم تتجه (والطير ترى واسيلا عصائبه) جنوبا • ومن طيور الماء يوجد الـ (جهلول : SNIPE) والـ (حذاف : FEAL بوجه شائع شتاء مثأنهما كشأن انواع عديدة من الوز والبط • وثمة كركي كبير أزرق اللون ، والـ (قولون) موجود بكثرة ، ولحمه يستساغ آكله • والزقزاق ، وله حكاية صوت كعبارة : (OH DID YOU DO IT) الانكليزية ، والحمام يشاهد في كل مكان في السهول • ومن بين الطير طرا أروعها (سرب اللقالق نرجاة صواخبه !) وهو يتاهل فقرة خاصة به وشباط موعد وروده ، وتصحبه اناثه ،ومن بعده يبدأ ببناء عشه فوق اعالي الدور، انه ، في العادة ، يختار عشا قديما ، ولعله يبلغ من حيث العلو (قدما) ، ثم يضيف اليه شيئا • وعندما لايكون في جمع القوت والمادة ناشطا تراه واقفا على عشه يطقطق بمنقاره ، ويرفع رأسه،في نشوة ، تدريجيا حتى يأتي به الى عنقه فيمسها مسا خفيفا • ثم انه يعود بعد ذلك الى وضعه كرة أخرى ، ويبدأ العملية من جديد مرة أخرى • ومن الضوضاء التي يحدثها ، ومن الزعم القائل بأنه يحج الى (مكة) عند هجرته في آب من كل سنة ، يذهب الناس الى تسميته بـ (حاج لقلق) • أنه يبجل كثيرا ولا يفكر أحد في التدخل بما يعنيه ، أو ينال من عشه بضر ، ولعله يهمس اليهم بـ (سر الاعتراف) ، أن عمدوا الى ذلك ، موجزا • ولعلك تشاهد زوجا من اللقالق او زوجين فوق كل بيت ، خلال موسم بناء الاعشاش •

والحشرات وباء عظيم في كردستان • واولها وأهمها : (القمل) ، وسنحدثك عنه بعد هذا بأكثر • ثم تأتي بعده (ذبابة البيت) ، وبها تتصل ذبابة أخرى تشبهها في المظهر تماما ، لكنها تملك خرطوما حادا تحدث به الما ممضا • ومن المزعجات كثيرا : نملة حمراء صغيرة تكلف بالـ (بسكت) كلفا عظيما • والبعوض وافدة في الصيف والخريف ، وحيث يكون الارواء • وثمة (ذبابة تمر) وهي تشبه زنبورا كبيرا لونه أسود الى أصفر ، وتأكل الأثمار صيفا لكنها ليست على حظ من خطر

على ما يظهر . وهناك حيوان غريب ذو خصر ضامر وصوت عالي الطبقة ــ وأزعم أنه (دببه النمس . ICHNEUMON)[٣٥] وهو يبني لنسله بيوتا على جدر الغرفة كلها ثم يملاؤها بالفراشات . والعقارب شائعة ، السود منها ، والتي اكثر خطرا ميتا منها اعني (الصفر) شأنها كشأن العناكب من نوع :(GERRY MANDRUM) وهو عنكبوت كبير اصفر اللون ، طول نموذج منه ٦ انجات من ركبة الى ركبة . وبعض الناس يشغفون بصيد العقارب وواحد من هذا النوع من العنكبوت ويضعونها في صحن ليشهدوا العراك الذي ينجم بين الطرفين ، ان الاخير هو الغالب دوما ما لم ينتفخ فلا يستطيع حراكا، انه ليمسك بذيل العقرب تحت (حُمَتها) تماما وذلك بواسطة افكاكه السفلية القوية ، وينشرها كالمنشار ، ثم يبدأ بالتهام ضحيته [٣٦] .

وهناك عناكب نحاسية اللون وخضراء لماعة تشاهد طائرة من زهرة الى زهرة ، في الفصل الضاحك من السنة . وما ان يحل الصيف الا يعج جو الريف ويعج بصوت الـ (زيز) و (الجراد) ومن الفراش المبثوث ، ومن هذه نحو مئة نوع موجود حتما . وقد يفد الجراد ، في الاحيان، على اسراب ، فيلحق بالمنتوجات ضرا عظيما . لكن ما يوجد من الفراشات في المنطقة قليل ، وهذه تشبه نظيراتها من الأنواع الانكليزية [٣٧]. ويجري الحفاظ على النحل في قرى التلال وهو ينتج عسلا ممتازا .

ولن اتكلم عن عالم الخضراوات باسهاب . ويكسو شَعَفَه التلال ، على علو ٣٠٠٠ من الاقدام : شجر البلوط ، والعرموط البري،

---

(٣٥) راجع (معجم الحيوان لامين المعلوف) . (المترجم)

(٣٦) من الظريف ان نذكر في هذا الصدد ان انثى العنكبوت تاكل ذكرها بعد التلقيح توا . (المترجم)

(٣٧) مملكة النحل عالم عجيب . ولقد ادهشت الانسان مملكته لانها انثى تحشد جميع الذكور في مملكتها لخدمتها وتختار اقواهم زوجا لها وبعد أن يلقحها يموت . لقد اثبت الطب الحديث ان العسل على حظ كبير من الفائدة في شفاء كثير من الامراض .

(المترجم)

والزعرور وغيره من نجوم الشجر ، وكل ذلك حتى علو ٧٠٠٠ من الاقدام ، وما بعده فالشعاف جرد • وعند الساقيات تشاهد اشجار الـ (جنار) والدردار والجوز والحور والتوت والصفصاف • ولقد شهدت شجر العرعر في بقعة واحدة حسب • ان الاشجار المخروطية الشكل معدومة بالمرة • وتزكو الدفلى بمحاذاة مجاري الماء ، بين اقدام التلال ، وهي تزهر بشكل مونق خلال الموسم الحار • وفي السهول لا تنمو الا قلة من الشجر البري ، وقد تشاهد شجرة توت بين الفينة والفينة ، ومن الماء قريبة • ان النبت الخاص بالمنطقة هو العوسج والعاقول • ويعثر على عرق السوس بكثرة ، من الماء بمقربة، ولا سيما على ضفتي الزاب الاكبر •• وتستنبت انواع عديدة شتى من شجر الفاكهة والخشب ، وسنتطرق اليها بعد هذا •

وفي الربيع تأخذ الارض زخرفها وتزين بالزهر ، وذات يوم احصيت ٣٠ نوعا مختلفا منه ، ضمن ٣٠ ياردة كائنة في ساحات بيتي• واشد ما هو ملحوظ منها في السهل واستطيع الى تسميته سبيلا : شقائق النعمان بالوان : الـ (موف MOUVE) والابيض والقرمزي و (كف السبع : RANUNCULUS) الاصفر ، وانواع شتى من السوسن ، و (العسيلاني : HYACINTH) والخبيزي ، وهي على لونين ، و (اللبيدة البيضاء) [٣٨] و (زهرة الخشخاش) ينضاف الى هذه عدد عظيم من الزهر الرائع الذي لا استطيع الى استكناهه سبيلا ، وبضمنه : زهرة رقيقة من ابهج لون ازرق شبيهة بزهرة : (CANTERBURY BELL) واخرى ذات ساق طويلة تحفل بنور ابيض ذي مراكز سوده وكلتاهما تنبتا ن بين سيقان الحنطة الخضراء : قريبة من زهرة الخشخاش والخبيزي • وثمة زهرة ذات لون قرنفلي تنمو على شكل باقات ، وعلى ساق طويلة ، وهي تكاد تغطي ، في نيسان ، الوديان الصغيرة ، بين التلال الرمل في منطقة كوي • وتتلألأ بين العشب كثرة

....

(٣٨) رجعنا في ترجمة اسماء الازهار بهذه في الغالب الى (معجم اسماء النبات للدكتور احمد عيسى • (المترجم)

كاثرة من ورد صغير ذو لون ابيض واصفر وازرق . واذك تجـد في اعالي التلال (النرجس) وقد نبت على مساحة من افدنة ، وزهر البنفسج و(العنصل: SQUILLS) و (شقيق النعمان : BUTTERCUPS) و (المنمرات : FRITILLARIES) و (الاوركيد ORCHLDS و (الخزامى : TULIPS) وهذه كبيرة الحجم قرمزية اللون ، والورد والاقحوان . وفي كل اسبوعين تزين سفوح التلال وترتدي كساء ، مختلفة الوانه ، حتى ينقطع تسكاب المطر فتعود الى لونها الاسمر الباهت ، وهذا ، في الغالب ، يغدو اسمر اللون حين تلفحه لظى تستعر أبان فصل الصيف .

الفصـــل الثالث

الاكــراد

يقطن محافظــة اربيــل الاكراد طرا ، فيما خلا سكان مدينــة اربيل [1] ، وقلة من النصارى في (عينكاوة) و (شقلاوة) و(كوي) ، وثمة قرى متناثرة عربية في (شمامك) و (قره جوغ) •

وعلى الرغم من ان الاكراد شعب من اشــد الشعوب رجولــة وفحولة [2] وانهم يقطنون قسما كبيرا من (الشرق الاوسط) ، وانهم من الجنــس الآري ، من جنــنا سواء بسواء ، فأن النــاس في بلادنا لا يعرفون عنهم شيئا تقريبا ، ولا معــدى عن ان يكون الكثيرون لم يسمعوا باسمهم ، قبل الحرب ، ابدا •

---

(١) في اربيل اكراد وتركمان وعرب ، واشهر العشائر الكرديــــة في محافظة اربيل هي : (دزه‌يي) و(كردي) و(خوشناو) و (الســورجية) و (بارزان)و (برادوست) و (الهركيــة) و (ناودشــــت) و (بالك) وعشائر صغيرة اخرى . (المترجم)

(٢) لقد كان لمنعة موطنهم الجبلي والصحراوي اكبر الاثر في طبيعتهم فنشأوا نشأة المحاربين الباسلين الاشداء ، ولما كانتمواطنهم قليلة الحاصلات نسبيا ، فقد صار داب القبــائل اما غزو المــــناطق الريفية المستقرة ، على غرارا ما يفعل البــــدو ، او الترحل وراء المرعى والمستقى • ولقد اطلق عليهم الآشوريون اسم (كاردو) . والظاهر انهم كانوا يثيرون المتاعبوالصعاب لجيرانهم الآشوريين، لذلك كان هؤلاء يشنون عليهم الحملات التي ما كانت تصيب من النجح الا قليلا . (المترجم)

وقد يسأل القارىء : «حسنا ، واين يقطن هذا الشعب الرائع[٣]، ولِمَ لم يجعل سلطانه محسوسا في السياسة الشرقية ، اذن ؟ ان اسم (كردستان) الذي يعني (بلاد الكرد) يشاهد مكتوبا بحروف كبيرة على خوارط الشرق الاوسط ، لكن المرء لو عمـد الى التفتيش عن حدوده فلن يعثر عليها ابدا .

ذلك ان هـذا التعبير ينطوي على شطر كبير من بلاد ما بين النهرين الشمالية ، وهي الآن تحت الاحتلال البريطاني [٤] ، وعلى قطاع وسيع بمحاذاة الحد الفارسي الغربي ، وعلى ارض متراصة تحت السيطرة التركية فيما حول مدن : (وان) و (ارضروم) و (بدليس) و (خربوط) و (ديار بكر) ، بل وحتى على شطر من الارضين الواقعة ضمن النفوذ الفرنسي، شمالي حلب [٥] . ان هـذا ليفسر : لِمَ لا نسمع عن الاكراد الا قليلا . انهم ، كشعب ، لا يكوّنون وجودا

(٣) ساعد موطن الاكراد ، منذ القديم على نشوء دويلات منفصلة عن بعضها ، مكتفية بنفسها اقتصاديا ، وهذا سبب في تعدد اللهجات الكردية ايضا . ان اللهجتين الرئيستين همـا : (سوراني) و (بهديناني) وثمة لهجات اقل شأنا هي : (الفيلية) و (اللرية) و (الهورمانية) و الـ (زازانية) . ومن الـدويلات الكردية في تاريخ العراق القديم (كوتي) و(لولو) و (كاساي) و (ارانجا ــ كركوك)و (ميتاني) و (دولة الكيشيين) و(اوراتو) ، والماديون هم الذين نسلوا الكرد على اشيع الاقوال .

(المترجم)

(٤) ذلك ما كانت عليه الحال ، ايـام الاحتلال البريطاني الـدابر البغيض . اما اليوم فالمناطق الكردية جزء لا يتجزأ من العـراق ؛ والاكراد شعب يتآخى مع قوميات العراق الاخرى ويتمتع بشرف المواطنة على اساس من وحدة التراب والدين الواحـد والتاريخ المشترك والاقتصاد المتشابك والمصير المتحد والآمال المتظافرة .

(المترجم)

(٥) ذلك ما كان عليه الامر ايام الاحلال الفرنسي البغيض الدابـر في سورية ، اما اليوم ففي سورية اكراد يتمتعون بشرف المواطنـة مع اخوانهم العرب سواء بسواء .

(المترجم)

سياسيا ، وانهم مجموعة من القبائل من دون تراص ، وهم لا يبدون في التراص الا رغبة قليلة • وانهم ليفضلون العيش في حصونهم المنيعة، ويقدمون الطاعة الى اية حكومة قائمة ، ما دامت لا تمارس ما لا يزيد على سلطان رمزي عليهم ، الا لماما •

والكرد آريون ، والزعم الشائع انهم والشعب المادي القديم سواء • ان (زينوفون : XENOPHON) يشير اليهم باسم (كردوجى) [٦] • واشهر كردي في التاريخ هو (صلاح الدين) ، وهو الذي جعل اربيل ، ذات مرة ، عاصمة له [٧] • ولقد اقام الزعماء البارزون ، غالبا ، دولا مستقلة ، واشهرها في (بايزيد) في القرن السادس عشر ، وفي رواندوز والسليمانية في الازمنة المتأخرة ، لكن هذه الدول كانت تتهاوى ، عادة ، اثر وفاة مؤسسها في غضون سنوات قليلة •



البطل صلاح الدين الايوبي

---

(٦) لعلها (كدراها : KUDRAHĀ) الواردة في الكتابات المسمارية .
(المؤلف)

(٧) الذي تذكره كتب التاريخ انها كانت حاضرة السلطان مظفر

ان اللغة الكردية ممتعة للغاية ، وانها ليسيرة التعلّم بالنسبةالى من يعرف الفارسية ومن يملك الفرص الوفيرة للتحدث بها مع اهلها • وعلى الرغم من الزعم القائل بان اللغة الكردية خالصة محضة لكنها تشبه لهجة فارسية خشنة ، وتتراءى لغير الاختصاصي باصول اللغات ذات علاقة بهذه اللغة وعلى غرار العلاقة بين لهجة (يوكشر : YORK SHIRE)العريضهوبيناللغة الانكليزيةالرشيدة•وليست للكردية (الف باء) خاصة بها ، والحروف العربية تصطنع في كتابتها• ولما كان كثير من الاصوات ، وحروف العلة منها بخاصة ، تقع فيها ولا تقع في العربية، لذا كانت كتابتها بحروف عربية طريقة غير سديدة• وهذا يفسر لم لا تكتب هذه اللغة الا على الندرى •وفي محافظةاربيل تصطنع الفارسية في المراسلات بين الزعماء الاكراد حصرا ، وفى محافظة الموصل العربية •وفي السليمانية تستعمل الكردية فيالمراسلات الرسمية وذلك بعدما سعى (المقدم اى•بى•سون) جاهدا لحمل اهلها على اصطناع لغتهم الخاصة • واخذت تصدر صحيفة باللغة نفسها • وقدم مقترح محصله استعمال الحروف اللاتينية لانها توائم هذه اللغة باكثر من الحروف العربية • ولما كان الاتراك قد اطبق عليهم الشعور بـ (الوحدة الطورانية) [٨] فانهم بذلوا افضل ما في مكنتهم فيسبيل الاجهاز على اللغة الكردية ، لذلك فليس هناك الا القليل من كتب النحو والكتب المدرسية مكتوبة بهذه اللغة ، أن لم تكن معدومة

الدين كوكبرى الاتابكي فى اواخر القرن السادس للهجرة ويشاهد من آثاره في اربيل الآن (منارة اربيل) ، ولم نسمع بان صلاح الدين الايوبي اتخذها عاصمة له ، وسنزيدك عن تاريخ المدينة تفصيلا في مواضع مناسبة .

(المترجم)

(٨) ان هذه الروح الطورانية هي التي ولدت عند الشعوب الاخرى التي كانت تنتظم في الانبراطورية العثمانية حركات مضادة ومنها الشعب العربي ممثلا اولا بـ (جمعية الفتاة والحزب المركزي) للمطالبة بالاستقلال الذاتي عن تلكم الانبراطورية .

(المترجم)

بالمرة •لقد وضع (المقدم سون) كتابين في النحو الكردي-الانكليزي•

وللغة الكردية لهجات كثيرة ، وهذا امر لا ندحة عنه بالنسبة لشعب ينتشر انتشارا وسيعا ، وليست له لغة مكتوبة • وتنقسم هذه اللهجات الى مجموعتين: شمالية وجنوبية•ومحافظةاربيل وسط بينهما• واللهجة في منطقتي (اربيل)و (كوي) جنوبية متمايزة ، على حين تستعمل القبائل القاطنة شمالي رواندوز ، واخص بالذكر منها القبائل الرحالة التي ترتاد نزلا سهل اربيل شتاءا ، لهجة شمالية • ولكل قبيلة خصائصها المميزة ، وثمة طائفة تدعى (دربندلس) تقطن في قلة من القرى حوالي (طق طق) على الزاب الاصغر ، لها لغة غير مفهومة تماما، وذلك بالنسبة الى جيرانها المباشرين • وفي كوي تروى قصة عن انكليزي مخبول جاء اهلها يسأل ما الكلمة التي يصطنعونها للدلالة على (فتاة) ؟ •وما ان علم ان (دربنديس) تستعمل كلمة (دوت : DAUT) قارن ذلك بكلمة : (DAUGHTER) الانكليزية الا هرع الى احدى القرى توا وامضى اياما عدة في دراسة لسانهم الغريب • وعبدالله باشا ، كردي من رواندوز ، حين عينته الحكومة العثمانية قائمقاما في العمادية وجد ان عليه ان يتفاهم مع السكان الاكراد بواسطة اللغة الكردية ، اذ تعذر ذلك باصطناع لغتهم الخاصة •

وثمة ادب كردي ، وافضل المؤلفين فيه : (شيخ رضا) [٩]الذي

---

(٩) ولد في ناحية (بازيان) بقضاء جم جمال ، وقد اتصل بالاديب والشاعر التركي في ايامه (نامق كمال بك ، واشعاره شتى : اجتماعية وهزلية وهجائية وفلسفية ومدائح ، وهي يسيرةاللفظ عميقة المعنى • توفي في ١٣ كانون الثاني سنة ١٩١٠والمنية غاية (اليها التناهي : طال او قصر العمر !) ودفن في الحضرة الكيلانية ببغداد ، وعلى قبره كتب بالفارسية ترجمتها : (يا رسول الله ! ماذا! عسى أن يكون لو سمحت ان اكون مثل كلب اهل الكهف فادخل الجنة في زمرة احبابك ، وهل يليق ان يذهب هو الى الجنة وانا الى الجحيم على حين هو كلب اصحاب الكهف وانا كلب اصحابك) • وله ديوان غير كامل طبع ببغداد سنة ١٩٣٥ •

(المترجم)

نظم الشـــعر في اربع لغى . انــه من اهل كركوك وينتمي الى الاسرة الطالبانية ، نابهة الشأن . وكان ابنه قائمقام رانية التركي خلال ايام احتلالنا البلاد . وتشيع الاغاني الشعبية وما يصطنع منها ، في محافظة اربيل ،هو في الغالب بلهجة الشمال ،وان ما تعالجه لهو الهجاء والهوى.

ان غالبية الشعب الكردي الآن ، هي على المذهب السني ، وكان الاكراد قد اتخذوا الدين المحمدي في وقت مبكر جـدا ، لا تستثنى منهم الا قلة من القبائل، ولقد كانوا ممن لا دين لهم تقريبا حتى جاءهم الاتراك ، الذين بحصافة سياسية عظيمة رأوا ان الوسيلة الوحيدة التي يستطيعون بها ربط هذا الشعب بهم هو اتخاذ دينهم دينا . (كـذا : المترجم) ، ولقد بذلوا افضل ما في مكنتهم لنشر الاسلام وازدهـاره بين الاكراد طرا . وكـانت النتيجة انه ، على الرغم من بقـاء آثار الـ (لادينية) فوق اعالي التلال ، وعلى الرغم من اذ الفلاح الريفي قـد يغفل شأن رمضان ويأكل لحم الخنزير ، لكن الطبقـــة الفضلى من الاكراد شديدة التمسك بايمانها وتقيم الصلوات في اوقاتها . لكن ذلك كفعلة الصبي التي تجيء استجابة لامر صادر له ممن هم اعلى منـه سنا (كذا : المترجم) ، وليس عن ايمان بضرورة الصلاة وشأنها .لقد شهدت اكرادا يقطعون صلاتهم غالبا ، من دون ان يغيروا مواضعهم ، ليضيفوا ملاحظة الى محادثة يعنون بها . ويستتبع ذلـك ان الاكراد عادة ليسـوا على شيء من التعصب ، وذلـك على الرغـم من النفوذ الكبير [١٠] الذي يمارسه شيوخهم والملالي فيهم ، وهم الذين يضعون

---

(١٠) في كثير من الاقاويل وهم وتخليط . وبصدد دين الاكراد نقول : كانت العقيدة الزرادشتية قد ظهرت في فارس ومادي قبل الميلاد المسيحي بستة قرون ، وممن اعتنقها اكراد هاتيك الايام ، وعند ظهور الـدين المسيحي اعتنقه منهم فئـــة قليلة هم النساطرة الحاليين والآشوريون اصلا . هذا ولما ظهر الاسلام واشرق بنوره الألاء على ديار الكرد ، اخذ هذا الشعب الحي الاصيل يتـــدبر الديانة السمحة فوعت قلوب ابنائه مبادؤها القويمة فاقبلو عليها قلبا وقالبا . راجع :

SIR MARK SYKES : THE CALIPHS, LAST HERITAGE

(المترجم)

فيهم اعمق ثقـــة •

ولاتدل كلمة (شيخ) في كردستان على (الزعيم القبلي) وعلى غرار ما تدل عليه بين العرب • أنها تطلق دوما على رجل روحاني مبجّل اما بسبب من أنحداره من أصل مقدس (بيت النبوة الطاهر : المترجم) أو بسبب حياة التقوى التي يسير عليها • وعلى ذلك يطلق اسم (الســادة) او المنحدرين من صلب النبي (صلعم) لقب (الشيخ) تقريبا • وبعــض الشيوخ رجال من الصالحين حقا ، وآخرون منهم مترمتون كائدون •

وسنصور نفوذ هؤلاء الروحانيين تصويرا واضحــا في سياق هــذا (الكتاب) • وثمة نصيحة سديدة تسدى الى كل مسافر في كردســتان محصلها : أن يحترمهم أحتراما كبيرا حين يلقاهم وأن يكون في اللقيا حفــيا •

وفي كل قرية (ملا) تقريبا ، أنه يقدم (المضافة) دوما ليقوم باقراء زائر كريم ، وهو ذو فائدة جدا باعتداده ، أن احتيج اليه مترجما • أن هؤلاء (الملالي) ليسدون الزعماء النصح في كل ما يصنعون ، وأن كل زعيم كردي صالح عرفته لديه (ملا) بلغ من العمر عتيا ،يقف وراءه ، و (بابكر اغا) البشدري خصيصا • أن بابكر اغا اكبر زعماء كردستان طرا ، وفي الاحيان ، اشدهم ولاءا ، وأنه ليستند الى نصيحة روحــاني بلدي كليا • هذا وان الملالي ، ايضا ، هم معين التعليم في رساتيق[11] كردستان حصرا •

ولعل بعض القبائل الكردية في الشمال كانت على دين النصـــارى في يوم ما • وثمة بقية باقية منهم موجودة بين ظهراني النساطرة • كما ان قبائل أخرى تنستر على شعائرها اللادينية سجف من احترام المحمدية

(١١) الرساتيق • (جمع رستاق) اي القرى •

وغدت (قزلباشية)[١٢] و(كاكائية)[١٣] وفي اقصى الجنوب توجد قبائل عديدة تخضع الى النفوذ الفارسي ، وتشيع . لكن الاكراد في محافظة أربيل هم على المذهب السني جميعا فيما خلا قريتين من قرى (صاره لو)[١٤] .

وعلى العموم ، أن جميع الاراضي الكائنة شرقي دجلة وشمالي خط يمتد من مندلي الى مقرن الزاب الاصغر بهذا النهر هي موطن الاكراد . وأن أهم مركزين ، جنوبي الزاب الاصغر ، هما : كركوك والسليمانية . أن المدينة الاولى ، على غرار اربيل ، ذات سكان اتراك ، أما الاخيرة فكردية خالصة . أن كلا منهما مركز وحدة سياسية .

والاكراد في هذه المنطقة مستقرون في الغالب ، وفيما خلا (الجاف) و (الهماوند) ليس لهم من شعور قبلي الا لماما . ويعثر على منظومات قبلية عظيمة في شمال الزاب الاصغر ، امثال : دزه‌يي وبشدر . وأن العشائر المتبدية القاطنة في جبال راوندوز هي على حظ عميق من الشعور .

---

(١٢) الـ (قزلباشية) هي من المذاهب الدينية التي اعتنقها بعض الاكراد ومعنى (قزلباش) بالتركية (ذوو الرؤوس الحمر) وقد اطلق اصلا على الفرس في عهد الصفويين للبسهم غطاء رأس احمر اللون ثم صار لقبا يطلق على غلاة الشيعة . وهناك من يرى انها من طرق الصوفية وقد ورد ذكرها في كتاب (الاعلام باعلام بيت الله الحرام) للقطب المكي .

(المترجم)

(١٣) والـ (كاكائية) لا تختلف عن الـ (قزلباشية) وبالاحرى ان الواحدة توضح الاخرى .

(١٤) (صاره لو) او (صاروليه) او (صارلية) وهي قبيلة تركمانية من الكاكائية . وهناك من يذهب الى انها مشتقة من نحلة واسمها من عبارة (صارت لي الجنة) . ورؤساء القبيلة سادة كاكائية وهم متفرقون في بعشيقة والقوش وكثرتهم في اربيل على ضفة الزاب الاعلى .

(المترجم)

آن المراكز الرئيسة الكائنة فيما وراء الزاب الاكبر هي: (عقرة)[١٥] و(عمادية)[١٦] و (زاخو)[١٧] ، وحولها تقطن بعض قبائل كردستان التي هي على اشد حال من التوحش والتبدي •

ومرادي في هذا الفصل أن أصف بأيجاز مظهر حياة الكرد الذين يقطنون بين الزابين وأسلوبها •

فالاكراد في محافظة اربيل ينتمون الى نوعين رئيسيين : الـ (دندك خوار) اي : «أكلة كعك الحنطة» القاطنين في السهل ، والـ (دوشاب ـ خوار) أي «شراب عصير العنب» القاطنين على التلال • وكل ذلك على الرغم من وجوب التذكر بأن جميع الاكراد هم من أهل التلال أصلا ، وأن سكان السهل قد غادروا تلالهم قبل قرنين أو ثلاثة أقرن من الزمان ، وأنهم لايزالون يحتفظون بخصائص أهلها • وثمة فارق عظيم في النوعين دوما ، وذلك بقدر تعلق الامر بمظهر الحياة وأسلوبها ، وبين (الآغا) وبين الفلاح •

---

(١٥) بيوت عقرة مبنية في لحف جبل ، وهي على طبقات تعلو كل طبقة منها طبقة اخرى ، وفيها شلال ارتفاعه نحو ٣٠ مترا يسمى : (سوريا) . وقد ورد ذكرها في معجم البلدان لياقوت اذ سماها (عقر الحميدية) .

(المترجم)

(١٦) قال ياقوت الحموي ان الذي عمرها هو عمادالدين زنكي (سنه ٥٣٧هـ = ١١٤٢م) ، وصلاح‌الدين الايوبي من اشره رجاله . لقد بنيت على حصن كان للاكراد يدعى (آشب) ويقول المستوفي ان الذي جدد عمارتها هو عماد الدولة الديلمي المتوفى (٣٢٨هـ) . واخبار حكام العمادية البهدينانين ماثورة في الشرفنامة ولعل اسم (آمات) الواردة فى الكتابات الاشورية يشير الى العمادية ويطلق عليها الاكراد اسم (آميدي) .

(المترجم)

(١٧) لا يعلم اصل اسمها على التحقيق ولعله آرامي من (زاخوتا) اي الغلبة والظفر ، كما لا يعرف تاريخها . ونسترجع انها قامت في موضع (الحسنية) التي يذكرها البلدانيون العرب .

(المترجم)

والفلاح الكردي ، على العموم ، قصير القامة ، عريض المنكبين ، نحيل الجسم ، طوله لا يزيد على ٥ اقدام و٦ أنجات الا على الندرى، لا يستثنى من ذلك الا السهل حيث يوجد فيه رجال هم أكبر من هذا . أنه يرسل اللحية ، لكنه ، في العادة حليق الرأس ، فيما خلا حافة صغيرة . وأن له وجها آريا نمطيا ، فيما خلال من كانت عيونه مغولية ضيقة . والشعر اسود اللون ، عادة ، او هو أسمر غامق ، اما العينان فسمراوان ، والبشرة زيتونية فاتحة ،وهي على غرار بشرة الايطاليين أو الاسبان أو افتح منها . وليس من النادر أن تجد من شعره أحمر مشرق وعيناه زرقاوان ووجهه منمش .

ولباسه يتألف ، في العادة ، من قميص قطن أبيض ذي اردان طويلة وسراويل (شروال) قطن فضفاضة وسترة سوداء مضرّبة تتقاطع في الايام على المعدة ومطوية في السروال . ويلف حول خصره قطعة طويلة من خام مطبوع مثنى الى أمام والى وراء . أنه في العادة أزرق وأسود اللون ، وقد يبلغ طوله من ٣ ــ ١٥ ياردة . وعندما يلف يشغل المساحة الكائنة بين الخصر والابطين . وهو في الشتاء يرتدي ، بالاضافة الى ذلك السراويل المصنوعة منغزل حيك في البيت عادة ، وهذه غالبا ما تكون ذات خطوط زرق وتهبط حتى الرجل . كما انه يلبس فوق سترته معطفا من اللباد الخشن أبان الطقس القر أيضا . ولهذا المعطف اردان قصيرة خشنة ، ولما كانت الايدي لا تدخل فيها الا نادرا فأنها تبرز من المنكبين فيشبه لابسها الزوال[١٨] . وغطاء الرأس عنده يتألف من طاقية يلف حولها لفا هينا كميتين او ثلاث كفافي من حرير أو قطن . وفي التلال يرتدى الناس لباس رأس من لباد مخروطي الشكل وعليه شرائط ، وهذا في العادة يستعاض به عن الطاقية . وابان موسم الحصاد يرتدي الناس فيسهل اربيل قبعة وسيعة من لباد وهي ذات

---

(١٨) في الاصل :SCARECROW وهو نصب على هيئة انسان يقام في المزرعة ليذود الطير عن الثمار والخضراوات .

(المترجم)

خفاف . أن خصلة كبيرة من شعر المعزى تعلوها تظهر لابسها اكثر شبها بقاطع طريق . وعلى التقريب يمكن التوثق دوما من أن الشخص محمدي أو نصراني أو يهودي ، فأن كان محمديا فمن أية قبيلة ومن أي مكان ، وكل ذلك من الطريقة التي يشد بها غطاء رأسه . وفي صقع رواندوز يختلف الناس أختلافا يسيرا . فالسراويل ذوات الفتحة الشبيهة بالجرس ، والتي هي على غرار ما لدى البحارة مصنوعة من غزل محلي ترتدى مع سترة خفيفة مصنوعة من المادة نفسها ، مشفوعة بالسترة المضربة او من دونها ، وهذه تكون تحت الاولى . أن هذه السراويل خاصة بالاكراد الشماليين ، أو سراويل أهل الجنوب فهي فضفاضة في الاعلى ضيقة في الاسفل دوما .

ويتالف حذاء الكردى من انواع من النعال شتى ، وابرزها هذا الذي يسمى قالَق) . أنها مصنوعة من قطعة واحدة غير مخاطة من جلد الجاموس ، موائمة للقدم ، ومزينة في الاعلى بصوف أو حرير ملون . وعلى جانبي الكعب ثقوب ، وبعون منها يمكن شد النعل بالقدم ، وذلك بواسطة حبل من صوف سميك . أن هذا (القالق) يحتذى به في اصقاع التلال . ويرتدي أهل رانية جوارب حسنة الصنع ، منسوجة من صوف أبيض اللون ، وهذه تصل حتى الركبة . ويرتدي بعض شباب اغوات قبيلة (دزه يي) أحذية ركوب طويلة . والاغوات ، في القبائل الكبير ، وهم من دأبت أسرهم طوال قرون عديدة على أن تكون في معزل تام عن العمل اليدوي ، هم من طراز خاص . أن طول الواحد منهم ليبلغ ، في الاحايين ٦ اقدام ، ولهم عادة من ملامح النسر الوسيمة. وأني لاعرف واحدا او أثنين منهم على خط كبير من قوة الجنان ، وهذه في كردستان تصادف الا على الندرى . أن ملابسهم تشبه ملابس الفلاحين ، وذلك فيما خلا المادة التي تصنع منها ، اذ هي اغنى ، والوانها اكثر أشراقا . وفي السهول يرتدى القوم بدلا من السترة المضربة لباسا طويلا من حرير زاه يصل الارض عادة . أن هذا شيء

جاء من العرب • وتعلوه سترة قصيرة من قماش ذي الـوان : ازرق ، واسمر ـ وبني ، وشكلها لايابن (سترة ايتن : ETON) وهي موشاة في الاحيان بالذهب • وفي المناسبات الرسمية تلبس العباءة العـربية • وقد يشاهد الرجل الهرم لابسا ، في الاحيان ، سترة مضربة من حرير لونها اصفر فاتح او وردى تصل الى ما تحت الركبتين • وفي القبـائل القاطنة في التلال النائية لايختلف لباس الـ (آغا) عن لباس آحاد قبيلته الا قليـلا •

ولا معدى عن كلمة تقـال في الاردان البيض الطويلـة التي يصطنعها كل كردي • أن العرب في الاغلب تصطنعها أيضا ، لكن ذلك من دون مبالغة في طرزها • ولقد سألت مرات كثيرة عن السـبب في طولها فأجبت : أنها لتمكن لابسها من ربط نهايتيـها خلـف رقبته ، وبذلك يستطيع أن يسحب اردان سترته حتى تبلغ مرفقه ، فتغدو ذراعاه حرة للعمل • الاكل او الاغتـسال والقتال على وفق الحاجة • وعندما لا تكون هذه الاردان مشدودة الى وراء الرقبة فأنها تلف حول الذراع فوق الرسغ عادة وتفك هذه عند اقامة الصلاة •

والنسـوة عند بروزهن للمجتمع يرتدين دوما لباسا ازرق اللـون حالكة ، وفيرا ، عند الخصر مشدودا • وهن يتوجن رؤوسهن بعمامة صغيرة من اللون نفسه • انهن النسـوة الوحيدات في الشـرق ممن يرتدين لباس الرأس هذا • وباستثناء زوجات الزعماء ، انهن لسـافرات دوما • وتثقل الحلى الاطفال الصغار عادة ، ولباسهم ذو الوان فاتحة حتى يبلغوا السابعة اوالثامنة من العمر حين يكون ذلك على غرار لباس من هم اكبر منهم سنا •

والاكراد يعاملون نسوتهم باحترام يفوق احترام جل الشـعوب المحمدية الاخرى • ولا يعمد الى عزل زوجاتهم الا الشيوخ ، ولقـد نجحت هذه العادة في وقت متأخر جدا ، ومردها الى التأثيـر التركي

حصراء[١٩] وتتجول النسوة في كل مكان بحرية شأنها كشأن الرجال ولقد عرفت زوج (مختار) احدى القرى تتخذ الى (المضافة) سبيلا . والعادة الجارية بأن يعتد تحدث النسوة الى الاوروبيين امرا معيبا لكنهن حرات في التحدث الى الغرباء من ابناء شعبهن . ان اغلب الزعماء يخضعون الى حد كبير والى حد صغير الى نسوتهم ، واني ارى ان هاته النسوة يمارسن تأثيرا حسنا ، ويحلن دون الرأي السفيه الذي قد يراود بعولتهن فيصبحوا اهزولة ذلك : (كما يرد جماح الخيل باللجم) . ويشير الزعيم الى زوجه عادة بـ (ام فلان) ، « وكل اسم كنايته : فلان » ذاكرا اسم ابنها الاكبر الذى انجبته له . والنسوة تعد الطعام دوما وتغسل الملابس . انهن يقمن باعمال البيت الشاقة ، حين تكون بعولتهن في الحقول .

ويحدث في الاحيان ان تغدو امرأة متقدمة القوم في القرية ، او حتى زعيمة للقبيلة ، وذلك على الاخص حين يكون لها طفل رضيع ، وتكون وصية على املاكه الموروثة من زوجها . ومهما يكن من أمر ، فأن من النادر ان تحل المرأة في هذه المنزلة ، اذ انها تؤدي الى نشوء المتاعب عموما .

ويبقى الاطفال مع النساء حتى السابعة وبعدها يلتحق الصبيان بآبائهم . والاخيرون يحضرون (المضافة) عندما يرد عليها الغرباء عادة ويقبلون ايدي من هم ارفع مقاما . انهم يقدمون القهوة ويقومون باعمال نافعة أخرى .

أن نسبة وفيات الاطفال عالية ، وان ابراهيم الذي يبلغ من الكبر عتيا ، كان ابا لـ ١٧ ولدا ، مات منهم ١٤ طفلا وكانت في عصمته، طوال عمره الممتد ٧٠ سنة : ١٩ زوجة .

أن القوانين التي تضبط الزواج والطلاق هي نفسها التي تشيع

(١٩) المرأة الكردية باعتدادها مسلمة مطيعة لزوجها ، والزوج ملزم بمعاملتها بالحسنى وقد ينقاد الى رأيها تارة او يحرن طورا .
(المترجم)

بين جميع المحمديين ، وذلك على الرغم من وجود عادات غريبة ذوات صلة بالعرف القبلي ، ومن هذه ما سنشير اليه بعد هذا • للرجل ان ينكح اربع زوجات ، والزعيم يتزوج هذا العدد من النساء ان استطاع الى ذلك سبيلا • والطلاق أمر يسير[٢٠] فبالنظر الى التفسير البلدي لقاعدته ، ليس من شيء آخر يفعله الرجل الا أن يقول لزوجه : «انت طالق !» ثلاث مرات ، وبذلك تنحل عقدة الزواج • ويتحمل الزوج أود زوجه السابقة لمدة ٣ اشهر ، من تاريخ الطلاق ، او لمدة اطول من ذلك أن كانت حاملا[٢١] • وللمرأة من طبقة فضلى ضمان بازاء الطلاق عن طريق مؤجل يقرر عند الزواج • والمراد منه ان يحدد مبلغ ، ولنقل: ١٠٠ دينار مثلا ، يدفع الى زوجه عند طلاقها منه ، او عندما يقضي نحبه قبلها •

وبموجب الشرع الاسلامي لايستطيع رجل ان يوصي على ملكه من تركته الا بجزء منه قليل ، اما البقية الباقية منها فتقسم بين ورثته ، وذوي قرباه ، وبضمنهم ازواجه وبنسب معينة • وفي كردستان عندما يموت رجل ، يعمد اخوته ، انكان له اخوان ، الى الزواج من زوجاته، وذلك للحيلولة دون ذهاب قسم من ملكه خارج نطاق الاسرة • ويدفع للزوجة في كردستان صداق • فالزعيم قد يدفع مبلغا يصل الى ٥٠٠

---

(٢٠) الشريعة الاسلامية السمحة وضعت قواعد حكيمة للطلاق والطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان . فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبنها لقوم يعلمون والمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين . و ا يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا) .

(المترجم)

(٢١) والقرآن الكريم نص في هذا الباب :
(والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير) .
(المترجم)

دينار ليتزوج من امرأة رفيعة النسب ، ويعطي اباها ، بالاضافة الى ذلك ، مهرا ، ويخلع عليه لباسا سنيا غاليا • والصداق ، بطبيعة الحال، مختلف باختلاف مقام المرأة ومقام الخاطب • ويسمح للأخير ، عادة ، برؤية زوجه القابلة مرة واحدة قبل أن تتم « صفقة الزيجة » • ويتسلم المال اقرب آحاد عشيرة المرأة الذكور : الاب أو الاخ او العم •

ويحتفل بالزواج في خضم من الافراح والمباهج وهو امر طويل الامد • ويسهم الرجال والنساء في الرقص ، متحلقين قافزين على انغام موسيقى الطبول وال (زرناى) وهي آلة تبعث نغمة شبيهة بما تبعثه موسيقى القرب •

فان لم يكن لفتاة قريب من الذكور امكن ان تتزوج من تشاء • ومثلها عادة تلقى بنفسها الى رحمة اقرب زعيم ، فاما ان يتخذها في بيته معينا ، او يزوجها الى احد رجال بطانته •

وبموجب العرف القبلي لابن العم الاولوية في الزواج من ابنة عمه، وقد وقعت حادثة قتل شنيعة ما بعدها من شناعة • ابان وجودي في اربيل ، وكان سببها انكار هذا (الحق) عنه • وسيأتيك في الفصل التالي حديثها تفصيلا •

والاكراد ، في محافظة اربيل ، مستوطنون جميعا ، او هم شبه رحالة، يعيشون في خلال الشطر الاكبر من السنة في قرى ثابتة ، وذلك فيما خلا قبيلتين او ثلاث قبائل متنقلة تمضي الصيف على التلال الفارسية والشتاء في سهل اربيل • والقرى الثابتة التى اومأنا اليها مؤلفة من بيوت من طين كليا ، والجزء الوحيد ذو القيمة فيها هو العمد التي تدعم سقوفها •

فان لم يحب كردي مظهر قريته عمد الى مجرد نزع سقف بيته ، وحمل عمدانه فوق ظهر حماره واتخذ الى مكان آخر سبيله • ويمكن رؤية القرى المهجورة على قوارع الطرق ، ولو اجال مسافر نظره لشهد مستوطنا جديدا على بعد ميل او نحو ذلك • ان القرية السابقة كانت

قريبة من مسار الجند التركي فلم تعد جيبته لذلك رحل اهلها الى بقعة أخرى .

ان بيوت الطين هذه ساذجة للغاية ، بقدر تعلق الامر بطرازها . اذ انها لدى الطبقة الفقيرة تتألف من غرفة وحيدة ينام فيها الفلاح وزوجه واطفاله وثوره ودجاجاته ؛ ويختزن فيها مؤونته من خشب الوقيد والزبدة والجبنة ويطبخ فيها وجبات طعامه كلها .

وعلى الرغم من ذلك كله ، وفيما خلا الجدران التي اسودت بفعل الدخان كثيرا ، فأن كل شيء فيها نظيف . ولعل الفلاح ، الذي هو من طبقة افضل ، يملك بيتا يحتوي على غرفتين ، او ثلاث غرف ، فيه زريبة لحيواناته ملحقة به . على حين يملك الزعيم ، او مختار القرية بالاضافة الى ذلك بناية حسنة لنسائه ، ومضافة مستقلة يستضيف فيها صدقانه ، والمستطرقين . أنها المركز الذي تدور حوله الحياة في كردستان .

وقبل ان امضي الى وصف هذه المؤسسة المهمة ، ارى لزاما ان اذكر ان الكردي لايقضي السنة كلها في قريته ثاويا . اذ ما ان يسرد الربيع الا يعمد الى اخراج خيمته السوداء الى اقرب مرعى حيث يمضي ، مع اسرته وقطعانه ، اجمل شهرين من شهور السنة . اهو الدم الحار المتدفق في شرايينه ، لدى مقدم الربيع ، او هو الاحساس بالجمال الذي يستدعيه الى اجتلاء طلعة الطبيعة ويملأه نشاطا وتوقا الى الهواء العليل البليل ؟ وكان ذلك يحمله على الترحل ... لا استطيع ان احري عن ذلك جوابا . ان كل الذي اعرفه هو : انني عندما سألت فلاحا كرديا هرما عن السبب ؟ اجاب : انه يحمل على المضي الى المخيم اولا بسبب القمل وثانيا بما تحدثه الابقار من خبط في القرية ، اثر اكلها العشب الطري .

لاتفضل الا قلة من المشاهد المونقة في العالم مشهد الخيم الكردية السوداء ، بين العشب العميم والزهر الوفير ، ومرأى جماعة من اغوات الاكراد ؛ وهم في آنقة شبابهم مرتدين اسنى ملابسهم ، يفور الدم الحار منهم فتتدفق فيهم شحنة عاطفية . انهم ليقفون في الخارج ، او

هم على صهوات خيولهم الجامحة ، التي حسن علفها ، تخب بهم صعدا ونزلا .

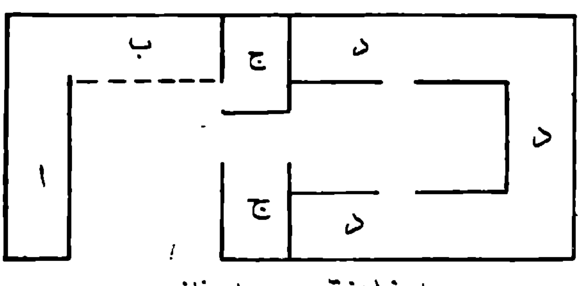
ويعود كردي سهل اربيل في ايار الى قريته ويبني له سقيفة (گبر*ه : المترجم) من اماليد الشجر فوق بيته لتنام فيها نساؤه . وفي منطقة كوي والاقسام السفلى من منطقة رواندوز يبني القوم قرى جديدة كليا ، ويعيشون فيها حتى تولى ودقة الصيف . ومهما كانت النسمة الهابة فانها لتبرد بمرورها من اكواخ القصب ، وقد تجعل ابرد باشباع الجدار الغربي منها بالماء غالبا . وتشاهد السقائف (الكبرات) في شقلاوة وفي بساتين الفاكهة .

وتهاجر القبائل ذوات الخطر في منطقة رانية ، وبعض الجماعات الصغيرة في منطقة رواندوز الى التلال صيفا ، تاركة ورائها قلة من الرجال لتعنى بحاصلاتها وبيوتها .

وهنا يكمن هذا الفارق العظيم بين الاكراد وبين العرب : اذ بينما العرب ، على اغلب الاحوال ، في عداد الرحالة ، اختيارا ، ولايمكن ان يحملوا على الاستيطان تجد الاكراد ، وهم شعب رعوي ، متبدين بالضرورة ، او بحكم العائدة ، وعلى استعداد الاستيطان عندما يجد احدهم ان من الاجدى له ان يفعل ذلك .

عليّ الآن ان اتوجه الى صبر القاريء استجير به وأنا اصف الـ (ديوان خانة : المضافة) بشيء من الاسهاب . لقد امضيت مئات من الساعات في مضافات مختلف الزعماء ومختاري القرى ، ابان ثوائي في كردستان ، وفيها تعلمت هذا القليل الذي اعرفه عن الاكراد ولغتهم . لقد صرفت جل المهام الخطيرة فيها . ان ناموس اي زعيم ليرتكن الى هذه الـ (ديوانخانة) الى حد كبير . اذ كلما زاد قراه ،كلما زاد حقه في ان يسمى (بياوا) اي رجلا . وتشاهد المضافة في ابرز قسم من القرية وفي سهل اربيل على قمة احدى الروابي الاشورية القديمة عادة . وقد تتألف من غرفة الى ثلاث غرف على وفق ثراء الزعيم الذي يملكها ومقامه . وسأورد مثلا عليها : ديوان خانة (احمد باشا) اغنى زعماء

فيلله الـ (دزه يى) وليس باغدقهم قرى • أنها مبنية لتكون ثلاث جوانب من مربع ، على قنة رابية كبيرة • وتواجه الفتحة فيها جهة الشمال • ويتألف الجناح الشرقي من غرفة وسيعة مساحتها نحو ٤٥ قدما في ١٥ تتخذ في الشتاء سكنا • وفي الصيف يستضاف الضيوف في الشطر المركزي منها ، وهو على شكل طارمة • ان الجانب المسدود السكائن جنوبا فيه نوافذ صغيرة تحدث تيارا ، وفي الامكان سدها ان كانت الريح غربية محملة بالتراب • ويتألف الجناح الغربي من غرف صغيرة تحفظ فيها اواني الشاي والفرش ، وفيها يجلس الخدم ويثرثرون • وثمة باب صغير هاهنا يفضي الى خدر النسوة ، وهو مبني باعتداده امتدادا للجناح الغربي • ان المخطط الذي يلي السطر ليوضح قصدي تماما :



المضافة : ديوان‌خانه

ان اشيع طرز من طرز (المضافة) يتألف من غرفتين بينهما شرفة صغيرة•وفي الصيف تبنى (صفة) عالية في الخارج من اللبن ، اى من (الطين والتبن مختلطين) • ولايسكن الافادة من هذه الا عندما تطفل الشمس للاياب ومالم يتوافر الخشب لبناء (جرداغ) • والجرداغ يتألف من سقف من عساليج الشجر تكسوها الاوراق [٣٣] ، وترتكن

(٣٣) العسلوج الخفيف الناعم من غصون الشجر .

الى اربعة عمد • وهو يشاهد في الغالب فوق حوض مـاء من صخر ينساب اليه مجرى ماء • وعلى مثل هذه الحال يكون ملجـأ باردا في يوم صيف حـار •

ولكل المضافات تقريبا جامع صغير ملحق بها ، وفي كثير من القرى تتخذ المضافة مسجدا وتسمى باسمـه • ولا يعترض احد على اقامة الاوربي في احداها • وعندما يلتئم شمل القوم لاقامة الصلاة فيهـا ليس من الضروري ان يضطرب امره بسبب من وجوده في احداها •

وفي الشتاء تجري تدفئة الغرفة الرئيسة بموقد مفتوح كـائن في وسطها ، وينفذ الدخان في وسط السقف الى خارجها (وقد لا ينفذ ، حسب الاحوال ايضا) • وفي كثير من المرات يجري الـدمع من عيني بسببه ، لكن الكرد ، على ما يتراءى لا يأبهون بذلـك الا قليلا •وفي مكنتك دوما ان تذكر عمر بنية ما بالاستعانة بالدخان المسود لسقفهـا وجدرها • والوقيد الذي يصطنع عموما هو « الجلة » اليابسة المكونة من فضلات الضأن والمعزى انه يشتعل متمهلا جدا ويستعان على ذلك بقطع الخشب والعصي • فان اريد تدفئة الغرفة على استعجال اصطنع لذلك الشوك او العوسج في ابراء نارها •

وتبنى المضافة بالعمل المجاني ، فذلك احد واجبات القرويين بازاء زعيمهم او مختارهم • وان كان الزعيم مملقا ، او واهن الشأن ايضا ، وورد المضافة ضيف ما فانه يعمد ارسال رسـول الى (عمرو) او الى (زيد) ــ وهذان نظيران الى ما عنـدنا من اسماء (توم) و (هاري) ــ يطلب باونا من الزبدة ودجاجتين وباونين من الرز •

حقا ان المضافة ، في كثير من الاحايين ، لا تعدو ان تكون نادي القرية وباكثر من كونها للمختار ملكا شخصيا • فيهـا ينعقـد مجلس متقدمي القرية وشيوخها ، كل امسية للتدخين وللبحث في احوال الطقس والحاصلات والفضائح الاخيرة • وعند الزعماء الكبار تعقد الديوان خانة مجلسا يجلسون فيه طوال النهار ومعهم صـدقانهم وذوو قرباهم يضعون الخطط المنصبة على قتل اعدائهم ، ومخادعة الحكومة •

والقِرى من احسن الملامح في الطبع الكردي . وفي الحق ان ذلك مما يستحبه دينهم ، وان هذه العادة الشائعة بين الشعوب المحمدية الاخرى [٢٣] . لكن الاكراد دفعوا بها قدماً فغدت فنا جميلا . ان الزعيم ليعتد المرور من بيته ، من دون الوقوف وشرب كوب من الشاي، اهانة عظمى . وفي كثير من المرات اضطررت الى ولوجه وانا راغم .

ان العربي ليلح في ذلك ايضا ، وانه لمحدث افضل بكثير ، لكنه لا يصيّر ضيفه مرتاحا بوجه قريب من هذا .

ولكي اشرح النهج الرتيب ، سآخذ بيد قارئي الى زيارة الى (ابراهيم اغا) زعيم (ديزئية مخمور) . ها قد وصلنا فجأة ، وهذا ابراهيم اغا الهرم يخرج مرحبا بنا بصوت عال ، قائلا : « خير هاتى»، وهذه ان ترجمت دلت على معنى « خير مقدم» حرفيا ، ويجيء جوابنا عليها بـ (سلامات بي) اي « سلام عليكم » ، ويبدأ السؤال بعد ذلك عن صحته وصحة ذوي قرباه . ثم انه يعمد ، في الوقت نفسه الى اصدار اوامر سريعة الى اتباعه بالاتيان بالبسط والمخدات ، ومن ثم يقودنا الى غرفة الضيوف الرئيسة . ان ارضيتها عارية نظيفة من دون اية بقعة شائبة . وبينما نحن ننتظر يعمد هو الى تقديم الدخينات ــ الـ (السكائر) .

ان الدخينة الكردية اطول من دخينتنا ببوصة او اكثر ، والطول الزائد فيها عبارة عن زبانة وتبغها جاف ، وان هذه من افضل نوع من انواع التبغ الكردي . ان الدخينات تقدم لنا بين حين وحين ، وخلال سائر النهار غالبا . ولا يتوقف الكردي عن التدخين الا نادرا ، وفيما

---

(٢٣) القرى طبع اصيل متأصل في العراق عربيا كان ام كرديا . انه منحدر من البادية وجاء الاسلام فاقره على ما اقر كثيرا من الشمائل الانسانية الرفيعة . ولا ادل على ذلك من ايراء (نار القرى) ليلا ليهتدي الى (المضيف) الطراق ويكون ذلك على نشز من الارض (شبوب نار القرى يوما على علم) وتصاعد الدخان نهارا للغاية نفسها .

(المترجم)

خلا الوقت الذي يكون خلاله آكلا . انه ليحمل حقيبة تبغ دائمـا ، ملحقة بشـد خصره ، وعلبة ورق تبغ ايضا . ولا يزال بعض الطاعنين في السن من الفلاحين يصطنعون حجر القدح لمقاصد الايراء ، لكن جلّهم يستعمل (قداحة) ، ويذهب الظن بي الى انها مستوردة من اليابان . ويدخن القدماء من الفلاحين بواسطة (غليون) اي « سبيل » قصير من طين مفخور على حين يصطنع بعض الاغوات الكبار غليونا من خشب ، ذا ساق طويلة جدا . وكان لدى (حمه اغا) الهرم ، وهو من (كوي) غليون طوله قدمان . ويبطل استعمال الـ (ناركيلة) في كردستان عموما ، اذ القوم فيها يعتدون التدخين بواسطتها ، لسبب ، امرا معيبا.واعتدت ،في الغالب، على ان اقدم لزعماء الاكراد (سيكارا). وانهم ليفصحون عن سرورهم به ، لكنني كنت الحظ انني عندما كنت اقدم لهم صندوقا منه يعمدون الى الاحتفاظ به الى زوارهم الاوربيين. انهم ليعتدون تبغنا واهن الشأن ان اصطنع في غليون ما .

وجيء بالمخدات والبسط سريعا ووضعت بمحاذاة جوانب الغرفة وصدرها . كما فرشت في الصدر سجادات خاصة لنا . وكان ان خلعنا احذيتنا وجلسنا القرفصاء . هنالك ثلاث قواعد يجب الا تنسى حين يزور المرء زعيما كرديا ، اولها : الا تمد رجليك تلقاء اي شخص آخر ، وثانيا الا تحمل طعامك الى فمك باليد اليسرى ، وثالثا ان لا تداعب كلبا ما . فان روعيت هذه القواعد ، كان تصرفا مهذبا لن يمس شعور مضيفنا ابدا . وما ان وضعت الوسائد الا رشت الارضية بالماء لتبقى الغرفة نظيفة وباردة . ويجري الحفاظ على رطوبة الغرفة ان كان الطقس حارا .

الوقت الآن في نحو الظهيرة . ان اول شيء يخلق بنا القيام به هو اشعار (مضيفنا) باننا لا نرغب في طعام حفيل ، والا فاننا لن نحصل على ما نأكل حتى الساعة الثالثة بعد الظهر . لقد دهاني مثل هذا غالبا : اذ وصلت ، في مرة من المرات ، الى قرية ، ومن دون علمي عمد زعيمها الى اصدار الاوامر بذبح خروف . وبعد نصف ساعة استأذنت بالانصراف والرحيل فكان جواب (مضيفي) بازاء ذلك :

« لايمكن ان ترحل ، لقد ذبحت خروفا وتكبدت انواع المصاريف ، ولا يسوغ لك ان تجعل ذلك كله يذهب بددا . وعلى ذلك كان عليّ ان اقعد وانتظر لمدة ساعتين اخريين ، او ثلاث ساعات ، كان الطعام يمتد خلالها . ان ابراهيم اغا ليحتج احتجاجا كبيرا ، فأن وعدناه بالبقاء للعشاء فانه يوافق على ان يطلب لنا غذاء خفيفا : (ولا اول الا سيتلوه آخر) .

وفي مثل هذا الوقت ، لو كنا في مضافة زعيم صغير ، فانمتقدمي القرية يفدون عليها ليجلسوا بمحاذاة الجدران ملقين السمع الى ما نحن قائلوه . انهم على حظ كبير من الجفاف ويلتزموذ الصمت كأنما على رأس احدهم الطير قد وقع،وليست لديهم ايةفكرة تحدوهم على حوار[٢٤] . وفي العادة ما كان لدي الا القليل مما اريد ان اتحدث به اليهم ، وكنت امضي ساعات طوالا وانا اوجه لهم الاسئلة الدائرة حول لغتهم، وعاداتهم ، وتاريخهم الماضي . هذا وفي الوقت نفسه تحتشد الصبيان ويتشوفون خلل النوافذ .

ومهما يكن من امر ، ليس هذا ما يحدث عند ابراهيم اغا ، اذ لا تجد احدا حاضرا باستثناء شاب او شابين ، من ذوي قرباه ، يقفان على مسافة محترمة يرقباننا وهما علىاستعداد لان يهرعا الينا بالسكائر الطرية ، بعد اشعالها في فميهما ، وذلك قبل ان نفرغ من تدخين دخيناتنا تماما ، ينضاف اليهما بعض الخدم وهم في شغل شاغل يعدون القهوة .

والشاي عند الركن الآخر من الغرفة . ان مضيفنا ، وهو رجل هرم متعلم جيدا ، وهاش باش ، ليؤانسنا بالحوار : (ان الحديث جانب من القرى) ، يصح فيه ما قال الشاعر : (وانت خير الجود عذب الشمائل !) . انه ليدأب على ذلك حتىتقدم القهوة . انها القهوة

(٢٤) لعل ذلك من مواضعات (مجلس الزعيم) ، وادب المجالسة فيه او ان منهم من هو صموت عن فضول الكلام ويلتزم بالحكمة المأثورة : « كن على ان تسمع احرص منك على ان تقول » .
(المترجم)

التركية المحلاة بالسكر موضوعة في (فناجين) وهذه في اطباق • ان ذوي قربى (مضيفنا) يتناولونها بدورهم من (الصينية) التي يحملها (المعينون) خلفهم ، ويقوم الواحد منهم بتقديمها باليد اليمنى الينا،على حين يضع يده اليسرى على قلبه رمزا للخضوع وتبجيلا •

اني لافضل القهوة العربيـــة المرة شخصيا ، وانك لتجدها لدى الاكراد غالبا • ان كمية قليلة جدا من هذه تقدم في قعر فنجان صغير من غير عروة ، وقد تطيّب بالهيل في الاحيان ايضا • ويسمح لك منها برشفة او رشفتين ، وان مثل هذه القهوة منعشة جـدا غبّ احتساء كميات كبيرة من الشاي المحلى الذي يلزم المرء عليه •

ويقوم بواجبات (القهوهچي :ــ القهواتي) احد بطانة (الآغـا) المخلصين عادة • انه لذو مقام محظوظ ويتسلم نسبة قليلة من حاصلات سيده •

وما ان فرغنا من احتساء القهوة ، الا كان الشاي معـــدا • ان الكردي شرّيب شاي ، مفرط فيـه • وما ان يحـــل زائر الا يخرج الـ (سماور) [٢٥] ، وصندوق اكوابه (استكاناته) دوما ، وتحمل هذه عادة اباز القيام برحلة تستغرق امدا طويلا • والـ (ســماور) يصنع في روسية او فارس في وسطه تجويف اسطواني يمتد من رأسه الى قعره، توضع فيه قطع متقدة حمراء من خشب او فحم • وتثبّت في اعـــلاه مدخنة لسحب الحرارة ، على حين يكون الـ (جايچي) نافخا الرماد من جهته السفلية • وما ان يحمى الماء الا يبدأ بغسل الـ(قوري : اناء الشاي) والـ (استكانات) غسلا جيدا ، وما ان يبدأ الماء بالغليـان الا ويضع الشاي المركز جدافي الـ (قوري) ثم يعمـد الى وضعـه فوق الـ (سماور) بعد رفع المدخنة عنه • ان (استكانات) الشاي تبلغ نحو ٣ انجات طولا، ونصف قطرها انج وزيادة ،عند الاعلى وعندالقاعدة •

(٢٥) الاسم من مفردة روسية النجار (ساموروفاريت) وهذه مركبـة من (SAMO : ذاتي) و (VARIT : يغلي) اي الجهاز الـذي يغلي ذاتيا ؛ ولعلها انحدرت الى لغتنا الدارجة عبر ايران •
(المترجم)

انها ضيقة في الوسط ،ويقدم الشاي فيها وهي موضوعة على صحون صغيرة ومعها ملاعق من قصدير صغيرة ايضا . ويضع الـ (جايجى)في كل استكان ما يعادل قطعتي سكر ، ثم يصب فيه كمية قليلة من الشاي ويملأ بالماء . ولا يخلط الشاي بالحليب ابدا ، ويكون الاول على حال من الغليان تقريبا ، وانه لينزل على المعدة ثقيلا . اما شربه من دون سكر، فامر ما اليه سبيل . علينا ان نحتسي استكانين او ثلاثة ، وفي كل مرة يغسل الاستكان غسلا جيدا ، قبل ان يملأ كرة اخرى .

وما ان تفرغ من احتساء الشاي الا يؤتى بالغداء . ولعله يكون مؤلفا من ارغفة رقيقة من خبز فطير ، وبعض القطع التي هي اسماكمنه وقد قليت بالزبدة ، ومن ماعون فيه قطع من لحم الظأن مقلية ، وصحن من الروب (روبة) وما يتيسر من فاكهة الموسم ، واناء فيه (الشنين : مخيض الروب) . ولا تقدم سكاكين وشوكات وانما تقدم الملاعق حسب ، وهذه لمن لا يستطيع الى الاكل بيده سبيلا . ان افضل طريقة في تناول اللحم والروب هو التقاطه بواسطة قطع صغيرة من خبزرقيق.

ويسوقنا هذا الحديث الى قضية الروب (روبة) : وهذه منمآكل كردستان الاثيرة المحببة . يحمى الحليب الطري ، سواء اكان حليب ضأن او معزى او جاموس ، حتى يبلغ درجة حرارة معينة ثم يخلط بلبن حامض : (خمرة) فيسفر عن ذلك ما يسمى بالروب ، وهو حامض جدا، لكنه دهين لذيذ عندما يكون طازجا . فان خلط الروب بالماء كان الـ (شنين) او المخيض ، وهو شراب الاكراد المحبب الاثير . وليس ما هو اكثر انعاشا من صحن من هذا الشراب ، فيه قطعة من الثلج طافية في وسطه. ويرحب غالبا بالضيف بتقديمه له اذ بلغ احدى القرى الكردية في الفصل الحار ،وهو ضمآن تعبان ،انه يحتسي بملعقة وسيعة من خشب . والروب الذي لا يستهلك على حاله الاصلية يوضع في جلد ويعلق على عوده. ان النسوة تخض الجلد الى وراء والى قدام بقوة فتستخرج منه الزبدة ومخيض اللبن . والاخير ، وهو المعروف باسم (دو) ،شراب سائغ ممتاز ايضا . لكن الكرد من ذوي المقامات الفضلى

لا يقدمونه عادةالى ضيف يحضونه اجلالا . ولا تؤكل الزبدة عادة وهي على حال طرية ، اذ انها تصفى بسلسلة من الغليات لتغدو ما يسمى بـ (رون) وهو الذي يطلق عليه في اللغة الهندية : (كي : GHI نفسه ، وانه ليصطنع في مقاصد الطبخ .

وقبل ان نبدأ بتناول طعامنا يجيء احد الخدم بابريق وصحن ومناشف ، ثم يعمد الى سكب الماء على اليد اليمنى من كل واحد منا . وبعد الفراغ من الطعام يأتي بهذه مضافا اليها الصابون، وعندها يغسل كل واحد منا يديه . ولن يسهم ابراهيم اغا في تناول الطعام معنا ،ذلك انه قد تناول طعامه قبلئذ .

وفيما بعد الظهر اما ان نبقى جالسين في المضافة نبحث فيما يعنينا من اعمال ،وهذا يحملنا على احتساء عدد كبير من استكانات الشاي وفناجين القهوة ، وعلى تدخين عدد من الدخينات ،او ان نخلد الى سنة النوم ، ثم نتخذ بعدها السبيل جائلين خلل القرية . وقبيل ان تصفر الشمس ... نكون قد اتخذنا طريق العودة ، وما ان ينادي المؤذن الى الصلاة الا ويعمد ابراهيم اغا الى التوضوء وفرش السجادة فالصلاة ، وهو قريب منا . وما ان يفرغ من فريضة الله هذه الا ويؤتى بالعشاء، انه موضوع على صينية ضخمة قطرها نحو ٥ اقدام . وتوضع الصينية هذه فوق مقعد خفيض ، وتتحلق حولها ومعنا ابراهيم اغا واي ضيف مهم يكون حاضرا .

ان الوجبة الاولى مؤلفة اما من صحن كبير فيه عجينة لحم، او، ان حل الموسم الخاص ، حمل كبير مطهوكله ومحشي بالرز والكشمش والبهار . ويأتي في اعقابه صحن كبير ايضا يحتوي على الجوز المسلوك بالعسل، ان هذه لا تعدو ان تكون مقدمات ، ولن تقدم امثالها في بيت زعيم اقل مرتبة . ان الطعام المعتاد يتألف من صحن او صحنين من الرز (بيلاو) المعد بالدهن (رون) ، تعلوه قطع من اللحم والكشمش ، وثمة عدد من الصحون الصغيرة الحاوية على اللحم والخضر وعجات البيض: (OMLETTES) والكعك الحلو والروب والفاكهة وما جرى مجراها انها توضع على الصينية جميعا ، وفي آن واحد، ولنا ان نختار ما يحلو

نا منها . وقد يعمد ابراهيم آغا ، الآن ، الى التقاط ادسم قطع اللحم
ووضعها فوق خبزنا الموضوع امامنا . والرز تناوله بايدينا ، وانذلك
لامر يسير . انك لتلتقط منه ملء يد ، وتعصره حتى يغدو على شكل
كرة ،ثم تجعل ابهامك خلفه وتدفع به بلطف ليتخذ سبيله في فمك .
نا «لنغسل» كل شيء بالشنين اذ يوضع صحن منه تحت الصينية ،
يس من مجـال لـه فوقهـا .

وبعد الطعام نكون جالسين : ندخن ونحتسي الشاي والقهوة حتى
يبادر (مضيفنا) الى السؤال ان كنا راغبين في النوم ، وعندها نستعد
نه . وعند ذلك يعمد القوم الى الاتيان بلحافات ثقيلة وما هو ضروري
من الدثارات . ومن ثم نضطجع على البسط ، ولما كـان البرغوث
لا وجود له في (مخمور) الا على الندرى لذلك سرعان ما نغرق في لجة
النوم وابراهيم اغا شيخ على حظ كبير من الحصافة والسداد ، اذ
سرعان ما يغادرنا وشأننا. وفي بعض المضافات ، قد يتحلق الزعيم
ومتقدمو القوم حول نار لاهبـة على بعد اقدام قليلة منا ويأخـذون
باطراف حديث يتصل بنا ، ولا يستطيع احد ان يسمع هـذا الحديث
يقولونـه تمـامـا .

وعند الصبح ننهض ، وما ان نكون على استعداد الا يؤتي بفطور
مؤلف من الحليب الحار والخبز والروب والجبنة . ويقدم الحليب في
اكواب كبيرة مرصعة بعبارة (حبني : LOVE ME) و (ذكرى :
SOUVENIR) ، و« صنع المانية » عند القعر . ولعل سوقا بهـذه
الاكواب وجدت فيما بين النهرين عند اندلاع الحرب ، وشبيه بذلك ،
وفي جل الاماكن القصية ، كنت اصادف منفضات « الدخينـات :
ASH TRAYS » وعليها صورتا (ملكنا) و(ملكتنا) وضعتا كذكرى
التتويـج .

وما ان فرغنا من فطورنا الا رجونا (مضيفنا) الاذن بالانصراف ،
لكنه احتج على ذلك مبينا انه بسبيل اعداد طعام الظهيرة لنا ، ثم انه
سمح بذلك على مضض . وعن عبارته : (خير هاتي!) اجبنا : (بدعا)

التي تتضمن اننا ندعو له ، او سندعو له ، بالصحة والاقبال .

ان ما ذكرناه هو على التقريب ما يحدث في كل مرة يزار فيهـــا زعيـــم كردي .

وفي الحق ان وجبات الطعام الكردية تقتصر على وجبتين حسب ، واعني بهما وجبة الظهيرة التي يتناولها القوم قبيل الظهر ، والعشـــاء وذلك عندما يحشرج النهار او يكاد، او بعد ان تطفل الشمس وتتوارى بالحجاب . وينضاف الى ذلك ان الكردي من المياسير يفطر عندمـــا يسفر الصباح بكوب من الشـــاي والخبز . ان القوت الرئيس لدى الفلاح هو : خبز الحنطة والزبيب ، (وهـــذا يحل محل التمر في بلاد ما بين النهرين السفلى) والخضر ، والروب و«البرغل» ، وما الاخير الا حنطة مسحوقة، والبرغل يقدم على غرار ما يقدم الرز ، وانه لبديل ممتاز عنه . ولا يؤكل مع اللحم الا قليلا ، وعلى الرغم من انه يقدم لضيف مبجل دوما . والكردي مفنّن في طهو الخضر . وفي التلال يحل الـ «دوشاب» او عصير العنب والعسل محل كل شيء لـــدى الرجل المملق ، على حين يكون البلوط القوت الرئيس في المنـــاطق الجبلية النائية ، والبلوط يسحق حتى يصبح دقيقا فيخبز منه خبز اسود لكنه ممتاز . والمشروبات الروحية غير معروفة ،وما هو معتاد من المشروبات الاخرى : الماء والشنين والبن . والاشربـــة الاثيرة المحببة تصنع من عصير العنب .

والحصان اول الحيوانات الاليفة لدى الكردي واسناها . وعند قبائل سهل اربيل بعض الخيول الرائعة التي هي من اصل عربي . وفي التلال تكون المهور اصغر جرما واخشن ، واخلق بالطرق الوعرة التي عليها ان تقطعها ، صُعدا الى اعلى وصوبا الى اسفل . وقـــد يكون حيوان ما ، والفرس على وجـــه اخص ، ملكا لعـــدد من الاشخاص المختلفين الذين تتراوح عدتهم بين اثنين واربعة . وفي حـــالة الفرس يحصل كل شخص مـــاهم في ملكيتهـــا على مهر ، ويكون ذلك على التتابع . ولا تخصى الجياد الا على النـــدرى . ولا يمكن ان يشتري

الفرس الاصيل ، باقل من ٧٠ جنيها ، وسعر الحصان العتيق (السي) ٢٠٠ جنيه [٣٦] وازيد . ويعنى بحصان الزعيم جيدا ، ويعلف بالشعير والتبن المقطع ، وفي الربيع يصار الى الحشيش . والكردي لا يملك الا فكرة ضعيفة عن تنظيف الخيل . وعند الامتطاء لا يسير القوم بها خببا ابدا ، ان ما يقطعه الحصان هو معيار قياس المسافات ، وهو يورد بحساب الساعات . ان الاغوات ، ممن كانت سنهم في فتاء ، لشديدو التوق الى التبهنس والتبختر على جيادهم ، واظهار شجاعة فروسيتهم، ولكنهم ليسوا على حظ من حسن الركوب عادة . والسرج محشو كثيرا ومعقوف عقفة حادة من قدامه . انني كنت اجده متعبا الى ابعد حد ، واجد الخبب امرا متعذرا . هذا وان المهاميز الضيقة ، ولها قاعدة كبيرة مسطحة تسع مقدم القدم كله . والقرطمة [٣٧] من النوع الشائع في بلاد ما بين النهرين كلها .

تربي قبائل التلال ، واخص بالذكر منها الرحالة ، كال (هركي) من الامهار ما هو صغير وقوي ، وهذه تستخدم في حمل الاثقال حصرا .

وللبغل خطره ، وفي الامكان مشاهدة انواع حسنة منه . وفي سهل اربيل هو الحيوان المطلوب الوحيد لغايات الحرث. وانه ليستخدم لحمل الاثقال ايضا . واجود انواع البغال تستخدم في مقاصد الامتطاء. ان ذوي المكانة والاعتبار من اهل المدن ، وذوي السن ، ليفضلون هذا الحيوان الهادىء على حصان مراح. وبالنظر الى التلال يكون الاعتماد على البغال اكثر ايضا . ويكلف شراء بغل حرث جيد نحو ٤٠ جنيها .

وانك لتجد الحمار في كل مكان ، وان كل فلاح ، مهما تكن حاله المطلقة ، ليملك واحدا في الاقل ، تقريبا . انه ليستعمل كحيوان حمل ، وفي كل قصد ، وفي الغالب يحل محل دولاب اليد الذي عندنا ؛ في دياسة حب الحصيد ، وللحرث احيانا . ان الدعاوى التي تنجم بشأنه

(٣٦) في الاصل : PONY. وهو ضرب من المهارى صغير الحجم.
(٣٧) القرطمة : حديدة توضع في فم الجواد يقاد بها وهي غير اللجام .
(المترجم)

لا تعد ولا تحصى . ذلك انني كنت اتلقى يوميا عريضتين او ثلاث عرائض يرد فيهامن العبارات مثل هذا : « ان خادمكم المطيع يعرض عليكم ان حمارا اسود اللون ، تساوي قيمته عشرين جنيها ، يحمل سمة سوداء على ظهره ، مقطوع الاذن اليمنى ؛ وهو الذي ولد في بيتي وربّي فيه ، لكنه اختفى قبل خمس سنوات ونصف ، ثم شوهد حوزة قادر بن نادر من اهل محلــــة سراي في اربيل ؛ واني استرحم اعادته بموجب العدالة التي شاعت في الدنيا كلها وعرفت بها الحكومة البريطانية الآيدة (كذا) » والامر اوليــه .

وعندها تحال القضية الى (القاضي) ، فان استطاع (المستدعي) اثبات هوية الحيوان ، وفي مقدوره ان يميزه على ما يميز احد اطفاله ، اعيد له . وعند ذلك يقيم قادر بن نادر الذي سبق ذكره (الدعوى)على احمد بن حمد، وهو الذي اشترى الحمار منه ، بغيـــة استعادة ثمنه ، وهكذا دواليك ، حتى يكشف عن تاريخ الحيوان كله خلال السنوات الاخيرة ؛ وعدتها خمس سنوات ونصف مددا . وسعر الحمار يتراوح بين ٥ـ١٠ من الجنيهات او ازيد ان كان من النوع الكبير الابيض الذي يشتد عليه الطلب باعتداده مركوب السيدات .

وعليّ ان اذكر في هذا المقام ان الكردي الاصيل لا يعامل حيواناته معاملة سيئة وعلى غرار ما يفعل الكردي الفارسي . وانك لن تشاهد، الا على الندرى ، حمارا سيء المظهر ، على حين تشهد على الطريق الماد من بغداد الى كرمنشاه حيوانات على اعجازها قروح متقيحة لعلها من اثر النخس الذي يدفع بها للسير دراكا . ولو ترك الكردي وشأنه لما حمّل حيواناته ما لا تطيق ، لكن ان انعدم الحشيش ، وكان صاحبها مملقا فقيرا والحب عزيز ، فانها لا تعلف بما هو كاف احيانا . ومهمـا تكن الامر فانها تعتاض عن ذلك عندما يرد الربيع . ان الحيوانات التي يستعان بها على دياسة حب الحصيد لا تكمّم ابدا .

ولا يستطيع الكردي التصرف بالجمل ، وقد يملك زعيم كردي قلة من الابل لكنه يحتفظ بعربي للعناية بها .

والاكراد شعب رعوي اصلا ، وتلعب الظأن والمعز في حيواتهم دورا اشد ما يكون خطرا . فللخراف اليات دهينات سمينات مساحة الواحدة منها قدم مربع تقريبا ، اما المعز فهو مـن النوع المعروف في (بلادنا انكلترة) وليس من تلك المخاليق المشوهـة التي تشاهد في الهند . وتربى (معز انكورا) في التلال . ويجود الظأن والمعز معا على الكردي بالحليب ومنتوجاته اعني : الروب والزبدة والحليب والجبنة ، وكلها ضرورية ، وقوام غذائه الرئيس . انها تجود باللحم للمائدة عند الحاجة ، وبالصوف للبوس وباللباد للمعاطف والقبعات والصدريات، وبالشعر للخيم السود ، وهذه كانت مسـاكن الاكراد في وقت من الاوقات . وتصطنع الجلود في نقل الماء واستخراج الزبدة ؛ وفي الجربان التي تطفو عليها الارماث التي تجري في النهر منحـدرة . واخيرا يستعمل الروث وقيدا وسمادا لبقع مزروعة بالتبغ. وكان سعر الخروف الجيد قبل الحرب نحو ٥ شلنات ، واليوم اصبح سـعر الخروف من الحجم نفسه ٣٠ شلنا . وقد نضب معين الانعام خلال الحرب كثيرا ، انها مورد جباية للحكومة : اذ يجبى ٨ آنات عن كل رأس سنويا . وعلى وفق التعداد الذي جرى في اوائل سنة ١٩٢٠ بلغت عدة رؤوس الظأن والمعزى في محافظة اربيل وحدها : ٢٠٠٠٠٠

وتربى اعداد كبيرة من الانعام وتخدم مقاصد جمة. انها لا تذبح للحمها الا نادرا ، وحين تشرف على الموت ، لا يشتريها الا الفقراء من الناس بطبيعة الحال . وتجود البقرة بالحليب ، ولكن لا الى الحـد الذي تجود به في (بلادنا ـ انكلترة) ولحليب الظأن والمعزى المقام الاسنى . وتستخدم الثيران في حمل الاثقال ولمقاصد الحرث ودياسة حب الحصيد . انها في التلال حيوانات الحرث حصرا ؛ وتستخدمهـا الطبقة الفقيرة من الفلاحين في السهول ايضا . وآدامها ذوات قيمة اذ تصنع منها الجلود . ان حيوانا من جنس حسن بلـدي ويستخدم في مقاصد الحرث يكلف ١٢ جنيها . لقد ادخلت اعدادا كبيرة من الثيران الهندية الى كردستان باعتدادها حيوانات حرث فبرهنت على نجاحهـا

الكبير • وتربى الجواميس حيث يتوافر الماء ، وفي سهل بيتوين على وجه ملحوظ فتجود بالحليب الذي يستخلص منه الـ (قيماق : قيمر). ولا تجود البقرة بحليبها ما لم يكن عجلها حاضرا ، فان نفق العجل غدا من الضروري ان يحشى جلده ويوضع في الاصطبل ويزعم ان نتيجة ذلك مخادعة تامة لـ (الام الثكلى) • والجواميس مخلوقات فظة غليظة بشعة • لكن جلودها ذوات قيمة في مقاصد الدباغة •

وتعتد الكلاب نجسة ، لكن كل بيت يملك في الاقل كلبا واحدا تقريبا • انه من النوع الكبير المشعر ، وعلى حظ كبير من الشراسة ، وفي التلال على وجه اخص حيث تشاهد حيوانات ضخمة • ان الكلاب خير احراس ، وهي تحمي البيوت والقطعان•وكل زعيم ، على التقريب، يملك واحدا من هذا الذي يطلق عليه في الكردية « تاجيز » او اكثر، وما هو الا كلب الصيد الفارسي • انها تشبه ، من حيث الشكل نظائرها المعروفة لدينا ، لكن شعرها اطول ، ولها اذان رشيقة انيقة • انها تستخدم في مقاصد الصيد ، وهي لتقبع غالبا في ركن من اركان المضافة وتلازمهاملازمة الغريم، كما لازم (سلفها) اصحاب الرقيم[٢٨]، لكنها تبعد ان تقربت من الضيوف ابان اوقات تناول الطعام • لقد احتفظت بواحد منها ككلب اليف ، لكنها ليست بحيوانات عاطفة•وقد يعثر ، بين الفينة والفينة ، على كلب من نوع (ترير : TERRIER صغير ، ولهذا اسم هو مبعث السرور واعني به : (بوجي) •

وتختلف القطط الى البيوت ، لكنها متوحشة دوما ، وفي المرة الوحيدة التي صادفت فيها قطة اليفة كانت في خيمة عربي في منطقة مندلي ، جالسة قرب النار تصطلي وتهرّ •

والدجاج يربى في كل قرية ، ومعه في الاحيان ، الاوز والديكة الرومية • وهو هنا اكبر من النوع الهندي قليلا ، وثمة نوع منه ملحوظ

---

(٢٨) اصحاب الرقيم هم اصحاب الكهف الـــذين وردت قصتهم في القــرآن الكريــم •

(المترجم)

فذ ليس له ذيل . والبيض كثير موفور .

ويجول الكردي . ان سمح له ، شاكي السلاح ، وفي حزامه خنجر ومسدس او مسدسات، واربعة انطقةمليئة بالعتاد تحيط بخصره ومنكبيه ، ويحمل بندقية محافظ عليها جيدا ، ذات سبطانة ضيقة . والقبائل الكبرى مسلحة تسليحا حسنا ، ببندقيات من نوع ٣٠١ التركيه عادة ، اما المجتمعات التي هي اوهن شأنا فتملك اعدادا كبيرة من بندقيات موزر/٥٠٠٤ القديمة . وللخنجر نصل طوله نحو قدم . وهو معقوف قليلا في نهايته ، وهذا النوع شائع لدى العرب والاكراد معا.

والكردي يمتهن : الزراعة والرعي في الدرجة الاولى . وقلة من الاكراد تمتهن التجارة ، وعلى الرغم من ان كثرة من القرى تحتفظ بيهودي بلدي لهذه الغاية ، ولعل الكردي يمتهن البغالة ايضا او يكون من ارباب الحمير السائرين على طرق القوافل الرئيسة . وفي اوقات الشدة تهاجر اعداد كبيرة من الاكراد للعمل على الطرق العسكرية والسكك الحديد .

وليست سويعات فراغه الا قليلة عددا . واول هواياته : السلب على الطرق العامة . وفي ايام الاتراك كان كل (اغا) لدن العود يحتفظ بجماعة يطلق عليها (خوبزاس) او البطانة المسلحة ، تعيش في بيته وتقتات على مائدته . فاذ لم يكن معنيا بقتال مع جار له (وكان عليّ ان اضمن هذا في الفقرة الخاصة بالحرف) فانه يرسل رجاله لمراقبة الطرق الرئيسة . انهم لينقضون على اول قافلة محترمة تمر (فان كانت مؤلفة من رجال مملقين لا يملكون الا حمارا او حمارين فلا يتحرش بهم عادة) . ويحملون الغنيمة الى سيدهم . عندها يعمد هذا الى تقسيمها بينهم محتفظا لنفسه بـ (حصة الاسد) . فان كان صاحب القافلة حضيضا واستطاع ان يعيّن هوية سالبية فانه يتخذ السبيل في زورة شخصية الى سيدهم ، فاذ كان هذا من طبقة الاغوات الصالحين، عمد الى رد بضاعته له ، وذلك بعد ان يقتطع منها شيئا لقاء اتعابه . ذلك ان الامر لا يعدو ان يكون لعبة في آخر المطاف . واعتاد احد

إعولت (دزەیی) على رفض رد البضاعة المسروقة دوما لذلك ـفلقدره فأض نتيجة ذلك ذا سمعة لايحسد عليها •

ومن الهوايات الاخرى التي تزجى بها اوقات الفراغ : الصيد بالكلاب ، وما صيد القوم الا الارنب والغزال ، ورمي الغزال والوعل والخنزير عموما • وقلة من القوم تملك بندقيات الصيد ، وليس القوم بخبيرين بها • وقد يطارد القوم على صهوات الجياد ، لكن لعبة الكرة والصولجان (بولو : POLO) غير معروفة لديهم الا على ورودها في الادب الفارسي • لقد شهدت الاطفال يلعبون لعبة من نوع لعبة الـ (هوكي: HOCKEY) بعصا معتوفة وقطعة من خشب تقوم مقام الكرة • والقمار نادر في القرى ، على ان ثمة لعبات بالورق شائعة ذائعة•ويلعب الاطفال بالكعاب ، ولديهم لعبة معقدة يدحرجون فيها الحصى الى ثقوب صغيرة في الارض ايضا • والترفيه الوحيد الذي ينغمر فيه الراشدون هو الجلوس والتدخين اثر عمل يوم طويل •

ولا يتراءى الاكراد ممن يكلفون بالموسيقى كثيرا • انهم من المتطهرين : PURITANS المتزمتين ، واني احسب انهم يعتدونها لا اخلاقية • ان الآلات الموسيقية الوحيدة الموجودة لديهم هي : الطبول ، والـ (زرناي) •

وعلى ما ذكرناه آنفا • ان (ملالي) القرية هم معين للتعليم حصرا• ويتألف ذلك في الدرجة الاولى ، من قراءة القرآن الكريم وبعض المؤلفات الفارسية القليلة ومنها : الـ (كلستان) لسعدي • وجل الزعماء البارزين يقرأون الفارسية ويكتبونها • ولقد شدا الـ (ملالي) شدوا حسنا من الادب الشرقي ودرسوا على بعض الروحانيين البارزين في جوار مواطنهم •

وبصدد الطبيعة الكردية نقول : لقد بينت في (تقرير رسمي لي ان هذا الشعب ينقسم الى ثلاثة صنوف هي : «الاغوات الصالحون» و« الاغوات الطالحون » و «عامة القوم» • وسنتناول اولا : عامة القوم فهؤلاء هم افضل اناس شهدتهم في الشرق حتى الآن • انهم

ذوو مزاج شمالي ، ونظراء العرب والفرس المنهارين ، سريعي الهياج تماما . والكردي قبل كل شيء محب للعمل على وجه خارق ، دؤوب عليه ، ومقتصد . انه يفضل ادخار النقد على صرفه . ثم انه ، ما لم يكن من ذوي المتربة والفاقة التي لابعدها من فاقة ، على حظ كبير من النظافة المستدامة . وخلال النهار ، وعلى مقربة من كل قرية ، تشاهد لمة كبيرة من النسوان [٢٩] وهي ناشطة في غسل الملابس . والكردي اخلاقي الى حد التطهر . ان الموبقات الشائعة في ارجاء الشرق الاخرى لا ذكر لها ولا وجود لها في المناطق العشائرية من كردستان تقريبا . والكردي عادة صموت عن فضول الكلام . وان تكلم فبايجاز ، وعلى وجه الدقة . انه يسمي الاشياء باساميها ومسمياتها . ان ذهنه كثيف بوجه خارق ، وان الرأي الباده : COMMON SENSE ان وجد لديه ، لبطيء جدا . وفوق كل شيء انه « زه هيربن » : رجل يرى ما هو امام ناظريه حسب ، واثر الاستبصار اللازم يعمد الى تكييف فعاله على وفق ذلك . ان ولاء الفلاح الكردي لا يتزعزع بالنسبة لسيده ولا يرجرج ، مهما كان اضطهاد الاخير له . انه لم يتعلم بعد دروس (الحرية)و(الاخاء) [٣٠] .

وان طيب المنبت له المقام الاسنى . والكرد جميعا ذوو مزاج عنيف ، ويمكن اثارته على اشد وجه ، وعلى حين غرة . قيل ان كرديين كانا ذات مرة على مسرى ليلا فتشاجرا بعنف حول اهمية احدى النجوم ،

---

(٢٩) الـ (لمة) الجماعة . وهي من العامي الفصيح عندنا شأنها كشأن النسوان . (المؤلف)

(٣٠) قد يكون هذه هي حال مواطني العراق الكرد ايام على ما تراءت له . لكنهم اليوم ، بفضل (الوعي الشعبي) وزوال ظل الاقطاع الذي ناء بكلكله على الفلاحين وامدا طويلا ـ على طريق المواطنة الناشطة الواعية والحياة الحرة الكريمة ، حياة التآخي والحرية والعدل والمساواة .

(المترجم)

وان قتالا نجم بينهما ، على اثر ذلك ، فكان ميتا بالنسبة لكليهما .

ويروي (ريج RICH) [٣١] ان احد زعماء (خوشناو) استشاط غضبا من ذبابة وقفت على جفنه ، فما كان منه الا ان يسحب خنجره ويضرب به عينه لتعمى . وليست لدى الكردي الا قلة من الريب بازاء الحياة ، وانه ليجن جنونه لدى رؤية الدماء . ان نهزة [٣٢] من نهزات الحصول على السلب لتثير عواطفه الطاعة . وشرفه منوط بحريمه ، وانه لملزم ، بقانون صارم ، على الاخذ بالثأر ، ان مس هذا الشرف في اي وقت . من كل ما سبق يتبين ان طبيعة الكردي السوي هي طبيعة الفلاح الكادح شطرا ، وطبيعة المبتدي غير المروض شطرا آخر !
والعنصر الثاني هو السائد في قبائل التلال التي هي اكثر نأيا .

والاغوات ، باعتدادهم طبقة ، هم اكثر ابتعاثا من هذا . اذ لديهم القدرة على التفكير الافضل وان لهم روحا اسنى . ان خصائصهم ، على العموم ، هي خصائص الفلاحين انفسها ، فيما خلا الزوايا التي شذبتها الحياة الزراعية التي مارسوها ومارسها اسلافهم من قبل اجيالا .

تراود كل (اغا) شهوة الطمع الى حد ما . ومن يلجمها منهم هم الاغوات «الصالحون» ومن يطلق لها العنان هم الاغوات «الطالحون» .

وعند الكردي عادة غريبة هي الايمان من شأن اخوانه، ولعلها مما غرس الترك الذين مالوا الى جعله عثمانيا ، ومحو الشعور القومي منه . شد ما يشير [٣٣] الكردي الى نفسه بلفظة (زەهربن) اي : من

---

(٣١) كلوديوس جيمس ريج (١٧٨٧ـ١٨٢٠) رحالة نابه الذكر جاب العراق واطلع على كثير من ارجائه عهد ذاك واودع ثمرة (رحلته) في مجلدين ضخمين طبعتهما ارملته سنة ١٨٣٦ وعنوانها :
وما كتبه ريج يعد في طليعة ما كتب عن آثار العراق .
NARRATIVE OF A RESIDENCE IN KOORDISTAN. ETC . (المترجم)

(٣٢) النهزة : هي الفرصة .

(٣٣) اصلها (ما اشد ما) ولكثرة استعمالها حذف منها حرف التعجب . (المترجم)

يرى الظاهر حسب ، او «طمع كار» اي الطامع و«وحشـــي» اي :
المتبـدي .

ويطيب لي دوما ان اقارن الكردي بتلميذ مدرسة ، ان طبيعته على غراره ، وانـه ليصدم بيسـر في اشـد الظـروف رخوا واطـرادا ، وهـو مطيع عندمـا تكون بيد سـيده عصـا (كـذا : المترجم) ، وانه ليفسد ايضا بالقسوة الشديدة وبالعطف الشديد ، سواء بسواء ، انه في الغالب قاس من دون تفكير ، ولا يعتد بشعور الآخرين . وان لديه قانونا صارما جدا من قوانين الشرف وذلك بقـــدر تعلق الامر بالتذلل ، وانه ليلعب في بعض الظروف لعبـــة تأنيب على حظ كبير من خطـر .

الفصـــل الرابع

القبيلــة

القبيلة : مجتمع ، او حلف مجتمعات ، قائمة لاسباغ الحمايـــة على من ينتظم فيها من آحاد ، ليستعان بها على صد العدوان ويستظهر على الحدثان الآتيين من الخارج ، ثم الحفاظ على الاعراف العتيقـــة ومقاييس الحياة . ومن القبائل من لا رئيس لها ، ومنها مـــا يكون الرؤســاء فيها عــديدين .

ان كل كردي تقريبا ، سواء سكن المدينة ام حل في قرية ،ليشير الى نفسه باعتداده قبليا ، وان لم يكن له قبيلة معترف بها . ان مراده من تلكم النسبة هو : انه يقر العرف العشائري ، وعــادات القبيلة ، ويأمل من الآخرين ان يعاملوه باعتداده مالكــا للحقوق العشائرية . « عشير تام » اي : « انا عشـــائري » وهـــذه العبارة تقـــابل (CIVIS ROMANUS SUM) الرومانية ، ومــدلولها : « اني لانتمي الى عصابة ما » . ان هذه النسبة يجب ان تنال حظوة وتبجيلا .

ويختلف مقام الزعيم كثيرا من قبيلة الى اخرى . ففي الجبـــال القاصية ، وعلى الرغم مما فيها من طاعة عمياء له ، انــه ، على الوجه اللاحب الجلي واحد من ابناء القبيلة ، متقدم اسرة نالت زعــامتها عن سبيل الشجاعة الحربية . وفي الدرجة الادنى انه لينتمي غالبا الى طبقة منفصلة تماما ، وينحدر من اصل يختلف عن اصل ابناء القبيلة نفسها . وتنقسم القبائل الكبرى الى فروع ، وفي قبائل شتى نجد فروعاعديدة تحمل اسماء متشابهة ــ ان هذه لتدل على ان الفروع تمثل المــالكين الاصلاء للارض ، على حين ينتمي الرؤساء الحاليون الى اسر قوية غزت ديارها واستحوذت على اراضيها . انها ، على وجه ملحوظ قبيلـــة الـ

(دزه‌یی) [١] اذ ان الارضين كلها تقريبا مملوكة من قبل اسرة قوية واحدة ، يقف بازائها قليل من الاغوات والمختارين العشائريين القدامى في نضال ليس هو بنضال الند للند ابدا . هنا الزعيم من المالكين ، والنظام السائد اقطاعي وليس عشائريا .



زعيم من زعماء الاكراد

وقبيلة (سورجي) لها شأن ملحوظ . انها تحيا ، شطرا ، شمالي

---

(١) فروع هذه القبيلة هي : (ميران) و (كونتولا) و (مامان) وهي تستوطن اطراف جبل (قره‌جوق) و (كنديناو) في قضاء مخمور . ويشتهر ابناؤها بالجد والنشاط وتساعدهم ارض ديارهم الخصبة . لا شك ان زوال الاقطاع في العراق سيجعل جميع ابناء القبيلة هذه ، والعشائريين جميعا يقفون ، بقدر تعلق الامر بحقوق المواطنة على قدم المساواة ويزول التباين الناجم عن الاستحواذ على الارض بالقوة .

(المترجم)

(الزاب الاعلى) في منطقة عقرة [٢] وشطرا آخر في اقليم رواندوز ، جنوبا . وفي الشمال ثمة اسرة من الشيوخ المنحدرين من احد الروحانيين ، اكتسب في القبيلة نفوذا كبيرا فاصبحت مالكة الارض وزعامتها . ولا تزال الفروع القديمة موجودة جنوبا ، وكل مختار قرية هو مستقل ، وذلك على الرغم من ان الجميع يعتدون بالرابطة القبلية الواحدة .

ومن بين الاحلاف القبلية يعتد كل من الـ (بلباس) والـ (خوشناو) ابرزها واظهرها . ويتألف الـ (بلباس) [٣] من ٧ او ٨ قبائل، بعضها في الديار الفارسية وبعضها في منطقة رانية ، ولكل منها حدودها. ان القبائل المنتظمة في الحلف هي على حالة احتراب غالبا، لكن المفروض انها تتحد بازاء عدو خارجي . واحد (الاغوات) هو الزعيم الرمزي ، واعني به (ابن بايز) ، وهذا سيد (٥) او (٦) قرى فقط . ولعل اسلافه كان لهم ولاء الحلف كله ، لكن سطوته اليوم لا يعترف بها الا بقدر منحه مقام الصدارة لدى اجتماع زعماء قبائله . ومن المحتمل ايضا استدعاؤه ليقود القبائل ان اضطرت الى اتخاذ اجراء مشترك .

والـ (خوشناو) [٤] حلف مؤلف من ثلاث قبائل ، قبيلتان منها

---

(٢) بليدة ذات رواء مبنية لحف جبل بطبقات بعضها فوق بعض . فيها شلال بهيج علوه نحو ٣٠ مترا واسمه (سيبا : سي‌ئا) ورد اسمها في (معجم البلدان) باسم « عقر الحميدية » ويسميها الاكراد (اكري) .

(المترجم)

(٣) منها « منكور » و « ماميش » و « بيران » و « سن » و « رمك » ومن الطريف ان نذكر ان لهم طريقة غريبة في ابراء الجروح ، اذ انهم يجعلون الجريح في جلد بقرة ويخيطونه ، وراسه الى الخارج، وما ان يأخذ الجلد بالتعفن الا يخرجونه .

(المترجم)

(٤) شقلاوة موطن الـ (خوشناو) الرئيس وفروعها (بشت‌كلي) و (ميرپوسفي) و (ميرمحملي) ومنها تسكن منطقة (كوي) و (رانية) .

(المترجم)

لا تنفصلان بحد ما وقراهم مختلطة . ان سطوة رئيس (الحلف) هنا معترف بها عموما . وذلك على الرغم من ان الزعماء الثانويين يحبون الظهور بمظهر المستقلين تماما .

ان الاكراد غير القبليين هم ، في العادة ، من مزارعي احد (اغوات) المدينة ، وهذا يعمد الى الحفاظ على حقوقهم ، على غرار ما يفعل الرئيس القبلي . فان كان هؤلاء مستقلين جعلوا انفسهم تحت حماية اقرب (اغا) قبيلي قوي (ان الله اوصى بالجوار) ــ ابان ساعة العسرة .

ولزعيم القبيلة واجبات عديدة بازاء مزارعيه او ابناء قبيلته ، واشدها خطرا انه يصبح الناطق بلسانهم في جميع القضايا ذوات الصلة بالحكومة . انه ليعقب مصلحة ابن قبيلته في اية دعوى او قضية جنائية ، سواء اكان هذا على حق ام كان على باطل . فان ثبت ارتكاب رجل ما جريمة قتل او سرقة يتخذ الاجراء اللازم لاستعادة المسروق ودفع الدية . لكنه لا يمكن ان يحمل ، الا بعسر ، على تسليم المجرم الى السلطات الرسمية ، او اتخاذ اجراء تأديبي ، فيما خلا استيفاؤه الجزية . انه ليسترحم خفض عائدات الضريبة المفروضة على فرد ما ، فان لبى ذلك عمد غالبا الى الاستحواذ على المبلغ المدفوع كليا او جزئيا .

ان الاغوات لشديدو الوطأة على مزارعيهم ، وذلك حق على وجه خاص حين تكون الحكومة بمقربة ، وفي مقدورها ان تمارس سلطتها . وفي المناطق الجبلية يكون العشائريون على حال من الاملاق الشديد والفاقة ؛ لذلك فانهم لا يشفقون من الحكومة الا قليلا ، وان اراد زعيمهم الضغط عليهم لقي في ذلك عسرا شديدا . فان عمد الى ذلك نجم زعيم مناوىء سريعا . ان الكردي العشائري السوي ليعتد الحكومة معبودا غريبا لا سبيل الى استكناهه ، وينطق بلغة غير مفهومة . انه لا يمثل امام هذا المارد . انه يترك لزعيمه ، وهو على كل حال فاهم ، اجتزاز جزته من دون رحمة ، واثقا من انه قادرا على تهدئة المارد ، الذي سبق القول عليه ، اذ قام الظرف المناسب لذلك . فان راجع بازاء زعيمه جاء في اثر ذلك العقاب معجلا و (كما تسرع في اللمح مقلة الغضبان !) . ذلك ان

أعداءه سيهبون بوجهه فيسرقون حيواناتـــه ، ويقطعون الماء عنه ، ويتحرشون بحريمه . وليس كل زعيم بضطهد مزارعيه،فبعض الزعماء هم بمثابة آباء لقومهم ، ومعين العطف والاحساس بالنسبة اليهم . على ان من ليس له مخلب طمع فهم اقلاء جدا . وحتى الـ (اغا) الصالح لا يعدم التبجيل بسبب من الحماية التي يسبغها بازاءالاعداء الخارجيين على آحاد قبيلته . وفي بعض الحالات يعمد الزعماء الاكراد الى الحفاظ علي اليهود والنصارى باعتدادهـم ارقاء(*) . ومهمـا يكن من امر ، ينجم اضطراب عظيم ان تحرش امروء من الخارج بهم ، ذلك ان الحاق ضرر بنصراني لامر سيء شأنه كشأن تشويه عضو من اعضاء بقرته .

ان الزعيم ، باعتداده مالك الارض يستحق عشر ما تنتج ، وفيما عدا هذا ليس له من حق قانوني ابـــدا . على ان العرف العشائري يقضي بان يهدى الزعيم الاعظم نعجة حبلى من القطيع الكبير الذي تشهده السنة في مطلعها . يضاف الى ذلك ان العادة جرت ، في مناسبة العيدين ، وهما عيدا المسلمين العظيمـان ، على ان يزور الزعمـــاء الثانويون رئيسهم الاعلى واعطائه الهدايا . وبهـذه الطريقة يعترف المختارون بسلطة زعيم ليس هو بمالك اراضيهم ايضا . وشبيه بهذا ، يأمل الزعماء الثانويون ممن في امرتهم القيام بزيارتهم واعطائهم الهدايا.

ان «المعينين» وابناء القبائل هم على استعداد لدعم زعيمهم دوما وذلك بازاء العدو الخارجي ، وبازاء الحكومة عـادة ، اقول ذلك على الرغم من طرف قام فيما مضى فرفضت فيه الـ (دزه يى) ان تمد يد العون الى (اغواتها) في خصام نجم بينهم وبين السلطات .

ان القانون العشائري يرتكن الى القانون القديم القاضي بمقابلة المثل بالمثل . ولا يملك الزعيم القبلي سلطات قضائية ما لم تمنح لـه من قبل الحكومة . وفي مقدوره ان يقوم بدور المفاوض الوسيط ، ولا

(*) لعل مثل هذا كان موجودا او انئذ . اما اليوم فبزوال الاقطـــاع وانتشار الوعي فليس ثمة شيء من هذا القبيل ابدا .

(المترجم)

يكون ذلك الا عندما يراجعه الطرفان ، وفي حالة الظلم الفاضح •وقد يعمد ، في بعض الاحيان ، الى الوقوف بجانب المتضرر ويحمل المعتدي على اتخاذ ما من شأنه ازالة الضرر وآثار الاعتداء • ولا يسمح القانون العشائري باقامة محاكم قضائية ، ولا ينص على عقوبات معينة تفرض على الجرائم المرتكبة فيما خلا حالة المساس بشرف المرأة • ان المجنى عليه في مثل هذه الحالة ملزم باتخاذ اجراء ما لاستيفاء ما يستحقه شخصيا •

وعلى ذلك لو استيقظ رجل ما ، ذات صباح ، ووجد ان قد سرق حماره ، فانه يبادر الى اقتفاء اثره ليكتشف ، في خاتمة مطافه ، القرية التي سير به اليها • ثم انه يعمد الى مراجعة مختارها ، ولعل هذا المختار ، ان جرت السرقة بدون علمه ، يقوم باعادة الحمار المسروق الى صاحبه • على انه ، في حالة كونه عدوا للمدعي او عدوا لزعيم المدعي ، يعمد الى الرفض • وعندها يراجع المدعي (اغاه) فيقوم هذا بارسال نفر من حاشيته لسرقة حمارين من قرية الرجل الآخر • وهكذا تمضي اللعبة الطيبة حتى تختتم بتسافك الدماء او يستدعى طرف آخر ليقوم بوظيفة الوسيط المفاوض بين الطرفين •

ان من يسرق لمنافعه الخاصة ، اعني من دون ان يستحصل من سيده اذنا شخص طالح حقا ، ومثله مطرود من القرية عاجلا ام آجلا • وعندها يلتحق بالشرطة او الشبانة المحلية ، ملجأ الآفاقين جميعا •

ولو سُرق ملك مسافر ، او غريب ، ابان ثوائه في قرية ما ، كان المختار مسؤولا اما عن العثور على ما سرق او دفع قيمته ، شريطة ان يكون الغريب قد اعلمه بوروده القرية اولا •

وبصدد شرف المرأة اقول : ان القانون لصارم جدا • فالمرأة من اية مقام اجتماعي ان تصرفت عسفا (٦) او اشتبه بها على اسس ركينة ، فان مصيرها الموت جزما •وان زوجها، او اخاها او اي شخص مسؤول

---

(٦) العسف : السير في غير السبيل الراشد .

(المترجم)

عنها ، المحجم عن غسل عارها بالاجهاز عليهــا ، يعتد لشرفه فاقــدا ، فـ (ناموس) الكردي من اثمن ما لديه طرا . ولا معدى من ان كثيرا من الكرديات قد لاقين حتفهن ، عن هــذا السبيل ، وابان ثوائي في اربيل ، لكن قلة من حالاتهن احطت بها خبرا ، وبعد مرور امد طويل على الحادث عادة . وطرق سمعي حادث امرأة وضيئة جعلت في كيس مشدود ورميت في النهر نزلا . وحتى ، عند وقوفي على امثال هــذه القضايا ، كان اتخاذي اجراء مــا غير ذي موضـوع ان رأى ان الرأي العام القبلي كله يدعم القاتل ، وكان من المستحيل الحصول على بيّنة . وبقدر تعلق الامر بالرجل الذي يسبب انزلاق امرأة وسـقوطها ، ان القانون ليس بقاس الى ذلك الحد . وعلى كل حـــال ، انه في بعض الحالات لمقتول ايضا ، لكنــه في الاغلب الاعم يعمد الى الافلات بدفع (ديــة) المرأة .

ولقد وقعت حادثة ممتعة قاسى فيها رجل باكثر من امرأة في منطقة رانية خلال صيف سنة ١٩١٩ ، كان (مامند اغا) زعيم قبيلة (اكو)، قد بنى باخت (ساوار اغا) زعيم قبيلة (بيران) ، وكـان يشك بابن عم الاول في انه يصرف عنايته كثيرا الى المرأة التي سبق ذكرها ، وان ثمة اساس سليمة تحمل على الظن هذا . وكان اسم ابن العم هذا : سليمان اغا . وعلى ذلك قام مامند اغا ، ذات يوم يصحبه وغد نجس الاسم ، سنلتقي به فيما يلي ، يدعى مامند بن شيخ اغا ، برحلـة عبر ســهل بيتوين . وبينما كان هذا راكبا قام مامند (الثاني) باطلاق النار عليه من وراء فجأة . وكان ان عمد الاثنان الى تمزيق جثته بالاطلاقات ،واشعال نار سودت وجه نصف السهل ، فالتهمت جثمان سليمان اغا الضحيــة التاعسة . وما ان عاد مامند اغا الى بيته الا عمد الى ارسال زوجه الى اخيها : (ساوار اغا) ، مبينا ان من واجبه ان يزيلهــا من الوجود . لكن هذا، لسبب ما ، احجم عن القيام بذلك ، مما جعل (مامند اغا) يستشيط غيضا . وما ان عُرف بالفعل وشاع الا ولى القــاتلان من البــلاد فرارا .

ان المرأة سبب في جل المشكلات التي تقع في كردستان ، وكم من (هيلين) انزلت الويل ببلادها . ان الفريقين المتنافسين في (بشدر)،وهي اقوى قبيلة كردية في كردستان الجنوبية ، كانا ينجرفان الى صدام ، بسبب امرأة ، ويسببان للحكومة بذلك حرجا عظيما .

كانت الترتيبات قد اتخذت لزواج المرأة الوضيئة من احد ابناء الفريقين ، على حين كان الفريق الاخر يرى ان له في ذلك سبقا . وعلى ذلك قام بالقبض عليها في بيتها على حين غرة ، وفر بها . ثم اعقبت الخطف هذا مفاوضات استطالت شهورا ، وما أن بدأت الامور تبلغ اوجها الا قام طرف ثالث من قبيلة مختلفة كليا ، اعني (قبيلة منكور) ، بخطف الفتاة من بين ذويها ، تاركا الفريقين المتنافسين ذاهلين دهشين .

سبق لي ان قلت ان ابن العم هو صاحب السبق في طلب يد ابنة عمه . وعلى ما قال الشاعر :

« كم خاطب في امرها الحّا   وهي اليك (ابنة عم) لحّا[7]

كانت لرفض منح هذا الحق عقبى تمثلت في خطب ملم وحادث مهم وقع في تموز سنة ١٩٢٠ وكان مسرحه قرية تدعى (كابانك رش)، واقعة على المنحدر الشرقي لـ (قرەجوغداغ) .

وكان رئيس القرية هذه يدعى (خال بكر) وكانت تعيش في كنفه اخته الارملة (امينة خانم) وبنتها الوضيئة ، كزهرة الربيع ، (فاطمة) . وكان ابنا عم فاطمة يسكنون في القرية الكائنة على سفح التل الاخر ، وهما (فرهان الاعرج) و (رحمن آغا) . وكان فرهان قد ارسل اخاه مرات عدة يرجو خال بكر الزواج من ابنة اخته ـ ذلك ان ليس من الاصول ان يذهب اليه بنفسه خاطبا . لكنه قوبل ، في كل مرة ، بالرفض بتاتا . واخيرا قام احد زعماء الـ (دزەيي) الكبار المسمى (حاجي پير داود اغا) بتقديم عروض سرية يروم من ورائها

---

(٧) لحا : اى قرابة وثيقة متصلة وهي عندنا من العامي الفصيح . وكم في العامية العراقية من كلمات فصاح عربية .

(المترجم)

تزويج الفتاة من ابنه معروف . وكان الصداق المعروض كبيرا ، فلقي الامر من خال بكر قبولا .وجرت الترتيبات للزواج المرتقب باقصى درجة من السرية ، وحتى تم الحصول على الاقرار الرسمي من قاضي اربيل كيلا تقع مشكلة شرعية . لكن ذلك كله كان عبثا غير ذي جدوى .

وذات ليلة ، والدنيا (عليها من سدف الظلام ستور) بينما كانت فاطمة نائمة مع امها وتابعتها في (كبرة) مصنوعة من اماليد الشجر خارج بيتهم تماما ، انقض رجلان فجأة واغمدا خنجريهما في جسم الفتاة وتابعتها حتى لفظتا الانفاس الاخيرة . ولم تنج الام العجوز من المصير نفسه الا بقدرة قادر . لاشك ان احد القاتلين كان (رحمان اغا) نفسه . وملئت القبيلة كلها رعبا . كان الاجراء المسليم قتل (حاجي بير داود) او خطف الفتاة عنوة . ان قتلها كان خطئا كبيرا ، ذلك انها لم تكن غير متاع في بيت حاميها . ان حاجي بير داود ، وهو هرطيق كبير ، جاءني .واخذ دمعه يرفض لكنه ليس من الدموع التي عناها الشاعر :

وارى دموع العين ليس لفيضها غيض ، اذا ما القلب كان قليبا[8]

انها «دموع التماسيح » وقد اخذ يسكبها في (مكتبي) ويشتكي من ان ولده قد لحق به ذل ــ والولد لم يكن الا حشرة تاعسة كنت اجتويها ــ وان شرفه وهيبته قد ذهبا الى غير رجعة . والقي (رحمان اغا) في غيابة السجن . ولم يكن فى الامكان اقامة البينة عليه ، وفي الايام الحرجة التي جاءت في اعقاب ذلك تيسر اطلاق سراحه . وبالنظر الى الوضع القائم ، اتفقت الاطراف المعنية على نبذ القضية ، ذلك انها كانت جميعا على ضلة .

وبصرف النظر عن القضايا التي تتصل بالنسوة ، فليس القتل بامر شائع . وقد يشهد رجل ما رجلا اخر يسمح لخرافه باختراق حاصلاته فيعمد ، في سورة من المزاج المهتاج ، الى اطلاق النار عليه فيرديه قتيلا. وفي الاغلب ، يحدث القتل بسبب المنازعات الدائرة حول ملكية الارض

---

(٨) القليب = البئر

او الماشية . وفي حالات كهذه ، تمثل زوج المجني عليه او أمه ، ومعها ثياب عزيزها الملطخة بالدماء وتعول : (داد ! داد ! العدل ! العدل !) واني لاذكر ان جيء الي ، وانا في مندلي ، بجثمان تام ، ورمي عند باب (مكتبي) صبيحة (يوم الميلاد) ، وما كان هذا بهدية مناسبة في مثل ذلك اليوم الاغر . ثم ان الدرك كانت توفد لالقاء القبض على القاتل ، لكن الفشل كان نصيبها دوما . ذلك ان من المشروع قيام ذوي القتيل بالثأر له ، لكن انزال العقاب على يد المارد المسمى بـ (الحكومة) امر مختلف تماما . وعلى ذلك يخفى المجرم بعناية ، حتى يستطيع الهروب الى التلال بسلامة . وللحيلولة دون حدوث قتول اخرى ، اذ قد يصبح ذوو قرباه للثأر هدفا . يعطى الاذن بـ (الفصل اخيرا) ، وما ان تدفع (الدية) ومعها غرامة لقدية مادية ، الا يسمح للقاتل بالعودة الى حضن اسرته وكنفها .

والمراد بالفصل حسم القضايا على وفق الاعراف العشائرية ، وذلك يشمل اى نزاع حادث عموما و (الثأر الدموي) خصيصا . ويتم الحسم هذا على يد شخص واحد ، هو اما (الزعيم) او (وجيه) يتفق عليه الطرفان المعنيان ، او قد يحال الى (المجلس) ــ وهو مجتمع الزعماء العشائريين ــ المؤلف من ٣ او ٥ عادة .

ان «محكمة» كهذه تقوم عادة ، بالتحكيم ، حسب ، وذلك على الرغم من ان الحكومة قد تصر على ان تقوم باصدار قرار يكون ملزما . ويحسم «ثأر الدم» عادة بدفع (الدية) ، وكل حالة ، متصلة برجل او امرأة ، لها سعرها الخاص ، كما ان اقسام الجسم لها قائمة اسعار خاصة بها . ان سعر الفلاح الـ (كرمانجي) ، الكردي من الطبقة الوسطى ، محدد بـ ٩٠ جنيها ، واحدى نسوته بـ ٤٥ جنيها ، ورجله او ذراعه بسعر لنقل انه : ٢٠ جنيها . ان مثل هذا الدفع يتم في الغالب عينا ، اي ببعض الماشية او بحصان ، او بمقدار من الحنطة ، تسلم الى الطرف المتضرر . ومن الشائع جدا ان تعطى فتاة ، على سبيل الزواج ، تسديدا لـ (دية الدم) .

وعلى ذلك لو كان المطلوب ٩٠ جنيها كان سعر رجل واحـد ، بفرض امكان تسديد الدين ، هو : فتاة ، وثلاث بقرات وحمار • فان كان الثأر عظيـما ، فقد بنتيجته اناس عديدون حيواتهم ، فانهم يعمدون الى حساب عددهم وعدد النسوة والاطفال ، على الطرفين ، ثم يحتسبون اسعارهم ، ومن يربح من الطرفين يدفع الفرق بين المبلغين • وعندما يتم حسم القضية ، وبغية الحيلولة دون نجوم المشكلات كرة اخرى ، يعمد المتخاصمون ، في الاحيان الى ختم الصلح بأن يعطى كل واحد فتاة ، على سبيل الزواج ، للآخر •

ويجري (الفصل) في العادة ، عندما تكون الاطراف المعنية من الطبقتين الوسطى والدنيا ، ذلك ان من يقوم به هم زعماؤها انفسهم • لكن الحال مختلفة عندما يكون المعنيون به الزعماء انفسهم • وعندها يتطلب نسيان الضر سنين طوالا ، وعلى الرغم من ان الصلح قد ينعقد بضغط الحكومة ، لكنه ينخرق بمجرد رفع ذلك الضغط عنه •

وعندما تقع حادثة قتل فان القلق الرئيس الذي يساور (الحـاكم السياسي) مبعثه الحيلولة دون ان يؤدي ذلك الى احتراب ذي خطر بين العشائريين • لقد كان احتراب القبائل ، في الازمنة التركية ، امراً غالبا • وكان يحدث ذلك ، في الاعم ، بين فريقين متخاصمين من القبيلة نفسها ، وباكثر مما بين قبيلتين مختلفتين • ان شرارة صغيرة تؤدي الى اندلاع نار لاهبة ، لكن ثمة اسبابا اعمق واخطر تكون قائمة عادة ، وفي السهول خاصة ، حيث التوق الى التوسع فامتلاك الارضين هما دوافع الزعيم الكردي الرئيسة في الحياة ، قصاراه ومنتهى امله فيها • وقـد سجلت الاغاني كثيرا من الاصطدامات القبائلية ، وهذه يستعان بها على تزجية ليالي الشتاء الطويلة •

وخلال السنوات الخمسة والستة الاخيرة نجم عراكان كبيران بين عصبتين متنافستين من قبيلة الـ (دزه يي) ، آحاد كلتيهما ينحدرون من سلف مشترك يعود بزمنه الى ما قبل خمسة اجيال • لقد سببت الاولى منهما محاولة قام بها شيخ عجوز من المالكين ، تنصب على بيع قريته •

وكان ان حارب فريق (احمد باشا) فريق (ابراهيم اغا) وسبب ذلك: من هو صاحب الحق في شراء القرية ؟ وكان ان فقد نحـو ٦٠ رجـلا حيواتهم من جراء ذلك .

اما العراك الثاني فقد كان جاريا عندما بلغت قواتنا كركـوك في تشرين الاول سنة ١٩١٨ . وكان ان نجم نزاع بين فريقي (ابراهيم اغا) و (حاجي بير داود) على امتلاك بئر ما . ذلك ان احد اقرباء الاخير قد اطلقت عليه النار ، فقتل ، وهو قادم ليخرج الماء من البئر . وجرى احتراب متفرق كثير ، سقط خلاله ابن ابراهيم اغا البكر ضحية ، ولم ينته الا عندما تقربت القوات البريطانية من موطنه ، وعندها عقد صلح علـى اسـتعجال .

وقبل نحو ٢٠ سنة ، وقعت معركة في سهل بيتوين وطار صيتها كل مطار . ذلك ان الـ (بيران) ـ وهم من اعتادوا على الشـخوص الى التلال صيفا وكانوا بسبيلهم الى النزول منها واتخـاذ السـبيل الى مستقرهم الشتائي ، وجدوا ان جميع جيرانهم قد الفّوا عصبة تهدف الى منعهم من العودة ومشاركتهم في اراضيهم . وما كان الـ (بيران) يتألفون الا من ١٢٠ فارسا فقط ، وكان ان اخترقوا المضيق الذي نفذ منه الزاب الاصغر في سلسلة (قرەرش) فاداهم السير الى حيث تنتظرهم قوة مؤلفة من ٣٠٠٠ من الرجال . وجلس الطرفان الضـدان يرقبـان بعضهما بعضا ، ويلحظان،واستطال ذلك اياما.وكانت سرقة كلب صيد أثير سببا في اندلاع نار معركة بينها . واسفرت هـذه عن ظفـر الـ (بيران) ـ المعروفة بالشجاعة ، من دون ان يراق دم ابدا .

ان مثل هذه المعارك تشن ، عادة ، على وفق اساس معينة مقررة. وكل فريق من المسهمين فيها ينسحب مـن ميدانها لتناول الطـعام في الوقت اللازم ، ويسفر عنها قدر كبير من الجلبة ، ولايسفك فيها مـن الدم الا قليلا . ويكلف الكردي باطلاق العتاد ، لذلك فأن الافا مـن الاطلاقات لتصرف من دون ان تقع بسببها ضحية ما . وتتألف الحروب القبلية ، في الغالب ، من سلسلة غارات تنصب على ممتلـكات العدو

ولا تنتهي بحرب عوان الا على الندرى •

ذلك ان الكردي ليس بمقاتل حسن (كـذا ! : المترجم) على وفق معاييرنا • لقد افلح الاتراك ، خلال الحرب ، بتجنيد قلة من الكرد ، ولقد فر هولاء كلهم تقريبا • ان الكردي ، في الدرجة الاولى ، يحب بيته ، ويعني هذا : اسرته • ولقد اعلمني زعيم من زعماء (منكور) انه لايستطيع ان يبقى بعيدا عن بيته لاكثر من عشرة ايام ، وانه ليعجب كيف يستطيع الاوربي احتمال العيش في ديار الغربة ، مفارقا ذويه لمدد طويلة •

ان هذه الخصيصة لتفسر الظفر الذي ادركته الـ (بيران) في صدامها الذي شهده (بيتوين) • انها كانت تحارب لحماية اسرها ولفتح طريق الى قراها ، على حين كان غرماؤها غائبين عن مواطنهم لايام عديدة ، لذلك ما كانوا ، في المعركة ، راغبين • والكردي ، من حيث الاساس ، من رجال حرب العصابات ، ومتفوق في نصب الكمائن والانقضاض على (مواقع الستر) المنعزلة •

ولو ضغط عليه من قبل قوة متفوقة ، غير متكافئة مع قوته ، فانه ليهرب من دون ابداء اية مقاومة ، متخذا السبيل الى حصونه الجبلية• انها تجود عليه بملجأ امين حصين•واثر عراك قصير تجده على استعداد نعقد الصلح ، واكثر استعدادا لمعاودة الصدام ان استعاد قوته كرة اخرى • وبقدر تعلق الامر بالدعاوى المدنية ، ليس في قانون العشائر نصوص ما • فهي اما ان تحال الى (الزعيم) للتحكيم او الى (ملا) لتفسير الحكم الشرعي ، او الى المحاكم المدنية في اقرب مركز للحكومة• ان اشيع نمط من انماط الخصام ما اتصل بتملك الارض ، ويسفر عنه في الغالب ، تسافك دماء • ولا يمكن حسم مثل هذه القضية الا من قبل سلطات الحكومة ، وهي تتطلب اجراءات طويلة ، لكن زعيم القبيلة قد يمد غالبا الى التدخل فيها فيرتب بين الطرفين المعنيين حلا وسطا •

ومن اشكال الحلول الشائعة : اليمين • فان اتهم (أ) (ب)

بسرقة حماره ، ولم يستطع اقامة البرهان الكافي الوافي لاستحصال حكم ، كان في مقدوره ان يطلب من (ب) حلف اليمين بانه لم يستحوذ على الحيوان . فأن نكل (ب) عنها اعتد الطرف المذنب ، وان اقسم اليمين المقررة ، سقطت القضية . وقد يطلب (محكم) في قضية ما ان يحلف الطرفان كلاهما يمينا .

وهناك اشكال عديدة لحلف اليمين ، واشيعها ان يقسم : باسم الله : (والله ، بالله ، تالله) . ولكي يكون القسم : (بالله حلفة صادق ثم يكذب) يضع المقسم يده على القرآن (الكريم : المترجم) . ومهما يكن الامر ، ان الكردي ذو دربة على ايراد الكذبة الفاحشة (كذا : المترجم) ، وانه ليحلف يمينا غموسا كل يوم مرات عديدة . قال لي احدهم في يوم ما : « ما ان يبدأ الكردي بالحلف فما عليك الا ان تنأى عن تصديقه » . (كذا : المترجم) ، وأن قال احدهم (بالله وبرسول الله وبالقرآن الكريم وبرأس والدي ، لم اكن في القرية حاضرا يوم سرق الحمار) فان السامع يكاد يصبح على يقين من انه كان موجودا فيها حقا . وعلى كل حال ، لو عمد المقسم الى جذب الجانب الايسر من سترته بيده اليمنى وهزه قائلا : « لقد سمعت ، ولكنني لست على ثقة ، لذا لن اقسم على ذلك يمينا : بأن قادرا باع رضه الى رشيد اغا قبل ١٠ ايام بثمن ٥٠ باونا » فليس ثمة شك الا على وجه يسير من انه يفوه بالحقيقة .

لذلك كله ، ولان الكردي على استعداد لان يقسم اليمين الغموس مست الحاجة الى ان تبتدع انماط خاصة منها له . لذلك كان لزاما عليه اما ان يتخذ السبيل الى مرقد قصي كائن في التلال ، حيث يزعم ان عقابا غليظا ينزل بمن يقسم كاذبا ، او ان يطلب منه ان يحلف بالطلاق . ففي الحالةالاولى تعتريه غالبا نوبة عصبية قبل ان يبلغ خاتمة سفره ، فيقول الحقيقة . وقد يمكر في الشكل الاخير من (القسم) ،

(على مايضل البرز[9]) • فيداجي في القابله ، لكنه ، في العادة يعنى بالفشل [10] ، فيغدو (وكأنه مشدود بالوثاق او مأخوذ بالخناق !) •
فأن جرى الحلف بالطلاق فعلى المقسم ان يورد من ٣ـ١٢ طلقة ، على وفق عدد زوجاته من ١ـ٤ • فأن كانت يمينه ، بعد ذلك ، غموسا كاذبة ، فأن زوجاته يصبحن مطلقات منه تلقائيا ، وعلى معنى ان ذويهن يعدن عليه لياخذوهن من عصمته • انه ، كشأنهن لينحط قدره ، ويغدو معرضا لانتقام ذويهن ان لامسهن اثر حلفه اليمين بطلاقهن •
وليس من اليسير تسوية الامر بمعاودة الزواج ، اذ ان الشريعة تقضي بأن تتزوج المطلقة من رجل اخر ثم تطلق منه قبل ان يكون في مقدورها معاوده الزواج من بعلها الاول •

وسأختم هذا الفصل بتعداد موجز للقبائل الكردية الرئيسة ، واعني بالقبائل القاطنة بين (الزابين) •

يقطن اكثر من نصف منطقة اربيل ، المكونة من صحراء قرمجوغ، كنديناوه ، واخصب شطر في سهل اربيل ، قبيلة (دزه يي) ، وهي التي تجود باغلب السكان على القرى ، التي توصف بأنها غير عشائرية في اقسام المنطقة الاخرى • لامعدى اذ تكون عدة هذه القبيلة ٣٠ الف رجل تقريبا ، وفي مقدورها ان تبرز الى الميدان ٦٠٠ من الفوارس و٤٤٠٠ من المسلحين تسليحا حسنا[11] • لقد انحدر ابناء القبيلة من التلال قبل نحو ثلاثة قرون ، فحلوا في قرى قليلة كائنة حول

---

(٩) المخادع : المخاتل ، وفي العامية العراقية (جريزة) •

(١٠) فشل اى ضعف وجبن •

(المترجم)

(١١) هذه هي عدتها ايام (الكتاب) اما اليوم فراجع الارقام التي اوردناها في الفصل السابق •

(المترجم)

(قوش تبه)[١٢] • ودأبوا على دفع (الخاوة) الى العرب • وقبل نحو ٦٠ سنة اخذوا بالتوسع وسرعان ما اطبقوا على الارضين الممتدة حتى دجله ، حالين محل البدو العرب الذين سبق لهم ان كانوا يسرحون ويمرحون فيها • وعلى مقربة من اربيل نفسها ، فأن القرى ، وان كانت كردية ، لكنها ليست بعشائرية ، غالبا • والى الشمال من المنطقة تحل الـ (كردي) وهي قبيلة صغيرة لكنها نشطة ، وهي التي استطاعت قبل هذا الحين الى ان تصد الـ (دزه يي) وتصيب في ذلك نجحا • شاغلة ١٥ قرية • وثمة فرع من القبيلة نفسها موجود في منطقة كوي خارج قضاء شقلاوة وليس هو عشائري في الدرجة الاولى •

يقطن قضاء شقلاوة فيما خلا النهاية الغربية القصوى منه والتي تعود الى قبيلة صغيرة تدعى (كوره) ، حلف الـ (خوشناو) كليا • وعدة قراه ١٠٠ تقريبا واحاده يزيدون على ١٠٠٠٠ نسمة •

ان القبائل الرئيسة في منطقة (رانية) شمالي الزاب الاسفل هي : الـ (سران) والـ (اكو) والـ (بشدر) • وتنتمي البيران الى حلف الـ (بلباس) ، وهي جماعة صغيرة ، لكنها قوية ابدة • وتتألف قبيلة الـ (اكو) من فروع عديدة لا ترتبط الا بوشائج واهنة • انها تقطن الجبال الشامخة الكائنة الى الشمال من (رانية) و (قلعة دزه) وتتراوح عدة قراها بين ٤٠ او ٥٠ قرية • وينتمي العشائريون الى نمط من الاكراد هو اشد ما يكون تديا ، ويقال انهم لايزيدون على حال الدببة الا قليلا ، وهذه تساكنهم في موطنهم : الحصون الصخرية • والبشدر هم اقوى قبائل كردستان الجنوبية طرا • ويحل رئيسهم في (قلعة دزه) شمالي الزاب الاسفل ، لكن قراهم تمتد ، عبر الحد الفارسي ، شرقا ، والى قرب من السليمانية جنوبا • ولعل عدتهم لاتزيد على عدة الـ

---

(١٢) شاهد فيها حتى يوم الناس هذا (خان) شيدته السيدة المحسنة الجليلة (عادلة خاتون) مستقرا للمسافرين ، وتشغله الشرطة باعتداده مخفرا . وعادلة خاتون هي كريمة والي بغداد احمد باشا .

(المترجم)

(دزەيي) لكنهم من حيث الجبلة الحربية ، اعظم كثيرا .

ومن الملحوظ بشكل بارز : ان منطقة رواندوز تخلو من قبائل كبيرة وزعماء عشائريين ذوي خطر . وتسكن الـ (زاراري) شمالي (باستوراجاي) . وهؤلاء يملكون نحو ١٢ قرية ، وتأتي فيما وراءهم فروع شتى من الـ (سورجي) الذين يمتدون ، في مساكنهم الكائنة بمحاذاة ضفة الزاب الاكبر الى شمال (جاى رواندوز) . انهم يملكون نحو ٤٠ قرية ، ولعل عدتهم لاتزيد على ٢٥٠ نسمة . لقد عانوا من ويلات (الحرب العالمية الاولى : المترجم) كثيرا . واننا لنجد فيما يطيف بـ (رواندوز) جماعات ، تفاريق واشتاتا ، تملك نحو ٧ او ٨ من القرى ، رنحل في كل من وديان انجبال هناك . ان جلهم يقاد من الاغوات الذين نجموا من احدى الاسر البارزة في المدينة . والتلال الكائنة بمحاذاة الشطر الاعلى من وادي (رواندوز جاي) مسكونة من قبل قبيلة (بالك) وهي على حظ من خطر ، باعتدادها مسيطرة على الطريق الرئيس الماد من فارس . ان القوم فقراء مسالمون لكن الاغوات كثيرون ولايجدون ما يروح عن النفس شيئا غير السلب على الطريق العام .

أن عدة قراهم نحو ٦٠ قرية ، وكثير منها حافلة بالسكان . والشمال الاقصى من منطقة رواندوز بيد قبيلتي (شروان) و(برادوست) وهاتان القبيلتان تتفرعان الى فروع صغيرة ، لكن القبيلة الاولى ، على التحقيق ، تكون وحدة متراصة وتعترف بزعيم قوي واحد . وابناء القبيلة متبدون الى اقصى حد ولاسبيل الى النفوذ الى قراهم تقريباً . وقد لاتزيد عدة القبيلتين على ٨٠٠٠ نسمة . لقد قاستا كثيرا من جراء الحرب : من فظاظة الروس ومن انياب الجوع معا .

بقيت لدينا القبائل الرحالة (١٣) وهذه ثلاث هي : الـ (هركي) والـ (خيلاني) والـ (بولي) ومن بينها تعتد الـ (هركي) الاشد خطرا . وقد تبلغ عدتها ٢٠٠٠٠ ، يبقى بعضهم طوال السنة في مواطنهم الكائنة

---

(١٣) يطلق الاكراد على القبيلة الكردية (خيليك) .

(المترجم)

على جبال الحدود التركية ـ الفارسية ، على حين ينحدر فريق منهم الى منطقة عقرة ، ويخترق فريق آخر ، عدته ٨٠٠٠ نسمة منطقة رواندوز ليستقر حول ديره وباستوراجاي[14] وتشتهر الهركي ببسالتها وان رجالها مسلحون بالبندقيات الحديثة ان مرورهم من الديار يشبه باجتياح (سرب من جراد منتشر) ، والزعم الشائع انهم ينهبون ويسلبون كل شيء يصادفونه ابان ذلك . لكن القبيلة ، ابان وجودي في اربيل ، كانت على حظ من السلوك الحسن ، بشكل ملحوظ . ان شطر القبيلة الذي يختلف الى منطقة رواندوز هو بأمرة زعيم او زعيمين خطيرين عادة . وجرت عادة الاتراك على انتخاب متقدم فيها ، على معنى ان يكون المتحدث باسمها امام الحكومة .

اما الخيلاني والبولي فتتألف كل منها من فروع صغيرة ، ومن دون ان يكون لاحدها رأس ، وهي تشتهر بالميل الى اللصوصية . ان الـ(خيلاني) عدتها نحو ١٠٠٠ نسمة تقريبا ، لتنحدر نزلا من الجبال الكائنة شمال الـ (بالك) وتضرب خيامها حوالى مدينة اربيل على حين تجيء الثانية من الشطر الجنوبي لارض بالك لتمضي الشتاء في منطقة كوي .

(١٤) يشاهده المسافر في طريقه الى مصيف صلاح الدين وهو يفصل بين سلسلتي (خانه‌زاد) و (صلاح الدين) وعلى الواد جدار من الحجارة المتهدمة بقية مشروع اروائي في عهد سنحاريب الاشوري واحدها منقوشة بكتابة مسمارية يذكر فيها سنحاريب « انا سنحاريب ملك بلاد اشور حفرت ثلاثة انهر في جبال خاني التي في اعلى مدينة اربيل موطن السيدة الجليلة الالهة عشتار وجعلت مجاريها مستقيمة .

(المترجم)

الفصل الخامس

سكان المدن ، وشعوب اخرى

من « من النبي يونس »[1] مرقد النبي يونس(ع) ــ الكائن على ضفة دجلة ، قبالة الموصل ، ابتداء ، وانحدارا خلل اربيل [2] والطون كوبرى[3] وكركوك[4] وكفري[5] وقزل رباط[6] حتى مندلي نجد

---

(١) يعلو المرقد احد الموضعين الذين يمثلان اخربة نينوى ، والموضع الآخر هو تل قوينجق ، وهما يبعدان عن الموصل بمسافة كيلومتر. وعرف موضع النبي يونس في المصادر العربية باسم (تل التوبة) والمرقد كان يقوم في محله اولا معبد اشوري ثم صار ، على ما يذهب اليه بعضهم ديرا او كنيسة ، وانتهى الى جامع . والنبي يونس هو النبي يونان اويونا ، وعلى ما ورد في التوراة ولعله عاش في زمن اسرحدون .

(المترجم)

(٢) واسمها من (اربا ايلو) اي اربعة آلهة » . ويطلق عليها الاكراد المحليون (هه ولير) ومعناه معبد الشمس .

(٣) نسترجح ان معنى اسم المدينة . (قنطرة الراب) ، اذ ان تسمية الاتراك لها بـ (جسر الذهب : الطون كوبري) للشبه الظاهر بين (زاب) و (ذهب) . والعرب كانت تسميها (القنطرة) والاكراد (پردي) وهي بالمعنى نفسه .

(المترجم)

(٤) اسمها في المدونات القديمة (ارانجا) وسميت (كرخيني) ولعل اسم (كركوك) محرف من ذلك .

(المترجم)

(٥) اسمها في السومرية (كيماسن) وعند الآشوريين ــ البابليين ([illegible]) على معنى (القير) وسماها البلدانيون العرب (كفر) والعثمانيون (الصلاحيه) وكانت احدى الحصون التي تحمي القوافل الآتية من شمال ايران .

(المترجم)

(٦) هي الآن (السعدية) واسمها القديم مركب من (قزل) اي الاحمر بالتركية و (الرباط) العربية ــ اي الرباط الاحمر .

(المترجم)

خطا من المدن فيها سكان يتكلمون التركية ۰ انه الخط الذي يفصل الارضين التي تسودها اكثرية كردية عن الارضين التي تسودها اكثرية عربية ۰ ان كركوك هي المركز الرئيس للسكان الاتراك هولاء ، وكانت عدة نفوسها قبل الحرب (العالميه الاولى : المترجم) : ۳۰۰۰۰ نسمة وثمة قرى عديدة كائنة بجوارها تتكلم التركية ايضا ، على حين تكون المدن الاخرى مجتمعات منعزلة يطيف بها الاكراد والعرب ۰

ان اصل هؤلاء السكان ويطلقون على انفسهم ، في الاحيان ، تركمان ، لاظهار انهم ليسوا من بني عثمان ، يلفه الغموض بشمله ، والمفهوم بعامة انهم منحدرون ،من دون ريب ، من مستوطنات حل فيها السلاجقة باعتبارها مراكز الستر في حكمهم ۰ ان السلاجقة من الشعب التركي ، وكانوا قد انطلقوا من موطنهم في قلب آسية الوسطى، في القرنين ١١ والـ ١٢ فاكتسحوا آسية الصغرى وبلاد ما بين النهرين واسسوا حكمهم فيها ۰ ثم انهم وقعوا تحت وطأة نسل (عصمان) العظام فيخاتمة المطاف ، و(عصمان) هو مؤسس الـ (عصمانلي) اي : الامبراطورية العثمانية ۰

ان لغة اتراك ما بين النهرين لتختلف عن لغة القسطنطينية ، حسب، وذلك بكونها اعسر ، وان بعض الحروف الحلقية قد ترققت في اللسان الذي ارتقى ابتعاثه في العاصمة محتفظا بقيمها الاصلية ۰ ويذهب بعضهم الى ان كركوك اختصار كلمتي (قلعة سلجوق)[٧] ۰

وفي اربيل رواية شائعة تذهب الى : ان السكان منحدرون من معسكر جنود فرس (ولعلهم من اهل اذربايجان الذين يتكلمون التركية) ، خلفهم فيها (نادر شاه) حين احتل المدينة في سنة ١٧٣٢۰ وعلى التحقيق ان بعض اهالي اربيل ، من حيث الاناقة والوسامة ، ليشبهون الفرس باكثر من اي شعب آخر في بلاد ما بين النهرين ، لكن

---

(٧) الآثاريون يجعلونها في موقع المدينة الاثارية (ارنجا) في السنة الالف الثانية قبل الميلاد ۰

كونهم على المذهب السني المحض دينيا[٨] ، ومن دون اية ميول شيعية نيقف بازاء الفكرة الاتفة مناهضا .

ان الموقعين الوحيدين اللذين يتكلم فيهما الاهلون التركية ، ونعنى نحن بهما عناية وثيقة ، هما : اربيل والطون كوبري . والاخيرة واقعة على جزيرة في وسط (الزاب الاصغر) موصوله بضفتيه بواسطة جسرين . ذلك ان حبوب الارضين المحيطة بها ، والزبيب المجلوب من التلال ، يوضع هاهنا على ظهور الاكلاك لتنحدر بها الى بغداد نزلا . والاهلون فقراء اغمار ، تشوبهم الفظاظة والقسوة ، وهم ذوو وجوه قبيحة وعادات سمجة (كذا : المترجم) . انهم على غرار الطبقات الدنيا من اهل كركوك ، التي كانت تهيء أشد افراد الدرك فسادا وطيشا ، وتنتظم في الخدمة العسكرية التركية . وشتان بينهم وبين اربيل ، ولعل حالهم تحسن بانسياب الدم الكردي منطلقا من دون قيد . واحدى محلات المدينة كردية محضة ، وفي الاخرى تشبه الطبقات السفلى الاكراد ، في مظهرها ولبوسها . انهم يستطيعون التحدث الطلق بالكردية جميعا ، لكن لغة بيوتهم هي التركية . وفي المدينة العالية . وعدة سكانها : ٦٠٠٠ يوجد انقى عنصر تركي.ان كل من فيها على حظ من يسار نسبيا ، لبيت وارضين مالكا . ويرتدي الرجال لباسا يشبه ، في طرزه ، ما يرتديه الزعماء الاكراد الذين يقطنون السهول ، اعني : البسة طويلة من حرير او قطن تصل القدمين ، تعلوها ستر قصيرة وعباءات فاخرة فضفاضة . انهم طوال في العادة ونحلاء ، ذوو ملامح لسرية ووجوه ضيقة ، ان قورنت بوجوه الاكراد . وانهم رشيقو الحركة ، وكثير منهم ذوو ايدي رقيقة ما بعدها من رقة . ويشبه لباس الرأس عندهم لباس الرأس عند الاكراد ، لكنه انظف واصغر . ويرتدي من

---

(٨) كان العثمانيون قد اتخذوا المذهب الحنفي مذهبا رسميا لدولتهم وكان يطلق عليه ابامهم (سرمذهب) اي المذهب الرئيس ، ولما كان اهل المدينة من اصل تركي فلقد اتخذوه مذهبا ايضا .

(المترجم)

علت به السن من رجالهم اما (الطربوش : فينه) او غطاء رأس موشى بالذهب . والماجدون دوو الميل الديني فيهم يرتدون عمامة بيضاء او زرقاء باهتة ، فان كانوا من السادة المنحدرين من النبي (صلعم : المترجم) لفوا حول الطربوش وشاحا اخضر اللون . اما لبوس النسوة ممن يظهرن خارج بيوتهن ، فطويل ازرق اللون وافتح من هذا الذي ترتديه الكرديات ، وتغطي وجوههن بنقاب من اللون نفسه . ويلتصق بالنقاب قناع اسود مصنوع من المادة الخشنة نفسها وهو ذو حاشية صفراء لونها . ولما كان النقاب غير حاو على فتحتين للعينين ، فانه ، في العادة يطوى الى الاعلى وذلك لكي تتبين المرأة طريقها ، لكنه سرعان ما ينزل ان ظهر اوربي امامها . وبقدر تعلق الامر بالحذاء،فأن النسوان يرتدين حذاء اصفر من جلد ، طراز ويلنكتن ، يصل منتصف المسافة الى الركبة . وان الصبايا حتى السن الـ ١٢ او الـ ١٤ من العمر سافرات وهن يرتدين ستره ولبوسا ذا الوان رائعة ويضعن على الرؤوس غطاء تطيف به نقود من ذهب وثمة قطعة من ذهب لطيفة تعلوه ايضا .

ويشبه اتراك اربيل ، في بيوتهم وفي طعامهم وفي عاداتهم ، الاكراد الذين يطيفون بهم ، فيما خلا كونهم اكثر تقدما . وللاغوات مضافات تمتاز برونق البنيان وبداعة العمران ، وهي مشيدة بالطابوق ، ومنها ما فرشت بالمرمر وذات عمدان في الداخل . ان الواقعة منها على الحافة الخارجية من (القلعة)[٩] لها شرفات يمكن ان يتملى منها المرء الارضين المحيطة بها مسافة اميال . والغرف مشيدة حول فناء ، تنمي فيه قلة من

---

(٩) القلعة تل اصطناعي ، ولا تكفن بثراها اخربة (اربيللا) القديمة ، وذلك حق لا ريب فيه . وكانت في عهد تاليف هذا الكتاب محلة ذوي اليسار والاعتبار من سكان اربيل ، ويلحظان الدور المشيدة عليها متماسكة متلاصقة بحيث لا يستطيع من يروم النفوذ اليها الا من بابها الوحيد وهذه من وسائل تحصينها بازاء الغوارة الطامعين واصحاب صناعة الليل . ومن اسف ان يهدم (الباب) الاثري المذكور سنة ١٩٥٩ .

(المترجم)

اشجار ، عادة . ويقوم (الاغوات) باقراء الزوار القادمون من المدينة في هده المضافات ، كما يجودون بسكن فيها على الأكراد القادمين من الريف . ان كل زعيم هو زبون اغا او اثنين من «اغوات» المدينة .

لقد قامت العلاقة طوال اجيال عادة ، وعلى الرغم من انها قد تكون مع مضيفة ، سيئة ، الا ان الزعيم لن يتخذ السبيل الى شخص آخر الا نـــادرا .

ولا يطلب (آلاغا) من قرّاه مقابلا ، لكن العادة جرت ان ترسل اليه من القرى ، بين الفينة والفينة ، هدايا كالجبنة والفاكهة . كما ويرتجى من الزبون ايضا ان يرعى مصالح « سيده » في الريف ، عندما تنجم اية اضطرابات قبائلية على حين يقوم الاخير بتمثيل الزعيم في المدينة . ويرتدي بعض اغوات اربيل الملابس الاوربية ، على حين يتخذ اغلبهم شبه لباس اوروبي لدى تناول الطعام . انهم يجلسون فوق الكراسي ويستخدمون الاطباق والسكاكين والشوكات والملاعق . يؤتى بصحن نظيف لكل وجبة، لكن الادوات الثلاث الاخيرة لاتبدل. وان صحونهم اكثر تنوعا من صحون الاكراد .

وتختلف تقاليد الزواج في المدن عن مثيلاتها في الريف.وعلى وجه اخص ، جرت العادة على قيام قرابة العروس بتهيئة الصداق اللازم لها وذلك بدلا من ان يقوم الشباب بجمع قدر كبير من المال لـ «شرائها» (كذا ! يريد «الزواج منها» : المترجم) . ان عزلة المرأة وتحجبها هما اشد صرامة واكثر تزمتا .

ويعيش اغوات المدينة ، وهم ، في العادة يمتلكون من القرى قدرا عظيما،عيشة استقرار غالبا.وجلهم يملك في الريف بيوتا،يختلفون اليها بين الفينة والفينة فيعتون بالزراعة عناية ذكية حقة . انهم جميعا راغبون في تحسين قدراتهم الذهنية ، يقرأون الصحف باتنظام ، ويبحثون في السياسة الاوربية والشرقية بحرية . ومنهم واحد او اثنان يملك مالا مستثمر في اوربة . وتحت اوضاع افضل قد ينشطون الى ادخال التحسينات الاخيرة في باب الزراعة ، ويقومون بتوسيع صلاتهم

التجارية • ان رؤساء الاسر ليعتدون الوظائف الحكومية اقل من منزلتهم ، لكنهم في الغالب يعمدون الى ان يسلك اقرباؤهم الشبان المسالك الحكومية الرسمية • ومصدر دخلهم الرئيس هو : الحنطة ، وخلال الشطر الاخير من سني الحرب اكتنزوا من المال قدرا عظيما • انهم ليسوا اقل طمعا من زعماء الاكراد ، وانهم ليسعون جاهدين الى ضم الحقل الى الحقل •

ان بعض الاغوات الشبان على حظ كبير من الزهو والتبختر ، فهم ليمتطون صهوات الخيل تصحبهم كلاب الصيد في الريف ، وقد تراهم يجولون في المدينة ، عند الاماسي منتصبي الرؤوس وعباءاتهم ذوات الالوان الفاتحة تتطاير من ورائهم •

ويغدو عدد عظيم من الاتراك ، من الطبقة الوسطى ، في كركوك واربيل ، مالكي الارض والتواقين الى زيادة الدخل ، «افندية» — اي العارفين بالقراءة والكتابة • انهم يرتدون الملابس الاوربية ويشغلون الوظائف الحكومية • ان تعبير «افندي» التركي يساوي تعبير « سر » الانكليزي ، وانه ليستخدم في الخطاب ان كان المخاطب رجلا «محترما» وباعتداده عنوانا يقابل مايدل عليه تعبير «esquire» في اللغة الانكليزية • وانه ليطلق على جميع الشخصيات الدينية في المدينة ، وعلى ذوي الرتب والمرتبات الصغيرة من ضباط الجيش ،وعلى الحرفيين ، والكتاب ، والموظفين في خدمة الحكومة • ان كل شخص يرتكن الى قابليته في باب القراءة والكتابة ليحصل على ما يقيم اوده يغدو « افنديا » •

كانت جميع الدوائر الحكومية التركية تعج بالافندية ، وجلهم من الكسالى الفاسدين ، تراهم ، كل يوم ، في المقاهي ، وجوههم غير نظيفة ، بنيقاتهم قذرة ، واربطتهم مشدودة شدا غير حسن ، واثنين او ثلاثة من ازرار سراويلهم غير محكمة • ان هذا النمط من الرجال هو الذي صيّر «افندي» من المسميات التي لاتهتف بمعالي اساميها ، واسما زريا • وانني لاعرف (حاكما سياسيا) اعتاد على ان يطرد من

دائرته بعنف كل من كان يخاطبه بـ (افندي) ، وان كان هذا التعبير في الخطاب امرا سويا • وكانت كركوك واربيل ، والاولى خصيصا ، تجودان على الحكومة التركية بقدر كبير من الموظفين ، وكانت تلكم الحكومة تفضلهم على غيرهم لمعرفتهم لغة الدولة •

ويلي طبقة «الافندي» مرتبة ، اصحاب الدكاكين ، وهم كثر ، اذ في اربيل سوق كبرى•ثم ياتي بعد هؤلاء العاملون في الدباغة وصناعة اللباد ، وما جرى مجراهم فالـ (كروانجية) او اصحاب البغال والحمير التي هي وسيلة النقل الوحيدة في التجارة • ومن النسوة من يحصلن على ما يقيم اودهن عن سبيل غزل القطن ، لكن غالبيتهن ترتكن الى بعولتهن في الحصول على خبز اليوم • ان ذوي المتربة والخصاصة والاملاق هم قلة ، وان الحصول على العمال العرضيين لامر عسير ما بعده من اعسار •

والفرق بين اهل اربيل والاكراد القاطنين خارجها هو ، في الدرجة الاولى ، هذا الفرق الذي تجده ، في كل مكان ، بين اهل المدينة واهل الريف • ويزدري الـ (اربيلي) الكردي (كذا ! : المترجم) ويعتده خشنا جافا غير متعلم ، على حين ينظر (الاخير) الى (الاول) باعتداده متخلقا بخلق النسوة ، لا اخلاقيا وفاسدا (كذا ! : المترجم) • وعلى الرغم من ان المسكر والميسر والموبقات الاخرى موجودة في اربيل حقا ، لكنها ، في هذه النواحي ، افضل من مدن (بلاد ما بين النهرين) الاخرى كثيرا ولايحتسى احد من متقدمي الاغوات المسكر ، ويصر المجلس البلدي على ان تكون (تعليماته) على اشدها تطهرا ، وان تطبق على الناس جميعا • ان جل الاسواء الخلقية التي تجدها هاهنا لآتية الى المدينة من غيرها ، لامرية في ذلك ولا ريب فيها •

وعلى الرغم من ان اهل مدينة (كويسنجق) هم من الاكراد حصراً الا انهم يشبهون اهل اربيل ، وان لم يكونوا مثلهم تقدما ، والاغوات فيها ليشبهون الاغوات العشائريين باكثر من اغوات اربيل ، خصيصا • اما البقية الباقية من اهل رواندوز فهم ، من حيث التمدين ، وراء

قروي سهل اربيل كثيرا .

وتوجد طوائف من يهود في مدن اربيل وكويسنجق ، وفي قرية (بيت وانا) الواقعة في اقصى ارجاء ديار الـ (خوشناو) ، وفي (باطاس) على (دنست ـ ي ـ حرير) . ويصادف المرء اسرا منفردة منهم في كثير من القرى الكردية تمتلك مخازن عامة صغيرة .

ان الارضين الكائنة بين الزابين زراعيه على العموم ، والتجارة فيها لها المرتبة الثانية . لذلك لايتبوأ اليهود فيها مقاما عليا ، على ما هو حالهم في بغداد ، وليس فيهم من هو موسر حقا . وثمة تجار ، وهم قل في اربيل ،وان بعض دكاكين البز الرئيسة يديرها اليهود . ان غالبية الطائفة هذه هم من الدباغين والحاكة ، ولهم امر تقطير (العرق) حصرا ، وهذا يصنع من الزبيب تقطيرا . ان تلكم المهنة وذلكم الشغل محرمان على المسلمين ، وان عمد بعضهم الى شربه مقطرا .

ويغض القوم من اليهود ويذودون الوجوه عنهم ازدراء ، ويعامل هؤلاء في القرى معاملة سيئة غالبا . على انني لم اسمع عن اضطهاد منظم او عداوة منوا بها فاريقت دماء . وقد تخطف في الاحيان . الفتيات ويطلب منهن تبديل دينهن[١٠] . وان اراد الكردي ان يعبّر عن ازدرائه لموظف ما قال : «حتى اليهود هم افضل منه ! » . او ان رغب في تبيان حسن سلوك قبيلته ، قال : «حتى اليهودي في مقدوره ان يهيمن عليها» ! .

ويتكلم اليهود بلسانهم الخاص ويكتبون به ، وهم في المدينة يفضلون التكلم بالعربية بدلا من الكردية او التركية .

---

(١٠) « لا اكراه في الدين » هذا ما تقره شريعتنا السمحة العادلة ، فان وجد مثل هذا حقا فليس هو من ديننا في شيء ، انما هو من الجهل باحكام هذا الدين الذي جاء الى الناس عامة ، واوصى باهل الكتاب مالم يعتدوا خيرا .

(المترجم)

وتوجد قريتان كلدانيتان هما : (عينكاوة)[11] ، على بعد ثلاثة اميال من اربيل و(ارموتا) في ظاهر كويسنجق تماما • وهناك طوائف كبيرة منهم تحل في شقلاوة وكويسنجق نفسها • والامكنة الاربعة لها كنائس • وعدة النصارى [12] الكلية في المنطقة نحو ٤٠٠٠٠ ، منهم ٢٥٠٠ يسكنون عينكاوة •

وكان الكلدان اصلا ، ومن حيث الدين ، كالنساطرة سواء بسواء ، لكنهم حملوا ، خلال القرن الـ ١٦ الميلادي ، على الاعتراف بسلطة الكنيسة الرومية • ان طوائف كبيرة من هؤلاء القوم موجودة شمالي الزاب الاكبر في لواء الموصل ، ويقال انه ، فيما قبل قرنين او ثلاثة اقرن ، كانت ثمة رقعة من الارض عظيمة ، في جوار رواندوز ، خاضعة لهم •

ان سكان آخر مـا بقي من القرى ولوا فرارا ، عندما رجع الروس في سنة ١٩١٦ القهقرى :

وتمسك فز بها ان خفت ضيما   وخل الدار تنعي من بناها !

لايزال السهل الكائن شمالي المدينة معروفا باسم (دشتى ديان) اي : سهل النصارى ، ولعل النصارى كانوا قبل نجوم المحمديين (يريد : المسلمين ــ المترجم) ، مالكين كل الارضين المتموجة الكائنة بين دجلة واقدام التلال ، شرقي كركوك وصعدا ، او الشطر الاكبر منها • انهم سامپونرربسا ، ولغة كتبهم المقدسة السريانية • ولهم لسان خاص ، لكنهم يعرفون الكردية جميعا •

واصبحت قلة منهم على مذهب الـ(بروتستنت) ، وهؤلاء موجودون

---

(١١) مركز ناحية تابعة الى قضاء اربيل •

(المترجم)

(١٢) النصارى جمع نصراني ، والنسبة الى (الناصرة) قرية السيد المسيح عليه السلام ، وقيل ان الياء في نصراني للمبالغة . وما من شك في ان الارقام التي يوردها (المؤلف) قد طرا الان عليها شيء كبير من التبديل .

(المترجم)

في الموصل في الدرجة الاولى . واني لاتذكر رجلا من (عينكاوة) قدم عريضة يرجوني فيها ان أصيره «انكليزيا» ، والظاهر ان قد نجم شجار بينه وبين القساوسة حمله على هذا .

ان هؤلاء القس لعنة حلت بهذه الطوائف (كذا ــ المترجم) . ففي عينكاوة منهم نحو ستة ، وثمة ثلاثة او اربعة في كل من الامكنة الاخرى ، وغالبيتهم لاحظ لها من التعليم الجيد ، وهم متعصبون . وبقدر ما استطيع تبينه ان عندهم فكرة ضعيفة في باب التميز بين ما هو صالح وما هو طالح ، وانهم ليستغلون مراكزهم للغلبة على الناس . وهم يتصرفون باعتدادهم متقدمي طوائفهم في القضايا الدنيوية والدينية ، على العموم ، يتكلمون باسمهم ، امام الحكومة ، ولباسهم طيلسانات سود كبيرة وتعلو رأس الواحد منهم قبعة مؤلفة من اشرطة عديدة من قماش اسود لماع يلف حول غطاء الرأس .

لقد اعتدنا على ان نشير اليهم بـ (الغرابيب السود) دوما .

ومطران كركوك المسمى (اسطيفان) شيخ حبيب الى القلب ذو اخلاق رضية حسنة،وهو مدرك لهنات رجال الدين الذين هم في امرته. انه يظهر عادة بطيلسانه الوردي الاخاذ .

وعند الكلدان هرم كهنوتي معقد يضم : بطريقا ومطارنة ورأس اساقفة ، واساقفة .وهي مراكز دينية تتطلب ان يكون شاغلها متبتلا، وراثية عادة ، اعني انها حكر على آحاد اسر معينة ، يتتابع عليها ، الخ ، العم ، فابن الاخ . ان القس الاعتياديين لايتبتلون .

وعامة القوم يرتدون لباسا شبيها بلباس الاكراد كثيرا . وفي عينكاوة يتوق القوم خصيصا الى ارتداء الرداء الطويل تعلوه السترة القصيره المسماة (سلته) . اما غطاء الرأس فعندهم اصغر ، وهو يلف باكثر وثاقة من هذا الذي يصطنعه الاكراد .

لقد عاش النصارى ، خاضعين لمن يحيط بهم من المحمديين ، قرونا. لهذا فقدوا شجاعتهم واصبحوا يتسمون بضعف الهمة والخضوع (كذا : المترجم) . لقد قاسوا كثيرا ، ذلك ان الاغوات الطامعين كانوا

يصبون محاولات مستدامة في سبيل الاستحواذ على اراضيهم وقطعانهم . لكنهم ، على العموم ، يعاملون برحمة وبقدر من التجله ، ولايقر الرأى العام اليوم الاعتداء عليهم .

وعند مختتم الحرب امرت الحكومة التركية بالقيام بمذبحة في عينكاوه ، لكن اهل اربيل رفضوا ذلك . وفي ايام اهزاهز واضطراب حبل الامن يدفع النصارى الى احد الزعماء الاكراد (خاوة : اتاوة) وبذلك يبتاعون منه الدفاع عنهم وحمايتهم . ومهما يكن من امر ، انهم يحيون حياة فزع وريبة مستدامة ، وانهم ليقدحون في المحديين (كذا ــ المترجم) دوما ، وحتى عندما لايكون لديهم اساس لمثل هذا . ان هذه اسوا خصائصهم . وان سمح لهم اتخذوا السبيل الى (الحاكم السياسي) كل يوم يروون له قصصا طويلة جلها كاذبة . وليس هذا بامر غير طبيعي باعتداده ناجما من هذا الشنآن العظيم السند بين المحمديين (كذا ــ المترجم) . اما نصارى شقلاوة ، وهم في وسط ديار عشائرية ، فأنهم يعاملون دوما معاملة حسنة نسبيا . انهم يعترفون بالزعيم المهيمن سيدا ويسمح لهم بالتمتع بممتلكاتهم في امن ودعة ، ولايتدخل في امرهم احدا .

ويعمل النصارى في شقلاوة وكوي حاكة ، ويمتلك من هم في البليدة الاولى بساتين فاكهة وسيعة . انهم الذين يصنعون ، في الدرجة الاولى ، النسيج الذي يحاك بلديا ويتخذه اكراد النجاد والمرابي العوالى لبوسا . ان الحياكة ، على غرار الصياغة ، يمتدهما المحمديون، من المهن الزرية ولعل هذا هو الذي مكن النصارى من العيش على التلال . وهم في (عينكاوة) و (ارموتا) من الذين يفلحون الارض ، وفي الاولى يملكون من فدانات الحقول النضرة والمروج الخضراء قدراً كبيرا ، ومن اجود الارضين في سهل اربيل طرا . لقد انتجوا في سنة ١٩٢٠ : ٦٠٠ طن من الشعير ، ومثل ذلك من الحنطة ، اضافة الى حاصلات اخرى . انهم ليعتدون عادة ، وبحق ، افضل الزراع في هذا الجوار .

وعلى الرغم من ازدحام عينكاوة بالسكان ، وان الارضين لاتكاد تكفيهم ، فان النصارى عادة لاينخرطون في عداد مزارعي رؤساء الاكراد ، فيما خلا الاملاك الكائنة ضمن حدود قراهم الخاصة .

وبعض كبار المزارعين في عينكاوة يتبوأون مقاما عليا : أخص بالذكر منهم (خوجة سيبي) و (خوجة شابو) . و (خوجة) لقب تشريف يطلق على رجل بلغ من الكبر عتيا ، ان الرجلين ، آنفي الذكر ، موصلان ، عن طريق الزواج ، ببعض الاسر الكريمة من اربيل ــ ذلك ان المحمديين يتزوجون من فتيات النصارى . وان كانوا يحجمون عن تزويج فتياتهم من ابناء الاديان الاخرى . ان الرجلين المذكورين على حظ من الخلق الرضي الحبيب ، لاسيما : (خوجه سيبي) اذ هو من احب ذوي السن العالية الى قلبي من بين من عرفت في الشرق طرا(١٣) . لقد استخدمتهم السلطات التركية والبريطانية ، حسب الامكان ، في خرص الحاصلات لمقاصد جباية الضرائب ، ذلك ان الحكومة والاهلين ، على حد سواء ، يعتدونهما اكثر امانة من اي محمدي يستخدم في مثل هذا القصد (كذا : المترجم) .

لقد كنت استصحبهما في تسياري في الارجاء عادة ، وعندما تغدو الحاصلات نضيجة ، وكنت اجد حبل المودة بينهما وبين الرؤساء الاكراد في سهل اربيل ، موصولا ، وان عرى التعاطف بين الطرفين منعقدة واسبابه متوكدة .

ويطلب النصارى كمعينين في بيوت المسلمين ، وانهم ، على هذا الوجه ، ليعتمد عليهم باكثر من المعينين المحمديين عامة . وكان معيني الشخصي ، ابان ثوائي في اربيل ، من بدعه (فيدو) ، وهو من اهل عينكاوة . لقد كان رجلا ثقيل الظل ، لكنه كان راغبا في الخدمة ، امينا صادقا ، ولم يك فاقدا الفطنة بالمرة .

---

(١٣) جريا على القاعدة الكلية فى احكام الشريعة الاسلامية الغراء (للمسلم ان ينكح الكتابية ولا عكس) .

(المترجم)

وعلى الرغم من ان هؤلاء النصارى مصانيون متملقون ، يكثرون من ضرب زوجاتهم ، وتشيع بينهم المخاصمات العائلية في عينكاوة بالكثر من القرى الاخرى مجتمعه ، وعلى الرغم من شهرتهم السيئة بحيزة الاموال المسروقة ، هم ، في حياتهم العامة ، دوو ناموس سداه الصدق ولحمته الامانة ، وهذا امر نادر في الشرق . ان دينهم نصراني وان ران عليه التردي ، مليء بالخرافات والمعتقدات السياء ، لكنك لو ازلت هذا الوضر الذي اطبق عليه لوجدت تحته ما يشبه الحجر الكريم ، ديناً حفظوه بشجاعة وصبر ، ما بعدهما من شجاعة وصبر ، متماسكاً قوياً في بقاع وحشية منعزلة خلل ١٢ قرناً من قرون الهيمنة المحمدية ، والاضطهاد (كذا : المترجم) .

ومن الممتع ان نلحظ وجود مرقدين او ثلاثة مراقد في هذه المحافظة يقال انها لحواري المسيح (عليه السلام : المترجم) وان المحمديين يبجلونها عموماً .

وثمة قرى عربية متناثرة ، جلها تعود الى قبيلة طي ، كائنة في (شمامك) وصحراء قره جوق ، على حين تمتد الضفة اليسرى لنهر دجلة ، بين (الزابين) ، عربية مخضة ، وتحل فيها قبيلة الجبور .

و (طي) من اكثر القبائل العربية نباهة شأن ، واقدمها . ولايزال اسم غطريف من غطاريفها (حاتم الطائي) علماً على الساحة ، شائعاً في شطر كبير من الشرق طرا[14] .

كانت هذه القبيلة تتجول ، قبل قرن من الزمان ، في شمامك وكنديناوة وقره جوق بحرية ، لانها كانت ، جميعاً ، صحراء قفرة .

---

(14) لقد عضد فعال (حاتم طي) التواتر ، ولا يكاد يحصرها حاصر ، فهو بعد القائل :

أ (ماوي) ! ما يغني الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
أ (ماوي) ! ان المال غاد ورائح
ويبقى من المال الاحاديث والذكر
(المترجم)

وكان رؤساء الـ (دزه يي) في قوش به يودون الاكراد بهم ، واحداث الكراد بالتوسع تدريجيا، وما ان بلغت حدود مزارعهم (ديار طي) الا اخذ هؤلاء بالانسحاب، من دون ان ينشب بين الطرفين صراع، و دون ان انضمت (طي) الى مقرها الرئيس، قرب نصيبين. ولم تستقر منهم الا قلة في ست قرى واحدث تزرع على غرار ما يفعل الاكراد . لكن الاعراب لسائق داهم الطبيعة (كذا : المترجم) . ان كل ما يصبون اليه هو مطالب الرزق الماسة وتحقيق ضرورات الحياة العاجلة ، حياة على حظ معتدل من راحة ، وانهم يفتقدون ما يتسم به الكردي من سعي دائب وحب اكتناز الثروة، حبا جما ، وعلى ذلك نجد ، عندما تتجاور قرى كرديه وقرى عربيه . ان الاولى قد زرعت مالديها من افدنة على وجه التمام ، وتطلب منها مزيدا ، على حين لم يعمد الاعراب الى اكثر من تخديش وجه الارض في امكنة قليلة ، تاركين بقية ارض القرية بورا . وتتيجة هذه الحال : ان الاكراد على حال دائب من التوسع ، ولاشبهة عندي الا على الوجه القليل في انهم سيعمدون الى اخراجهم من المنطقة في خاتمة المطاف .

ان العربي ذو مزاج سريع التهيج ، وهو طبع فيه ، موفور النشاط تارة واني الهمة تارة اخرى .... لكنه ، على العموم مرح ينطلق بالكلام وهو على حظ كبير من الفطنة ... اما الكردي الذي يمضي في الحياة وئيدا متمهلا ، دؤوبا على العمل محترما .....[١٥] .

والزعيم العربي يعامل باعظم تجلة بالنظر الى اصله العريق ، وان مقام الصدارة الذي يعلو على مقاعد رؤساء الـ (دزه يي) ليقدم الى الشيخ حنش ، وهو من طي ،وان كان هذا لا خطر له ولا هو بمقدره

(١٥) حذفنا بعض عبارات (المؤلف) بلا نفع ، اشرنا اليها بعلامات الحذف ...... دون اساس كين ركين ولا تعدو ان تكون وهما وتخليطا من (المؤلف) تتضمن وجهة نظره الشخصية الى العرب والى الاكراد وما بينهما من صلات . ان القوميتين المتآخيتين عاشتا على تربة هذا الوطن المقدس يسود بينهما الاحترام المتبادل وترتبطا بوشائج الدين الواحد و لمصير الواحد.
(المترجم)

ويفخر كل زعيم كردي تقريبا بانه ينحدر من اصل عربي ويحاول ارجاع نسبه الى النبي (محمد صلعم : المترجم) او احد صحابته الاولين .
ويعتد العربي الكردي من الاعباء التي ينوء بكلكلها وانه يحاول تقييد حرية عمله (كذا : المترجم) ..

ولاتنتمي القبائل التي تقطن ضفتي دجلة الا للنوع الادنى من قبائل العرب .... انها خبيرة بالزراعه التي تعتمد على «روافع الماء» ومنها يكسب ما يقيم اودها . وانها تعيش في خيام وقد تغادر مخطفة قراها الا لماما . كان مما يروح عن النفس احيانا ، ان اغادر مجلس اكراد ، اثر الجلوس فيه لساعات ، والقوم على حال من الصمت والاحترام ، الى احدى خيام الجبور حيث تتلقفني ايد عديدة وتجلسني في حلقة تطيف بنار موقدة ، في مجلس ليس فيه كبير وليس فيه صغير ، والكل يتكلمون مرة واحدة ويسودهم الجبور الساري ويتعالى منهم الضحك المدوى . ان الكردي ارسطوقراطي متيقن ، على حين يتأرجح العربي بين الديمقراطية والحال الفوضوية .

وقبل ان اختم هذا (الفصل) لا معدى عن ان اشير الى قبيلة (صاره‌لو)[16] التي تحل في قريتين ليستا بعيدتين عن (الكوير) على الضفة اليسرى للزاب الاعلى ، وست قرى وزيادة على الضفة المقابلة . انها ، في الظاهر ، تشبه الاكراد كثيرا ، يلبس آحادها في العادة القباء الطويل والسترة القصيرة . وباعتدادهم مزارعين انهم ليأرون نصارى

---

(16) صاره‌لو ، و ، صاروبه و ، صارلية) قبلة تركمانية من ال (كاكائية) . تاخذ ب : الحلول) ى (الت [illegible] لم يعرفه لهم تهتك ولا اباحية . ومن قرهم (وردك و ا د قشه) التابعة الى (قره‌قوش) ومنهم جماعات في (قردنويله [illegible] مشيقة) و (القوش) وكثرتهم في اربيل على ضفة الزاب [illegible] .
(المترجم)

(هينكاوة) ، لكن دينهم خاص . قيل انه دين الـ (كاكائية)[17] نفسه . وهم الذين يجدهم المرء جنوبي كركوك[18] ، وانه يشبه دين الـ (علي الهية)[19] بجوار خانقين ومندلي على الحد الفارسي .

ان للمحمديين الاسوياء يعتدونهم من اهل الكتاب ، على اعتبار انهم يعترفون باحدى الكتب الالهية ، سواء اكان ذلك الكتاب هو (التلمود) او (الكتاب المقدس) او (القرآن) . وفي الحق ، وبما انهم يؤمنون بالقرآن فأنهم ليعتدون طائفة من المسلمين . اما حقيقة معتقداتهم وما يمارسونه من طقوس فلا يعرفه غيرهم . وتعزى اليهم طقوس غريبة لاخلاقية ايضا .

ومن المحتمل ان الـ (صارەلو) هم شعب غطى دينا قديما غير موحد دخلوا دين الاسلام لانقاذ انفسهم من الاضطهاد .. ولعلهم كانوا في الاصل يزيدية ، وانهم ، في الاحيان ، ليرسلون خصلات شعورهم ، وهو ما تختص به النحلة الاخيرة .

---

(17) لفظة (كاكائية) كردية ، تعني (الاخوان) وهي طريقة صوفية اسسها السيد اسحق بن الشيخ عيسى البرزنجي (٧١٦هـ – ١٣١٦م) وكانت مستقرة في جبال هورامان . كل فرد في هذه النحلة ينادي الآخر بـ (اخي) . عرفت قديما في العراق بالفتوة ، وهي نحلة تجمع تباتل صوفية ، وعقائدهم اسلامية فيها غلو ، وهي متاثرة بآراء (الحسين بن منصور الحلاج) .

(المترجم)

(18) كتب المقدم ى. بى. سون : ان اصل اسم كركوك على ما قيل ، بالاستناد الى اسس مكينة حسنة ، من (قلعة السلوقيين) وهو اسم كلداني – سرياني النجار يعود الى نحو ايام المسيح .

(المترجم)

(19) الـ (على آلهية) ويقال لهم (النصيرية) و (العلوية) والتفريق بينهم وبين الـ (كاكائية) عسيرة . ورؤسائهم سادة ويؤكدون انهم مسلمون .

(المترجم)

الفصــل السادس

الزراعــة والتجارة

تقسم الاراضي الزراعية في محافظة اربيل الى ثلاثة اقسام ، هي : اولا «الطابو» اي الملك المسجل الذي يملكه كبار المقتطعين[1] بموجب سندات تملك رسمية ، وثانيا «التحرير» او التملك عن سبيل حق الحيازة ، وهذا حادث ، في الدرجة الاولى ، في النجاد القاصية ، حيث التسجيل متعذر حتى يومنا هذا ، وثالثا «السنية»[2] وهي اراضي السلطان المدورة الى الدولة .

ان نظام ملكية الارض في بلاد ما بين النهرين طرا معقد للغاية ، لاسيما ما اتصل منه بـ (الطابو) حيث سجلاته وسندات التملك فيه قد اعدت من قبل موظفين خربي الذمة عجزة ، وهي مليئة بالاغلاط التي تنجم عنها منازعات قضائية لاتعد ولا تحصى .

ان شروط الملكية والضريبة الواجب دفعها الى الحكومة لتختلف طبقا لاختلاف صنوف الارض . فالقاعدة السوية بالنسبة لاراضي الطابو هي دفع عشر الحاصل الى الحكومة ومثله الى صاحب الارض.

(٢) كان السلطان العثماني عبدالحميد الثاني قد استحوذ على اجود الاراضي الزراعية في العراق ، وفي غيره ، واستغلها بواسطة دائرة خاصة تدعى (دائرة الاملاك السنية) وكانت هذه الدائرة ترسل وارداتها الى خزانة السلطان الخاصة . لقد اطلق على هذه اراضي (السنية) ، وبعد خلع (السلطان) اعيدت الى الدولة فسميت

---

(١) استهدف (قانون الاصلاح الزراعي) الصادر اثر ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ القضاء على الملكيات الزراعية الكبيرة وتمليك المزارعين الحقيقيين وحدات زراعية مناسبة المساحة لاستثمارها .

(المترجم)

(الاراضي الاميرية المدورة) والظاهر ان الاسم بقي حتى زمن (الكتاب) .

(المترجم)

وهذا يشمل ، على وجه العموم ، ارجاء التلال ايضا . فأن قام صاحب الارض بتسليف المزارع حب الحصيد او اعاره حيوانات الحرث فعلى الاخير ان يدفع ضعفين او ثلاثة اضعاف ما قد سلف ذكره . ويستخدم الاغوات الاكارين[3] للعمل في اراضيهم التي يقومـون باستغلالهـا شخصيا.ويدفع لهؤلاء،في اعادة ،عينا. لقد تحريت في (خضران) على حافه (بيتوين) ، في مطلع سنة ١٩١٩ عما يدفعـه حمه اغا ، وهو مـن كويسجق الى رجاله ، فقيل لي انهم يستخدمون لمدة ٩شهور (مـدة الحرث) فاما ان يطعموا من قبله شخصيا ، وان كانوا يعيشون خارجا دفع لهم ٨٨ باونا من حب الحصيد و ٤ر٥ باونات من الزبدة وشيء من الملح[4]. وقبل الحرب حين كانت الحياة ارخص كثيرا كانـوا يمنحون اجرا ضئيلا . وفي نهاية مدة العمل يتسلم كل رجل احسن عمله : سترة واحدة من لباد وكسـوة ، ومن المحتمل ان يحصل على جنيه واحد نقدا.

وتجبي الحكومة عن الاراضي الاميرية ٥ر١٧ بالمئة من حاصلها . ان اروس[5] والمستاريين في القرى ، ان كانوا على حظ من التايـيد الكافي ، ليبتزون بقية ٥ر٢ بالمئة ، وكل ماتعجز الحكومة عن الحصول

---

(٣) الاكار : عـامل المزرعـة .

(٤) تبين هذه النسب ضالة ما كان يحصل عليه الفلاح لقاء كده ، ولا غرو فى ذلك فان فلاحي الشمال كانوا يعيشون تحت سيطرة الشيوخ والاغوات ، وحتى السراكيل الى حد ما سيطرة مطلقة ، اذ ان هؤلاء كانوا يديرون شؤون (القرية) وهي الوحدة الزراعية في الشمال ؛ ويحلون مشاكل المزارعين ويتوسطون بينهم وبين الحكومة، وقد استغل هؤلاء علاقتهم برجال الاحتـلال وجهـل الفلاحين فسجلوا الاراضي الزراعية باسمائهم واخذوا يتصرفون بها .
(المترجـم)

(٥) لكل قرية كردية رئيس هو (المختار) ويقال له ايضا (كتخـدا) او (تشمال) او (كوخه) وهم اشبه بالسراكيل ـ وسركال كلمة فارسية النجار من (سر) بمعنى رأس و(كار) التي حرفت الى (كال) بمعنى (عمل) ـ في توسطهم بين الملاكين والفلاحين وبيـن الفلاحيـن والحكومة . وكانت لهم سيطرة مطلقة على القرى واهلها .
(المترجـم)

عليه بنتيجة التخمين الخاطيء ، وهم الذين يخبؤن كميات كبيرة من الحبوب عندما يكون المخمنون خارجين . وفي كل مكان يبتز الـ (اغا) اكثر ما يستطيع من الفلاح ويكون عونا له في غش الحكومة ، لكي تكون حصته الخاصة اكبر .

وثمة نوعان من الحاصلات : شتوية وصيفية . وتزرع الاولى في الخريف ، او في الشتاء ، لتحصد في الربيع . وفي بلاد ما بين النهرين الشمالية لايحتاج القوم الى الارواء عادة . وتزرع الحاصلات الصيفية في اوائل الربيع لتحصد في الصيف او الخريف . انها تتطلب سقيا غالبا مطردا . والاكراد من فلاحي الزراعة الجافة الممتازين ، ومنطقة اربيل مثالية عندهم ، ولعلها افضل منطقة تنتج الحنطة في بلاد ما بين النهرين. واربيل ، في الدرجة الرئيسة ، مركز حبوب ، وجل اهلها تقريبا ممن يعنون بالزراعة . والامر مختلف في التلال ، ذلك ان الارض القابلة للزراعة فيها صغيرة والماء غمر وفير . لذا فان اهل التلال يرتكنون الى الحاصلات الصيفية وبساتين الفاكهة فيما يقيم اود حياتهم .

وعلى الرغم من استنبات وجبات قليلة ، بعضها للاستهلاك البشري وبعضها للاستهلاك الحيواني ، فأن الحاصلات الشتوية مقصورة عمليا على الحنطة والشعير . ومن الحنطة نوعان رئيسان : نوع صلب يطلق عليه . «رشكول» او (الطحين الاسود) ، ويصطنع في انتاج الـ (برغل)، وهو من قوت القوم الرئيس ،ونوع رخو يطلق عليه اسم (كندهاري) يجود بافضل انواع الطحين للاختباز . وكانت الحنطة تصدر من اربيل الى اوربة قبل الحرب .

ان الشعير من النوع الاسود دوما . ومن الممتع حقا مقارنة الاسعار : اذ هبط سعر الحنطة والشعير قبل الحرب ، الى ٤٠ روبية[٦] ٢٤ روبية على التوالى . وفي سنة ١٩١٨ ارتفع سعرهما الى نحو

---

(٦) هـ . احدى قطع العملة المعدنية التى كانت متداولة فى ايام الاحتلال وفي شطر من العهد الملكي الزائل وتقدر قيمتها بـ ٧٥٠ فلسا بعملة هذه الايام . (المترجم)

١٥٠٠ روبية و١٢٠٠ رطلا . وعند مناطق اربيل في تشرين الاول سنة ١٩٢٠ كان السعر للطن ٣٣٠ روبية و٢٠٠ روبية . وفي بلاد ما بين النهرين السفلى يزرع من الشعير ضعف ما يزرع من الحنطة . والعكس هو الصحيح في منطقة اربيل .

تبدأ الحراثة لزراعة الخريف ، عادة ، في كانون الثاني او شباط وقد يستمر ذلك مادامت التربة رطبة : ولنقل حتى نهاية نيسان . والفدان يتألف من رأس فولاذ حاد مثبت بعمود تربط به الثيران او البغال بواسطة (نير)[٢] . وتحرث الارض مرتين تسمى الاولى : بـ (شخم) وهي حراثة عرضانية ، بـ (وآرد) . وعندما يحل نيسان تكون جميع الارضين المحيطة بقرية زاهرة مزدهرة ذوات حاصلات من زراعة الخريف الماضي او محروثة استعدادا للخريف القابل .

ومن ايار حتى آب تترك الحقول وشأنها ، ما لم تزرع قطع منها بالبطيخ او الخيار . ان البطيخ المنتج صغير حلو ، على حين يكون الخيار من النوع القصير البدين . انهما ينضجان عند نهاية ايار ، ويدأبان على الازدهار لنحو شهر . ولا يسقى هذان المنتوجان ، لكن مطر ايار المتأخر ضروري لنمائهما .

ولا يعرف الكردي عن دورة الحاصلات الا قليلا ، لكن جهله

(٢) يلحظ ان هذه هي الطريقة البدائية في الزراعة والحرث ، وهذا المحراث لا يشق تلما بعيد الغور في الارض لذلك يضطر الفلاح على معاودة الحرث كرة او كرتين اخريين . وعلى الرغم من ذلك يكون الحرث سطحيا والتربة غير مقلوبة على الوجه اللازم لتعرضها لاشعة الشمس . وبهذه الطريقة لن يستطيع الفلاح حرث ما يزيد على دونم (٢٥٠٠ متر مربع) او دونم ونصف يوميا . انها طريقة تذهب بقوة الفلاح وتبدد من وقته . (المترجم)

مسند من قبل الطبيعة[٨] ، ذلك انها في الصيف تكسو ارضه بالشوك ، وهو نبات من البقليات ذو جذور طولها ٢٠ قدما • انه يسحب الرطوبة الى السطح ، وعندما يحل الشتاء يغني التربة باوراقه وبراعمه • انه يجود بالعلف على الحيوان عندما يكون العشب نادرا ، وبالوقيد اللازم لبيوت شتاء • وفي سنة المجاعة (١٩١٨) ، كان ذوو التربة يجمعون البراعم لتطحن حبوبها[٩] ، ويختبز من طحينها • انه خبز لايستساغ أكله حقا ، ولاسبيل الى هضمه الا لمن اوتي معدة قوية ، لكنه يدرأ الموت جوعا • ان النبتة هذه ، على ما يوحي اسمها ، هي علف البعران في الدرجة الاولى •

وفي آب وايلول وتشرين الاول تزرع الارض المعدة[١٠] • ويشاهد المناقر الكردي عاري الرجلين (اذ ان الشروال يخلع ابان العمل في الحقول صيفا) • وهو يمشي في الاخاديد يبذر حب الحصيد نزلا ، على

---

(٨) الزراعة في كردستان قديمة• بسبب من هذه (الطبيعة) واقدم قرية زراعية فيها هي (جرمو) الواقعة قرب جمجمال في (محافظة كركوك) . انها تمثل مرحلة الانتقال من العصر الحجري القديم الى العصر الحجري الحديث حيث تعلم الانسان الزراعة وروض الحيوان اول مرة • (المترجم)

(٩) لعله يريد بها الخرنوب ، والخرنوب ثمر الشوك • (المترجم)

(١٠) اعتاد الفلاح على ان يقسم الارض الى قسمين ، يزرع قسم ويترك القسم الآخر بورا . او على طريقة (نير ونير) ، ويعكس ذلك في السنة الثالثة . انها غير صحيحة لانه يترك الارض وشانها بعد اتمام عملية الحصاد ، اي من دون ان يحرثها ؛ والحراثة عامل رئيس في الحفاظ على التربة من الوجهتين الكيماوية والبكتريولوجية . ان طريقة (نير ونير) في الزراعة نجمت من سعة اراضي الزراعية وقلة المزارعين وشح ماء لارواء وعجز الفلاحين من شراء الحبوب المختلفة طبقا لكل موسم زراعي • ومن الطرق الاخرى المصطنعة في الزراعة قيام الفلاح بزرع قطعة ارض في موسم الشتوي على ان يعقب ذلك زرعها في موسم صيفي ، ولا ي ما . . . الطريقة من اجهاد للارض لاسيما والسماد لا يستطيع الا على الندرى . (المترجم)

حين يسير في اعقابه رجل آخر ، حذو القذة بالقذة ، وبيده المحراث يقلب به الارض قلبا • فان كان الماء ميسورا والتربة قوية ، سقيت الارض ، قبل الزرع ببضعة ايام عادة • ان هذا يمكن من استئصال الادغال التي يجهز عليها الحرث الذي يجيء في اعقاب ذلك • ان الحاصلات التي تطيف ارضها باربيل وتسقى على هذا الوجه تسمى (راباس) • انها تنضج مبكرا وهي اوفر غلة • وما ان يتم الزرع الا ينعدم القيام بأي شيء آخر فيما خلا الجلوس وترقب (رحمه الله) : المطر • انه يرتقب في السنين الاعتيادية في نحو اواسط شهر تشرين الثاني • والرذاذ قليل النفع ، ولاينمو زرع الا حين ينزل الغيث المسمى : (بارا) • ومعنى هذا ان مطرا كافيا يتخلل التربة • وما ان يحدث ذلك الا تمتص الرطوبة دؤوبا حتى تبلغ سطح الارض ، وتحل وديقة الصيف • ان ما يحتاج اليه هو مطر مستدام ينزل في ٢٤ ساعة • ولم يحدث مثل هذا في شتاء سنة ١٩ ـ ١٩٢٠ حتى بدء شهر اذار •

وفي خلال شهري كانون الثاني وشباط لايحتاج الا الى قليل من صبب المطر ، ومنه في العادة كثير ، ذلك ان هذين الشهرين هما اكثر شهور السنة مطرا • اما اذار ونيسان فهما شهرا عسرة ، ومن الضروري ان يهتن المطر ، مرة واحدة كل عشرة ايام في الاقل مدرارا • ويجنح المطر النازل بعداد ١٥ من ايار الى التدخل بعمليات الحصاد • ولقد هب في سنة ما ، في شهر حزيران على التحديد ، اعصار عنيف جرف كميات كبيرة من الحب المحصود الى مجاري المياه نزلا • وفي شهر تشرين الثاني او كانون الاول ، حين ينزل اول وابل على وجه يكفي لتندية التربة الى عمق ٣ انجات او اربعة ، يشرع الكردي بحرث ايـة ارض اهملت فيما مضى ، بسبب فقدان حيوانات الحراثة ، وزرعها • ان مثل هذه الحاصلات يطلق عليها (تاراكال) •

وفي شتاء سنة ١٨ـ١٩١٩ كانت جميع الحاصلات من هذا القبيل تقريبا • ذلك ان الاوضاع المضطربة السائدة ، وما عرف عن الاتراك لو بقوا في البلاد عمدوا الى الاستحواذ على الحاصلات طرا ،

قد منعت الاكراد من حراثة الارض ربيعا . ان الغلة من مثل هذه الزراعة تقدر بـ ٢٠ بالمئة ، او فوق ذلك قدرا ، وهي اقل من حاصلات الـ (وارد) مقدارا .

ويصبح الكردي ، في شهر كانون الثاني ، على حال شغل كرة اخرى ، اذ يقوم بالحراثة للخريف القابل . فان نجم ما زرعه مبكرا سمح للحيوانات بان ترعاه . ولايستعمل السماد في الارض المروية الا على الندرى ، وفيما خلا استنبات بقع صغيرة من الشعير لمقاصد العلف ، وفي حاصلي البطيخ والخيار،وقد سلف قولي عليهما . وبحلول شهر اذار ، لا يبقى شيء يصطنع ، بقدر تعلق الامر بالحاصلات النامية، الا رفع الماء للاستسقاء والابتهال اليه تعالى بأن يجنبها الآفات الوافدة (فهي الهم الواغل والخطب الشاغل) .

وأهم هذه الآفات هي : (السهكة RUST) او «سَن» ، والجراد . وقد يقع السوس ايضا ، وقد اصاب اقدام التلال سنة ١٩٢٠ فاحدث ضرا عظيما . وما الـ «سن» الا نماء فطري يظهر ، عادة ، في اعقاب نزول مطر شديد ، شتاء ، فتمنى الحنطة ، ولاسيما الـ (كندهارية) منها ، بشر مستطير . ولا يعرف الكردي عن مثل هذا من حرج فرجا ومن ضيق مخرجا . وما الـ «سن» الا من العلق الصغير وهو يظهر بكميات كبيرة احيانا ، فيجتاح اوراق زرع الحبوب ، ويجهز عليها . انه اشد الافات ترويعا ، وانه ليدمر ، غالبا ، الحاصلات في مناطق وسيعة .

وجاءت حشود من الجراد ، من جهة الغرب ، في سنة ١٩٢٠ ، ومن حسن الحظ ان يكون ورودها متأخرا ، فلم تستطع ان تحدث في الحنطة والشعير ، بسبب من ذلك ، ضرا . على انها وضعت بيضها في طول البلاد ، وعرضها ، وفي البقع الخارجة في (قره جوق داغ) ، وعند اقدام التلال ، خصيصا ، اذ لو عثر على صغار الجراد ، اثر خروجها من بيضاتها، امكن الاجهاز عليها ، والا لن يبق شيء يستطاع اليه سبيلا. انها تأكل كل اخضر من الحاصلات ، فتحدث بذلك ضرا كبيرا .

ويبدأ موسم حصاد الشعير في ايار مبكرا ويستمر حتى نهاية الشهر دووبا • اما موسم حصاد الحنطة فيبدأ في حزيران ، وعندما كانت الاعمال في سنة ١٩٢٠ نادرة ، شهدت ، عند مختتم تموز ، حاصلات لاتزال على سيقانها قائمة • ويجري الحصاد باليد كليا ويشارك فيه الجميع : رجالا ونساءا واطفالا • ان اعدادا ضخمة من اهل التلال وممن امضى الربيع في السهول ، لتجد الان عملا يساعدها على ان تنحدر الى بيوتهم الرجعي وفي جيوبهم شيء ما • ان مثل هؤلاء ، ويطلق عليهم اسم (ساپان) ، يحصلون على سدس كمية الحاصلات التي يعملون في سبيلها • فان كانت هذه شحيحة نكدة تعذر الحصول على عمال لها • وفي خلال الحصاد ، ان مر شخص ذو خطر ، هرع اليه احد الحاصدين ومعه ما يملأ اليد من الغلة المقطوعة ، باعتدادها باكورة ثمرة • انه ليأمل ان يجازي على ذلك بـ (بقشيش) ، اي نفحة • وتترك الغلة المحصودة على شكل حزمات صغيرات ، وتشاهد عند ذلك اللاقطات ، جامعات فضلات الحصاد ، على حال شغل تجمع السنابل المخلفة ظهريا وتنقل الحزمات الى ساحة الدياسة ، على ظهور الحمير ، وغيرها وتصطنع لذلك بنيات خاصة لحملها •

ان ساحات الدياسة هي فسحات خاليات تقع في الجوار المباشر للقرى ، وهي داخلة في الملكية العامة • ويصطفي كل فلاح لنفسه بقعة يضع فيها غلته على شكل كومات مدورات تطيف بعمود ما • وما ان تكمل الكومة الا يقرن بحبل عددا من حيوانات الجر شتى تراوح عدتها بين حيوانين وستة ويربطها بالعمود ، ويسوقها دائرة ، وبذلك تجري دياسة الغلة • ان فلاحا من طبقة فضلى ليصطنع في ذلك آلة تشبه الزلاحة عموما ، ومعها محور يدور ، ثبتت به سلسلة من شفرات كليلة • انها لتسحب ، دائرة حول الكومة ، من قبل بغلين اثنين ، وانك تشاهد غالبا ، طفلين اثنين عمراهما ٥و٦ سنوات يسوقانهما • تجري

عمليات الدياسة هذه في وسط الصيف ، وحينئذ[11] تلتقي باكراد التلال واضعين على الرؤوس قبعات (روبنصن كروزو) الرائعة .

وتتطلب التذرية ريحا ملائمة . وعندها ترمى الغلال التي ديست الى الريح بواسطة شوكة من خشب ذات خمسة رؤوس . ويتساقط اثر ذلك حب الحصيد ويترامى التبن باتجاه الريح . وما ان تتم تذرية الكومة كلها الا ينخل حب الحصيد لتنقيته من السيقان والوضر ، ثم يجمع على هيئة كومات نظيفات وتؤشر جميعا بطبعة الشوكة منعا للسرقة . وتغرس الشوكة والراس منها متعاليا ، وتكون في وسط الكومة ايذانا بالظفر الذي جاء في اعقاب عمل طويل ، وان قد فرغ من انتاج الحنطة . وتستمر الدياسة والتذرية في القرى حتى شهر إيلول غالبا . ويرتقب من اجود الارضين في محافظة اربيل ان تجود بحب حصيد بنسبة ١٠ــ١٥ لكل ١ ، في زراعة الـ (وارد) ومن ٨ــ١٠ لكل ١ في زراعة الـ (تاراكال) .

وفي التلال يعتد ٨ الى ١ لهوة[12] بالنسبة للاولى ، على حين لايحصل من الاخيرة عادة على اكثر من ٥ الى ١ الا بقليل .. وفي سني الخير قد تجود براري (قرهجوق) بنسبة ٣٠ــ٤٠ لـ (١) . ثم يخزن الحب ، بعد ذلك ، في مكان امين مكين ، وتحت الارض غالبا . ويجمع التبن ، او الـ (گاه) ــ وهو الـ (بهوصا) في اللغة الهندية ، ويصطنع للحيوان علفا ، حتى يحل الربيع التالي ، كما يستفاد منه في صبغ الآجر ايضا .

وفي الغالب يشاهد المرء ، خارج قرية ما ، وقد فرغ من الحصاد فيها ، صفا من قدور راسيات على اطمات [13] ، وهي تفور وتغلي ،

---

(١١) على سبيل ايراد فائدة لغوية نقول حينئذ اصلها (حين اذ يجيء) وجرى دمج هذه المفردات بكثرة الاستعمال ونشدان اليسر .
(المترجم)

(١٢) اللهوة العطاء الحسن ، وتطلق على ما يلقى في الرحى من الحب ايضا .
(المترجم)

(١٣) واحدها : اطمة وهي موقد النار .
(المترجم)

والنسوة تعني بها ، انهن يصنعن الـ (برغل) ، وطريقتـه : ان يغلى البر[14] اولا ثم يجفف بالشمس ، ثم انه يسحق بواسطة رحى ثقيلة تدار على حافتها وعلى قاعدتها بواسطة مهر ـ ان المهر يسحب عمودا مثبتا في ثقب كائن في وسطها ومشدود الى آخر ينتصب في وسط القاعدة ، ويؤخذ بالحنطة التي هي من النوع الانعم الى طاحونة ماء ليستخرج منها الدقيق على وفق الحاجة ، .

وبعد ان فرغنا باسهاب وفضل بيان من وصف الحاصلات الضرورية ، واعني الحنطة والشعير ، سنتناول ، في يسر وايجاز ، الحاصلات الصيفية ، ان ضرورتها الاولى هي : الماء وهو ، باستثناء ما في الانهر العظمى ، يملك شخصيا ، وثمة ينبوع او ينبوعان هما ملك الدولة يقعان في منطقة اربيل ويستغلان سنويا من قبل اكثر الملتزمين عطاء ، ولقد كان عطاء احدى الساقيات الصغيرات جدا : (١٢٠٠٠ روبية) اي (ازيد من ١٠٠٠ جنيه بموجب سعر التحويل يومذاك) ، ومن هذا يتبين ان الماء في موقع صالح لمقاصد الارواء،عزيز للغاية ، ولا يؤجر مالك الارض ارضه المروية الى الفلاحين عادة ، ذلك انه يعمد الى استغلالها عن سبيل العمل المأجور شخصيا ،

والحاصل الرئيس الذي يستنبت في السهول وبعض النجود هو : الرز ، انه ، كله ، وعلى التقريب من نوع يسمّى : (كردا) وهو يختص بهذا الشطر من الدنيا ، انه يجود بحبة ثقيلة ثخينة تبعث الرضى والطمأنينة ، وأني اجدها ريانه باكثر من الانواع الشائعة الاخرى ، والرز الذي هو ادق واخف ، المعروف بـ (عنبر) و (صدري) ، يستنبت في الاحيان ايضا ، لكن سوقهما في اربيل معدومة ،ان الـ (اغا) الكردي لا يعتدهما على حظ من شأن بحيث يصلحان ان يكونا طعاما ، ومن الملل المرهق ان نخوض في تفصيلات زراعة الرز ، انه يزرع في آذار ويحصد

---

(14) الحنطة (عراقية) والقمح (شامية) والبر (حجازية) وورد (الفوم) في القرآن الكريم وهي اسامي نوع واحد معروف من حب الحصيد. (المترجم)

في تشرين الاول . وليس من غير السوي ان تجود الحبوب في سهل اربيل بنسبة ٣٠٠ : ١ وزيادة ، فان كانت طرائق الزراعة يشوبها اهمال كثير فلا يؤمن اكثر من نسبة ٨٠ : في هذا الباب .

ومن الحاصلات الصيفية الاخرى : الماش وال (نوخود) وهما يحظيان بتقدير كبير ، باعتدادهما صالحين للاستهلاك البشري . والسمسم الذي يصطنع في اعطاء الخبز والكعك نكهة طيبة ، والذي يستخرج منه زيتا يثمنه اليهود كثيرا ، شأنه كشأن الذرة والقطن والدخن . وقد تشاهد حنطة ربيعية ، وهذه تتطلب ارواء . وفي ارض (بالك) حيث الثلوج لن تذوب الا في آذار متأخرة .

لقد اجريت تجارب كثيرة انصبّت على استنبات القطن من النوعية الفاخرة فاصابت على يد (دائرة الزراعة) نجحا . وقيل ان للبلاد ، في هذا الخصوص ، مستقبلا باهرا . اما القطن الكردي فهو من النوع الرديء ، وهو ينتج ليسد من الحاجة ما هو محلي .

ويستنبت العرب الدخن على الزابين ودجلة وهو من النوع « الابيض » كله ، والذي يعلو الى ١٠-١٢ من الاقدام . انه يسقى بالكرود ، او (الدواليب الفارسية) ، وفيها يرفع الماء من النهر في (جربان) ، وهي دلاء من جلد ، توصل بحيوان جر بواسطة حبلين يعملان على نظام من البكرات .ويساق الحيوان على أحدور يتناهى الى النهر ، وبذلك يرفع الدلو وما ان يبلغ هذا اعلى الضفة الا يفرغ ماءه في ساقية معدّة ، تلقائيا . ويتناهى قعقعة البكرات و (عويلها) من مسافة اميال ، ولسان حالها كما قال الشاعر :

كنت اسقي واغني صرت اسقى واغنى

ويعمل اثنان من هذه الكرود ، جنبا الى جنب عادة وهما يكفيان ارواء حاصل يجود بمعدل اربعة اطنان من حب الحصيد . والكرد يعمل بواسطة (آبار) كائنة قرب النهر . ويتألف من سلسلة من الدلاء يديرها جهاز دولايب . وتقوم حيوانات جر ، مربوطة بعمود يتصل بالدولاب الرئيس في الاعلى بتشغيله .

واهم الحاصلات المروية في التلال طرا هو :. التبغ • وبالنظر الى اسعار هذه المادة العالية يستخدم اكراد التلال كل ميسور لديهم من ماء تقريبا ، في زراعتها • ومنه انواع شتى ، لكن الاكراد لايستبتون الا افضلها لاستهلاكهم الشخصي • ويكتفي العرب بنوعه الرديء • ولما كان التبغ الفاخر يتطلب عناية كبيرة في زراعتهم ، فليس من المحتمل استنباته بكميات كبيرة ما لم يقع عليهم طلب محسوس ملموس بالنسبة اليه • وفي رأي الخبراء ان التبغ الكردي لا يمكن جعله ملائما للاستهلاك العام الاوربي ، وذلك بالنظر الى طبيعة الطقس الذي يحول دون قطعه • يجب تجفيفه وسحقه ، ونتيجة ذلك : انه يتطلب ورق سكاير ثخين غير مستحب • وبعض الانواع الدقيقة خفيفة ذوات نكهة لطيفة ، لكن التبغ المعتاد المستنبت للتصدير قوي يؤثر في الحلقوم •

ويزرع التبغ في وقت مبكر من السنة ، وذلك يجري في (دايات: مستنبتات صغار) تغطى بالاماليد وقاية لها من الثلج والصقيع • وفي الربيع يغرس في رقع من الارض جرى حفرها بعناية ، وسدت • انه يلتقط اعتبارا من حزيران فصاعدا ، وتربط اوراق التبغ بقطع من العصي وتوضع على سطوح البيوت لتجف • وترفع العصي في الوقت المناسب والاوراق قد ترطبت قليلا ، وعندها توضع في اكياس معدة لكي يأتيها التجار فتباع وتشترى • وكان التبغ في الازمنة التركية انحصارا حكوميا ، تدفع عنه ضريبة ثقيلة ويعتبر مصدرا من مصادر الجباية •

وتستنبت انواع كثيرة من الخضراوات ، وجلها في الارضين المروية او عند حافة الماء على سيف النهر صيفا • ومن مستنبتات الصيف زقي حلو فاخر جدا وخيار وقرع وطماطم وبامية وحدق (باذنجان) احوى [١٥] •

وعندما يطهو الاكراد او العرب الـ (بامية) تكون بقدر ما يتصل بعلمي من الذ الخضراوات المطبوخة ، لكنها عندما تطبخ وتقدم من قبل

(١٥) احوى = اسود مشرب بحمرة . (المترجم)

طباخ هندي تكون شيئا غريبا مزيجا ثائرا • انها تيبس وتسلك في خيوط غالبا ، وانك لتشاهد سلاسل منها معلقة في بيت كل كردي وتبقى على حال حسنة طوال اشهر الشتاء كلها ، انهـا الاثيرة من الخضراوات لدى الكردي • ويزرع في الشتاء الـ (الشلغم) والفجل والبنجر (الشوندر) والكرفس والجرجير والاسبانغ ، ويوجد التين الشوكي في (كوي) ايضا • واغاوات اربيل جد تواقين الى الحصول على انواع جديدة من الخضراوات شتى ، واخص بالذكر منها البطاطة التي تستورد من الموصل احيانا • ووزعت (دائرة الزراعة) بعض بذور (بنجر السكر) ، فان نبت هذا على الوجه الحسن وشيدت المعاصر له ، قد يثبت انه مصدر ربح وفير ؛ فالسكر غالي الثمن جدا ، ويجب استيراده من الهند •

وفي التلال يعتد الكرم على حظ كبير من الفائدة • ذلك ان سفوح التلال ، في ديار (خوشناو) على وجه اخص ، مكسوة بعرائش الكرم ، وهذه لا تحتاج الى ارواء ابدا • انها تجود بعنب ارجواني ذي حبات صغيرات ، وموسمه من آب الى كانون الاول• ومهما تكن الحال ، يقطف العنب في كانون الاول وينشر على سفوح التلال ويجفف زبيبا • وتستقطر النصارى منه شراب ليس هو من نوع حسن جدا • وثمة كرمات مرويات يعثر عليها في السهول تجود بعنب ابيض وارجواني •

ان الفواكه الاخرى التي تنبت بكثرة حول قرى التلال وفي السهول احيانا هي : الخوخ والاجاص والمشمش والتفاح والعرموط والتين والرمان • وتشتهر شقلاوة بفاكهتها ، لكن الاشجار فيها لا تحظى بعناية ما ولا تبلغ فاكهتها مستوى الانواع الانكليزية ابدا • وينضج التفاح في حزيران ، وهو من نوع رديء ، لكن هناك كثيرمن تفاح خريفي فاخر في ارض بالك• والرمان فاكهة فاخرة ، فالى خصائصه هذه ، ثمة زعم قائل بانه مضاد ممتاز للحمى ، وقشوره تصطنع في

الدباغة كثيرا .والتين موفور النماء وهو يجفف ويسلك في سموط[16].
ويكثر شجر التوت في التلال ، وفي السهول تجده هنا وها هنا .وهذه الفاكهة هي من النوع الابيض غالبا ، وان عثر على « التوت الملكي ROYAL MULBERRY » الذي يجود بثمرة حمراء لونها . ويجفف التوت غالبا ويحفظ للاستهلاك شتاءا . وخشب الشجر على حظ من القيمة كبير .

ويكثر شجر الجوز في ارض النجاد ، ويبلغ كثير منه حجما عليظا . والجوز هنا من النوع الفاخر جدا ، ولقد رأيت بعضه كبيض الدجاج حجما.والطلب على الخشب يقتصر على صنع الافدنة وغيرها من الادوات التي تتطلب خشبا صلبا كبيرا . وانك لتشهد شجرة الفستق في بعض البساتين المطيفة باربيل ، ناميا . والشجرة الوحيدة التي تكثر في هذه الارجاء هي : شجرة البلوط ، لكن خشبها ليس على حظ من الضخامة ،بحيث يمكن ان يستفاد منها .وال «اسبندار» [17] هو ضرب من الحور الابيض ، مستنبت الى مدى بعيد . ان نماءه سريع جدا ، ويبلغ قطر شجرة منه ، عمرها ١٥ سنة : ١٨من الانجات، عند اصلها . وهذا الخشب يصطنع في التسقيف ومقاصد البناء حصرا، ويزرع شجر الصنار PLANE TREES (شنار ، وجنار) لخشبه ايضا ، وقد تشاهد احراج من الصفصاف و « حور الفرات » وهي شجرة ملتفة كثيرا ، ولا كذلك شجرة الـ «اسبندار» النحيفة ، في اماكن شتى بمحاذاة الزابين . ان من اهم ملامح السهل فقدان الخشب فيه ، وكل شيء اليوم يبذل لتشجيع الناس على استنبات الصفصاف ، وغيره من الشجر ، بمحاذاة مجاري الماء .

وثمة منتوج او منتوجان طبيعيان همـا على حظ من الاهمية .

---

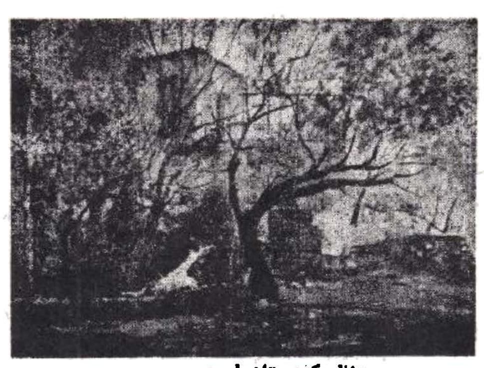
(١٦) جمع (سمط) وهو الخيط الذي ينتظم فيه شيء ما والا فهو سلك . (المترجم)

(١٧) (اسبندار) كلمة كردية النجار ، تعني (الحور) في العربية ، ومعناها (الشجرة البيضاء) . (المترجم)

الاول منهما هو العفص الذي يعثر عليه على احد انواع شجرالبلوط، والقوم يجمعونه بكميات كبيرة ويصدرونه الى بغداد نزلا ، ومنها الى اوربة . ويستخدم العفص في الدباغة وهو مصدر وارد كبير للحكومة ، اذ ان لها الحق في استيفاء عشر كل ما تنتجه الارض ،سواء اكان ذلك مستنبتا ام طبيعيا غير مستنبت . ويجمع صمغ الكثيراء من شجيرة نامية على التلال .

ويجود الـ (سماق) بحبة تثمن كثيرا في تطييب اللحم وصحون الطعام الاخرى ؛ على حين يكثر السعد في التلال والسهل ، وفي جوار الماء بخاصة . وكان الاخير يستغل قبل الحرب من قبل شركات اوربية او امريكية . وهو غير ذي جدوى ، بالنسبة للكردي ، قل او كثر ، وفي كثير من الاماكن يضيق الخناق على محصولاته ويجعل حصادها امرا متعذرا تقريبا .

هذا واني لعلى يقين من انه لو توافرت الاحوال المستقرة فان للزراعة في اربيل مستقبلا باهرا . ويفيد خبراء علم طبقات الارض (جيولوجيا) ان سهل اربيل يجود باوضاع مثالية لحفر الآبار الجوفية



منظر كردستان في جو ربيعي

(الأرتوازية) والحصول على الماء بواسطتها . فان حفرت هذه الآبار، وانبجس ماؤها غزيرا ، غدا رز اربيل وقطنها على حظ كبير من خطر ، كشأن حنطتها . ان التربة من نوع فاخر ممتاز ، فلم لا تزدهر فيها افضل انواع القطن وبنجر السكر يا ترى ؟ ينضاف الى ذلك انه لو ادخل حب حنطة جيد يقاوم التعفن واستخدمت الادوات الزراعية الحديثة ، ولا سيما الفدان المحسن منها ، فان منتوج الحنطة سيكون ضعفي ما هو الآن ، واكثر .

وعلى ما يستشف من الصفحات المواضي : ان صادرات اربيل تأتلف من المنتوجات الزراعية ، والرعوية ، والطبيعية حصرا ، واعني بها حب الحصيد والصوف والتبغ والعفص والصوغ والخشب والجبنة وعسل النحل والزبيب والفواكه المجففة الاخرى . انها لتشحن الى رؤوس السكة الحديد ، عند (كفري) [18] والشرقاط ، او تجعل على اطواف (كلكات) تنحدر الى بغداد نزلا ، وذلك اثرجمعها في كل من (طق طق) و (التون كوبري) [19] . وتباع كمية حسنة من الحنطة في الموصل وتشرى ايضا ، وعلى الخصوص حين تقضي الضرورة برفع مقدار النقد لمقاصد الواردات .

والواردات الرئيسة هي : الشاي ، والسكر ، والقهوة ، والمواد المصنوعة ، من بغداد ، والانعام من فارس . ويمر طريقان مهمان مادان بين بلاد ما بين النهرين وفارس الشمالية الغربية ، من محافظة اربيل . وعندما ينشر السلم رواقه على جانبي الحد تغدو تجارة الـ (ترانزيت) على حظ من خطر . وعلى ما هي عليه الحال حقا ، هناك عدد من

---

(18) في كفري عيون نفط منذ القديم في موقع يسمى (اون ايكي امام : الائمة الاثنا عشر) . (المترجم)

(19) يقول (ريج) في رحلته الشهيرة ان المسافة بين التون كوبري ودجلة تقطع في 18 ساعة وبالكلك تستغرق نهارا واحدا .

(المترجم)

القوافل التي تمضي الى (صاوجبلاق)[20] واورميةحاملة معها الشاي والسكر والقهوة والمواد المصنوعة ، لا سيما الاقمشة ، لتجيء ، في الرجعة بالطنافس والحرير والجلود والفراء والـ (سساورات) والانعام . وتسد الثلوج الطريق من كانون الاول حتى آذار .

وثمة تجارة محلية ضخمة ، فقبائل التلال تبادل فواكهها وتبغها بحبوب الـ (دزه‌يي) .

ولا توجد في اربيل مصارف ، لذلك يميل الاكراد الى اكتناز المال وخزنه ، ولعلهم على استعداد لاستثماره ان سنحت الفرصة الى مثل هذا . ويمول ذوو الثراء العريض صغار التجار باعطائهم هذا الذي يسمى بـ (سرماية) او رأس المال ، وبذلك يشاركونهم في الربح او الخساره اللذين يجيئان في اعقاب التجارة . وعلى الرغم من ان (الربا) حرام في الشرع المحمدي الا انه شائع ذائع . ويقال ان (احمد باشا) يرابي بـ ٥٠ الفا من الباونات ، وبفائدة مقدارها ٣٣ بالمئة سنويا . وفي العادة ان الفلاحين هم الذين يستدينون ، لانهم ينشدون شراء الفدان والحيوانات والحبوب ، فان كان الحصيد الحاصل غير حسن اصبح المدين التاعس غير قادر على تأدية الفائدة، بله رأس المال ، لذلك يضطر وقلبه يضطرم بنار واي نار على تسليم ارضه ، ان كانت له ارض ، تسديدا لدينه . انها احدى السبل التي استطاع (الاغوات) بواسطتها امتلاك كثير مما يملكون . والعملة النقدية المتداولة في الدرجةالاولى، في القرى والتي تستعمر بها الانعام والحبوب ويجري التعامل بها عادة هي : الليرة التركية . لقد كانت هذه قبل الحرب ، تساوي اقل من (باونا) بشيء زهيد، وكميات الذهب المتداولة كبيرة جدا .ولا ترضى الحكومة البريطانية ، عادة الا بالروبية في دفع وارداتها ، لذلك غدت

---

[20] صاو جبلاق ـ صابلاخ مقاطعة كردية في ايران عدة نفوسها على ما تقول دائرة المعارف الاسلامية : ٢٠٠٠٠ وهم من اكراد (مكري) وتقع جنوبي بحيرة اورمية .

(المترجم)

العملة المتداولة في المدن . ولدى مغادرتي البلاد ، في تشرين الاول سنة ١٩٢٠ ، كانت الليرة تساوي نحو ١٤ روبية . وتحظى العملة الورقية الهندية بالقبول رأسا ، وما كان منها على قيمة عالية بمكسب، وذلك بالنظر الى يسر حملها ، على حين تساوي العملة الورق التركية ١٥ بالمئة من قيمتها الاسمية فقط . ان المقاييس والمكاييل على حظ من التعقيد عظيم ، وهي تختلف ، لا في كل مدينة حسب ، وانما في كل قرية تقريبا .ويكال حب الحصيد بالحجم ، وتصطفي كل قرية صاعا خاصا باعتداده معيارا قياسيا . وتبذل محاولات لادخال الـ (كيلو غرام) كمعيار في طول البلاد وعرضها .

ولبعض تجار اربيل اتصالات وسيعة ، ولهم وكلاؤهم الخاصون في حلب وبغداد ، وكانوا يتراسلون ، قبل الحرب ، مع الشركات في (مارسيلية). انهم خبيرون حذاق في الافادة من تبادل العملات . ففي خلال سنة ١٩٢٠ اعتاد احمد باشا على ارسال كميات كبيرة من الروبيات الى بغداد ومبادلتها بـ (تحويلات) ، بالباونات الانكليزية . وكان يرسل هذه التحويلات الى حلب ويستبدلها بالذهب التركي . فالليرة كانت تساوي فيها : ٩ روبيات. ثم كان الذهب الناجم عن هذه العملية يحمل على ظهور الحمير ويؤتى به الى بلاد ما بين النهرين ، وبذلك يكون الربح الصافي عن كل معاملة ٢٥ بالمئة .

الفصـــل الســـابع

التون كوبرى وزيارة اربيل الاولى

كان ثمة رتلان بريطانيان يتقدمان ، خلال شهر تشـــرين الاول من سنة ١٩١٨ في بلاد ما بين النهرين الشمالية ، احدهما محـــاذيا دجلة ، تلقاء الموصل والآخر ،تلقاء كركوك ، وهو على طريق كفري يسير . وسقطت كركوك [١] في الـ ٢٧ من تشرين الاول ، وفي نهاية هـــذا الشهر بلغت قطعاتنا (التون كوبري) الراكبـــة على الزاب الاصغر . وكان رتل الموصل على مسافة اميال قليلة من هدفه حين تناهت الاخبار مفيدة ان الحلفاء عقدوا مع الاتراك هدنة [٢] .

وكنت في هذا الحين في مندلي آملا ، في كل ســـاعة ، ان يوعز الي بالمضي الى الشمال . واخيرا ، في اليوم الاول من تشرين الثاني ،

---

(١) من معالم كركوك الاثرية (قلعة) يرجع تاريخها الى نحو الغـــرن الخامس عشر قبل الميلاد ، ولقد عثر سنة ١٩٣٣ ، في سفح التـــل الذي تعلوه على رقيمات من طين مفخور عليها كتابة مسمارية . وقيل ان مراقد انبياء بني اسرائيل (دانيال) و (ميخائيل) و (حنانيا) و (اليعازر : عزاريا) في احدي مـــاجدها واليهود كانوا يؤمنـــون بذلك ويزورونهـــا .

(المترجم)

(٢) في اواخر تشرين الاول ١٩١٨ اصبحت القوات التركية في العراق بقيادة علي احســـان باشا خائرة القوى متناقصة العـــدة والعدد . وكانت متجمعة عند (مضيق الفتحة) ومنطقة كركوك . وجـــرت المعارك الاخيرة بين البريطانيين والاتراك وختمت بتحطيم البقيـــة الباقية من الجيش التركى السادس يوم ٣٠ تشرين الاول فيما خلا قلة في مدينة الموصل . وفى ٣١ تشرين الثانى ١٩١٨ رفع الاتـــراك علم الهدنة التى وقعت يوم ٣٠ تشرين الاول لتكون نافذة المفعول من ٣١ منـــه .

(المترجم)

جاءت برقية تقضي بتعييني (مساعد الحـــاكم العسكري) في التون كوبري . وكان ان فصلت فيما بعد ظهر اليوم نهمه بسيارتي ، وهي من طراز (فورد) يصحبني خادم واحد ، وليس في حقيبـــة سفري الا القليل . وكان ان بلغت غايتي عند الظهر من اليوم الثالث من ذلكـــم الشـهر .

التون كوبري او (الجسر الذهب) مسـاة على اسم الجسر ، نابه الذكر ، الذي كان موصلا المدينة بضفة النهر اليسـرى . والزعم الشائع الذائع انه بني قبل قرون عديدة على وفق امر اصدرته سيدة سيء حظ من ميعة تدعى (التون) [٣] « كذا : المترجم » والجسر يعبر النهر وعرضه نحو ٢٠ ياردة ، وطاقه مبني بالحجارة والجبس وقوامه من خشب . انه ينحدر الى حد يتطلب سحب جميع العربات والمدافع عبره . وما ان بلغت النهر الا وجدت ان هذا الجسر ، والجسر الثـاني الكائن على الجانب الآخر من المدينـــة ، قد جرى نسفهما على يـد الاتراك المتراجعـين .

كان في مكنة الحيوانات والعربات عبور المجرى بشيء من اعسار وذلك من (مخاضة) كائنة على مسافة قليلة، من الجسر المهدوم تزلاء

وتركت عربتي في بنية ، واتخذت سبيلي الى المخاضة منحـدرا وبشيء من العسر استطعت ان استعير مهرا واعبر سالما . وكان مروري من شوارع خلفية قذرة حتى بلغت الشارع الرئيس فال (سراي) اي (دار الحكومة) . وشد ما دهشت له حين وجدت ان مستر كاربت ، المنسوب الى سلك الخدمة المدنية الهندية ، كان وصل من بغداد بغية تدوين ملاحظات عن نظام الواردات في هاته المناطق التي تم احتلالهـا أخيرا . انه يريد بذلك اسداء العون الى (مساعدي الحكام السياسيين) الذي جرى تعيينهم حديثا ، وانه لم يصل الا قبل دقائق معدودات من

....

(٣) هذا وهم وتخليط من (المؤلف) ولقد تطرقنا فيما مضى الى اصل اسم هذه البلـدة .

(المترجم)

وصولي ، وهو مشغول كليا يتحدث الى بعض متقدمي السكان ويدون الملاحظات رأسا .

ان الجزء الرئيس من التون كوبري متراص على صخرة كائنة في وسط النهر . وهناك عدد من الدكاكين الصغار على جانبي الطريق الرئيس المار الى قلب البليدة ، والمنحدر تحت الطوق الذي يشبه النفق حتى شاطىء الفرع الايمن من النهر . ان هذا وسيع ، لكنه لا يحوي من الماء الا قليلا . ثم ان الطريق ، المشار اليه آنفا ، يصعد كرة اخرى حتى يبلغ مرقاة تفضي الى الجسر الثاني . ان هذا الطريق ذا سعة تفي بحاجة المدينة وهو يكفي لمرور عربة واحدة . وتتفرع منه قلة من ازقة قذرة ، يصل المرء بواسطتها الى بيوت متراصة . وعلى الارض الكائنة على جانبي النهر قلة من بيوت اوسع ، تقوم بينهما فسحات افضل ، لكنها مهجورة كلها ، اذ شغلتها العساكر التركية فيما مضى . ومن ايار حتى تشرين الاول ، وحين يكون ماء النهر خفيض المستوى ، تغدو الارض المحيطة بالصخر رقعة شاطىء تتكدس فيها القمامة ، ويتخذها الاهلون غائطا . وللبيوت المحيطة بحافة الصخرة مزاريب تفرغ مافيها عليها . وخيم في البليدة ، وفيما حولها عدد كبير من الجنود الاتراك شهورا ، لذلك كان يطيف بها كدس من قاذورات نصف سنة .

اما الذباب فكانت حاله يكل عنها الوصف ، اذ لو وضع طعام ما على المائدة لرانت عليه طبقة سوداء منه ، كلمح البصر .

غادر (البليدة) من اصل سكانها البالغين : ٣٠٠٠ نحو ١٠٠٠ نسمة . اما البقية الباقية فاما ان تكون قد هاجرت او ماتت من مخمصة ، فقد كانت جماعة قذرة تاعسة ..

اما وجيه القوم فكان رجلا يدعى (حسن اغا) ، وهو عجوز مكروه هرطيق (كذا : المترجم) ووكيل (احمد باشا دزه يي) . وكان رئيس البلدية ، وهو منصب يماثل شاغله الـ (عمدة : MAYOR) في انكلترة : سويد آغا ، وهو شيخ بياض لحيته في جلوة الصبح المشرق ، طاهر السريرة ، بيد انه متبلد الحس ، وكان يثير حفيظتي ، في الاحيان ،

ي حد الخبال والهبال . واني لاذكر انني قلت له ذات يوم اني تواق الى ان يطغي النهر فيجرفه ويجرف المدينـــة واهلها جميعا (كـــذا : المترجـــم) [4] .

ولبث (مستر كاربيت) في التون كوبري يوما او يومين صارفا وقته كله في مقابلة رؤساء العشائر ومختاري القرى ، على حين كنت ، اوانئذ ، اسعى الى ان ابدل حالة الفوضى بحالة النظام والاستقرار . وكانت المنطقة المناطة بي تأتلف من ثلاثة من النواحي،كانت منتظمة في محافظة كركوك فيما مضى . انها تقع جنوبي الزاب كلها ، فيما خلا قلة من القرى واقعة على طول ضفته اليمنى . ليس من الهين اليسير اقامة جهاز حكومي حين ينعدم كل شيء يبدأ به . وعلى ذلك ، شغلت في تجنيد من يمكن تجنيده من الدرك التابع الي وتسليحه ، والعثور على الرجال الصالحين لاشغال الوظائف الحكومية وهي شتى .وكانت عندي عرائض كثيرة يطلب مقدموها اشغال تلكم المناصب ؛ لكن جلهم كانوا غير صالحين لها ، لذلك كان لزاما علي ان احصل لهـــا على « الفندية » من كركوك حصرا . وفي غضون ايام قليلة وصل (محاسب هندي) وكمية من القرطاسية ؛ فلم يمض وقت طويل الا غدا مكتبي منتظما . وسرعان ما جندت قوة من الدرك تأتلف من اشد الناس ، تحت الشمس ، خبثا وشرا (كذا : المترجم) واضطررت الى تسليحهم

---

(4) يلحظ ان شطحات في القول وغمزات تعرض لك (المؤلف) على غير احتفال منه ، في فلتات اثر فلتات وقد يكـــون متجنيا على مـــن يذكرهم : والله حسيبه في عقبى الدار ، وقد يكون بعضهم علـى ذبالة من حياة حتى يوم الناس هذا فليعرضوا عن ذلك لان (المؤلف) كان أوانئذ في فتاء السن ونزقه ؛ وكان بمنصبه العسكري مزهوا فلن تضيرهم اقواله غير الصحيحة ؛ واعمالهم ان كانت صـــالحة . وليذكروا قول الشاعر :

وان من الاعمال دونا وصالحا فصالحها يبقى ويهلك دونهـــا

(المترجم)

ببعض بندقيات قديمة ذوات الجف الطويل [٥] جمعت من اهل المدن، ولحسن الحظ انها لم تستخدم من قبلهم ، ولم تجد عليهم نفعا ولم تحقق لهم مأربا .

كان الدرك في ايام الاتراك نقمة صبت على بلاد ما بين النهرين . ذلك ان افراده كانوا من الاجلاف الجفاة الذين يعدمون التدريب والمبادىء ويستغلون سلطتهم في سبيل النهب والسلب ، ووقائعهما لا تعد ولا تحصى . وكان الاهلون يجتوونهم كثيرا ، ولما كانوا غير قادرين على كسب ما يقيمون اودهم ، الا باعتدادهم اتباعا للحكومة حصرا ، لذا كانوا يبقون على الولاء لها ما دام ناموسها عاليا ، فيمكن آنذاك الاعتماد عليهم في اتباع التعليمات التي تصدر اليهم.هذا وكان بعضهم يصدع بما يؤمر في الاوقات الحرجة وبأقصى شجاعة . وكان لزاما على (مساعد الحاكم السياسي) عندما يلج منطقة جديدة تشكيل قوة اجرائية حالا . وفي المناطق غير العشائرية لم يكن لديه من افراد لها غير (الدرك : الجندرمة) التركية القديمة . وبذلت جهود عظيمة في سبيل تحسين افراد الدرك وتجنيد الشبان فيه ، كما تم في بعض المناطق تشكيل قوات من الشرطة النظامية . الا ان اعظم مشكلات (مساعد الحاكم السياسي) كانت ردع الجشع الذي يساور نفوسهم.

وكانت السلطات البلدية الموروثة من العهد العثماني لا تزال قائمة ، وقد بذلت جهود عظيمة للحصول على عمال بواسطتها ، بغية تحسين حال المدينة الصحية . وكانت عدة هؤلاء العمال رجلين واثني عشر صبيا ، لكنهم دأبوا على قضاء الوقت جله والسنتهم تهذي بما لا يغني ، ولذلك كان لزاما ترك التنظيف ، وهو عمل جليل ، الى در السحب المثقلة بالماء ليقوما به .

وفي الـ ٧ من تشرين الثاني تلقيت امرا بالمضي الى كركوك ومقابلة

---

(٥) في الاصل (BORE)
وجف البندقية ثقبها على ما ورد في القاموس العسكري العراقي .
(المترجم)

المقدم نويل ، الذي عين حاكما سياسيا على كركوك ، وكـــان يقوم بتوجيه السياسة في كردستان الجنوبية عموما . وسقت سيارتي في اليوم التالي ومضيت بها خلل مطرمنهمر وريح قرية خلويج . وشرح لي المقدم نويل السياسة التي يروم اتباعها ، ومحصلها العام ان يكون الحكم بواسطة رؤساء العشائر ، واقصاء الموظفين الاتراك والسدرك الفاسدين ، حسب الامكان . وحين كنت في كركوك وردت برقية تفيد بان يتخذ السبيل الى اربيل ضابط سياسي ، صحبـة قوة صغيرة من الخيالة توا لتسلمها من الاتراك ، على وفق شروط (الهدنة) .

وكان ان انتدبني (المقدم نويل) لذلك واعطـــاني (آمر قوة كركوك) مذكرة شكلية لتسليمها الى (آمر القوات التركية) ، وهي تطلب اليه الانسحاب الى الموصل . وبعد الغـــداء قفلت الى التون كوبري راجعـا .

وبعد تأخير طويل ، وصعوبات جمة مسببة عن جمع وسـائط النقل ، وصلت الى اربيل ، ومعي ضابط بريطاني واحد ، من (وحـدة الخيالة /١٣) الهندية وموظفا برق بريطانيان ، وكان ذلك في الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم العاشر . وكان ان امتعضت من وصول برقية، في الوقت نفسه ، مفادها ان النتيب (وهو اليوم مقدم) موري قـد عين لاربيل ، وان عليّ ان اعود الى التون كوبري بمجرد وصولــه . وقررنا ان تكون غايتنا للسبيت (كول تبة) وهي من قرى الـ(دزهيي) فسرت اليها في المقدمة ، ومعي قلة من السوارية بغية اتخاذ الترتيبات اللازمة . ولم نصادف احدا ، واثر قطعنا من الطريق اميالا لقينا بعـد ذلك كرديا وحيدا يسوق بعض الثيران والحمير . لقد قام هذا بتوجيهنا الى القرية المخفية في غار ،على بعد نصف ميل من الطريق . وارسلت دركيا كي يعلن نبأ قدومي فخرج جميع ذكور القريـــة لاستقبالي . وصافحني (مختارها) محمود بابا ، وهو اغا مستقل ، ليست له صلة باحـــد من رؤساء الـ (دزهيي) ، ثم اجلسني على وسادة خــــارج

مضافته [٦] . انه رجل لاحظ له من وسامـــة ، في منتصف العمر ، وحسبنه ، بادىء الرآي كذابا خبيث (كذا : المترجم) وعندما قفلت الى اربيل راجعا وقفت على حاله فاذا به على حظ خارق من الصدق ، وكنت اراجعه عادة عندما كنت بحاجـــة الى الوقوف على رأي غير متحيز في القضايا المختصة برؤساء قبيلة الـ (دزه يي) المتنافسين . ومن اول ما قال لي : « انك تتخذ السبيل الى اربيل ، وانك تواجد فيهـا صديقي احمد افندي، رئيســـس البلدية . انــه رجل من الصالحين وسيُـدي لك عونا » . ان هذا هو اول ما سمعته عن اعظم خلي لي اتخذته بين ظهراني الشرقيين جميعا ، رجل هو اشد الناس اخلاصـا والتزاما بالمبادىء السـنية من بين من قابلتهم طرا . وما ان اتخــذت مجلسي الا تجمع شيوخ القرية متحلقين حولي جميعـــا . وبواسطة احدهم ، وكان يتكلم الفارسية ، انهـالوا علّي بصنوفا من الاسئلة : لِمَ قدم البريطانيون ؟ وكيف سيحكمون ؟ هل سيقومون بسـحق الطغاة البغــاة من الرؤساء والمختارين ؟ ما مقـدار الضرائب التي سيقومون بجبايتها ؟ وما هي التحسينات الزراعية التـي سيقومون بادخالها ؟ وهل سيمدون السكك الحديد ؟ وهلم جرا .. وعن هذه حاولت ان اجيب على افضل ما استطيع . كانت ، بالاحرى ، تجربـة غريبة : اذ انا جالس والليل قرّ ساج بين جمع من الاكراد يتحلق بي ويخضعني الى مثل هذا الامتحان الدقيق . لعلي كنت اول انكليزي تحدثوا اليه . لقد خيل لي ، خلال زورتي الاولى هذه ، ان الـ(دزه يي) قوم لا ولاء لهم وليسوا بذوي قِرَى . لكنني ، بعد ذلك ، شغفت بهم حبا واخذت انظر اليهم باعتدادهم افضل الاكراد في بلاد مـا بين النهرين طرا ، وانهم اكثر رجولة من القبائل القاطنة من الزاب الاصغر جنوبا ، وافضل تعقلا من سكنة التلال المتبدين ، واحد ذكاءا .

---

(٦) ان القاري الكريم احس ، من دون شـك ؛ ان المؤلف ذو آراء متسرعة فيمن يلقي من الناس ؛ انه يكره ويسب بغير دليل قائم ؛ لكنه سرعان ما يبادر الى تصويب اغلاطه .

(المترجم)

واصفرت الشمس فأخذنا نتأمل غروبها في صمت بليغ وتناهى الى مسامعنا صوت المؤذن يهيب بصدقاني الى الصلاة . وغبّ مدية من ذلك ، جاءني محمود آغا بعشاء يأتلف من الرز واللحم ، تكريما وترحيبا . ووصلت الخيالة في نحو الساعة السادسة والنصف مساء .

وما ان ابتسم ثغر الصبح وهب النوّم في اليوم التالي الا فصلنا وكان عقربا الساعة يشيران الى الساعة السابعة تماما . وكان ثمة طل يتساقط خفيفا هيّنا . وبعد ساعة مررنا ببنية وسيعة مربعة ، تراءت من الناس خالية . وقطعنا مسافة ما ، وعلى حين غرة هتف احد اسواريه قائلا ان ثمة نفرا من الترك على الطريق يسيرون خلفنا . وعدنا القهقرى فوجدنا ان الابنية تحوي كمية من الحنطة ويقوم عليها احدهم حارسا . واصر الضابط ، ذو القبعة ، على التسليم لنا ، وعاد الى مقره في اربيل . ولم يكن في وسعنا ان نستبدل الحارس بأحد من جندنا ، لذلك كان لزاما عليّ استدعاء رئيس القرية . وظهر ان هذا لايعدو ان يكون صبيا في نحو ال ١٨ من العمر ، اسمه : علي اغا . كان يتفخّل [٧] بكسوة من حرير فاخر ومشد ملفوف عرضه ١٤ انجا . وتعهد بان يرعى القمح حتى العثور على حارس له .

وسرنا راكبين ، لمدة ساعة او ساعتين ، خلل ارض قفر متماوجة ، امتا وعوجا [٨] حتى بلغنا اعلى مرقاه آنسنا [٩] على مسافة نحو اربعة اميال ، في السهل ، ربوة متنطادة في السماء ، مدوّرة عظيمة تتوجها حلقة من بنيات . انها اربيل ، المدينة القديمة العتيقة الآشورية والتي حملت الاسم نفسه منذ سنة

---

(٧) يتفخل : على معنى يلبس افخر الثياب .

(المترجم)

(٨) امتا : ارتفاعا ، وعوجا : انخفاضا . وفي التنزيل العزيز (لاترى فيها عوجا ولا امتا .

(المترجم)

(٩) آنس : ابصر ابصارا بينا .

(المترجم)

١٨٠٠ ق.م [١٠] . لقد كان الملوك يصلّون فيها ويدعون الآله بان يدركون الظفر ، كما كان الغالبون العظام يعمدون الى سلخ جلود اسراهم امام محراب عشتار (يا لها من قسوة !) . هنا سار الاسكندر الكبير ، اثر نصره المبين ، في اعقاب دارا الذي هوى ، وعلى الرغم من اخفاقه في ادراك ضحيته الا انه استطاع الظفر بخزائنه الملكية . وهنا، في زمن ما ، حكم اشهر كردي في التاريخ واعني به صلاح الدين[١١] .

وتقربنا من المدينة من الطريق الخاطيء فاضطررنا الى ان نتخذ سبيلنا خلل ازقة ضيقة خلفية . وكان ان بلغنا ، اخيرا ، مكانا منفتحا صغيرا فيه « بيوت القهوة : المقاهي » على جانب و (دائرة البلدية) على جانب آخر : كان قد تجمع فيه ، على الرغم من الطقس ، حشد من الناس ، وكان المدرك مصطفين

---

(١٠) نعاود الغناء معلومات القاريء الكريم عن اربيل فنقول انها المدينة الآشورية الوحيدة التي ظلت مستوطنة ومحتفظة باسمها القديم (اربيلا) حتى يومنا هذا . وقد جاء هذا الاسم بصيغة (اوربيلم) URBILUM و (اربا ـ ايلو ـ اربعة آلهة) واشتهرت بكونها مركز الآلهة عشتار ؛ لذلك نسبت اليها فعرفت باسم (عشتار اربيلا) . واشتهرت المعركة التاريخية (٣٣١ ق.م) بين الاسكندر الاكبر ودارا الثالث (آخر الاخمينيين) وهي المعركة التي عرفت باسم (كوكيلا) وسميت بموقعة اربيل لان اربيل هي اكبر مدينة في المنطقة .

(المترجم)

(١١) التواتر البلدي يجعله من منطقة اربيل ، لكن موطن اسرته الاصلي هو (دوين) في ارمينية راجع :

MINORKY : STUDIES IN CAUCASIA HISTORY LONDON 1953 (PP\1\ . ET SEQ)

ودوين تبعد عن شمالي اربيل بمسافة ٢٣ ميلا ولعلها تمثل مرحلة من مراحل انتقال الاسرة الى (تكريت) حيث ولد صلاح الدين الايوبي .

(المترجم)

جميعا ، وكان (آمرهم) اول من رحب بنا • وجاء في اعقابه رئيس البلدية(متصرف)محافظ اربيل•وقدم لي الشاي والقهوة في البلدية،وما ان شهدت ان الجنود قد استقروا على الوجه السليم الا اخذ بيدي الى المرقات العظيمة المفروشة بحجارة والمفضية الى (المدينة) الكائنة على الرابية • ويعلو المدخل الى البليدة الفوقانية (السراي : دار الحكومة)، ومنه يستطيع المرء ان يتملى منظرا رائعا للبليدة التحتانية والسهل الذي يطيف بها •

ان اربيل ، باعاليها المحصنة ، وبمنارتها الفذة ، ذات مرأى فريد في بابه • فالبليدة الفوقانية مبنية على رابية مدورة ، تشرف على السهل المحيط بها وكأنها حصن ضخم • ان الجدر البرانية شاهقة لا تحتوي الا على نوافذ لاحظ لها من انتظام ، صغيرة وكأنها (المزاغل : Loopholes) ، فيما خلا تلك الشرفات التي شيدها بعض الموسرين من الاغوات • ولا سبيل الى ولوجها الا عن طريق بابين كبيرين : احدهما وسيع كائن على الجهة الشمالية ، ويمر من تحت الـ (سراي) ، والآخر صغير ينفذ من الجهة الشرقية •

أما الشوارع التي في داخلها فوعرة ضيقة ولا يمكن اتخاذها سبيلا للعجلات • وقيل ان هذه البليدة شيدت قبل قرنين او ثلاثة اقرن، وان اهل الريف الزموا العمل فيها ، وحتى بناء جوانب رابيتها واعلاها ، ولعل في داخلها من الاثارات ما هي اثمن مما في نينوى وآشور ، لكن التنقيب يتعذر من دون هدم المدينة • والبليدةالتحتانية تتجمع حول الجانبين : الجنوبي والشرقي للرابية • هنا السوق العظمى، وفيه طاقان حسنا العمارة وطاقان مهدومان ، ومن المحتمل معاودة بنائهما قريبا • اما الدكاكين الاخرى فلا تعدو ان تكون دكات تعرض عليها البضائع والسلع ، فالتجار يأتون بها صباحا ولتختزن في الخان ليلا • والسوق حسنة البضاعة والسلعة ، يتهافت عليها الاكراد الاتباع من كل جانب •

وما كانت اربيل في يوم ما مشهد صدام خلال الحرب العظمى ٠لقد بلغ الروس (راوندوز) ووصل الانكليز (التون كوبري) و (مشارف الموصل) ، لكنها بقيت من دون ان يمسها احد ٠ واستطاع اهلها اخفاء مخازن الحنطة ، وعلى ذلك لم يهلك منهم لسيا الا قلة خلال سنة المخمصة[١٢] ٠

وفي الحقول الكائنة عند حافة المدينة الغربية ، تقوم منارة شاخصة عظيمة ، علوها نحو ١١٠ من الاقدام وقطرها نحو ١٢ من الاقدام ،عند القاعدة ، وهي مبنية بالآجر ٠ لقد سقط اعلاها تاركا بترا لا استواء فيه ٠ وثمة بقية من (القاشاني الملوّن : الكاشي) ، وكمية من تزيينات خشنة ٠ انها متآكلة عند القاعدة ولا معدى عن سقوطها اخيرا ان لم تبذل جهود لمحافظتها ٠ وليست هناك اثار مرئية تدل على الجامع الذي لا بد ان المنارة كانت منه جزءا ، لكن سطح الارض ، غيرالمستوى، للحقول المحيطة بها يحمل على الاعتقاد بان المدينة الدابرة كانت هاهنا٠ ويذهب التواتر البلدي الى ان المنارة شيدت في عهد الخلفاء وانها كانت مركز اربيل وكان يحكمها سلطان مستقل[١٣] ٠

---

(١٢) المخمصة = المجاعة العظيمة ٠

(المترجم)

(١٣) عرفت بالمنارة الظفرية ، والنسبة الى السلطان مظفر الدين كوكبري ؛ حاكم اربيل المتوفى سنة ٦٣٠هـ = ١١٣٢م ٠ ان القسم الباقي فيها يرتفع اليوم ٣٧ مترا ،وقدعثرت (مديريةالآثار العامة) على بعض آساس جامعها ٠ والمنارة مبنية على طراز منارة : سنجار والحدباء فى الموصل ومنارة طاووق وكلها من عهد واحد ٠ وقاعدة منارة اربيل مثمنة ولها بابان مغلقان كل باب منهما يؤدي الى سلم ، وتوجد في داخلها اسطوانة بدور حولها السلمان لقد قامت مديرية الآثار العامة سنة ١٩٦٠ بترميمها وترصين قاعدتها٠

(المترجم)

وتغديت مع (احمد افندي) • ان هذا الرجل رائع وقد بلغ اشده ، وبلغ ٤٠ سنة تقريبا ، وهو ينتمي الى احدى اكرم الاسر في اربيل وابن عم ملا افندي[١٤] ــ (رحمه الله : المترجم) ــ احد متقدمي الروحانيين في كردستان الجنوبية • ان والده وجده ، من قبل ، كانا من رجال الديـن ايضا ، شأنهما كشأن اخيه الوحيد الباقي على قيد الحياة • وفي انفة شبابه سلك المسلك القضائي ، اذ شغل منصب (المـدعي العام) في اربيل تحت ظل الحكم التركي • وقبيل احتلالنـا انتخب للبلدية رئيسا • ان طوله نحو ٥ اقدام و٩ انجات ، وهو ذو احديداب ظاهر • وجرمه العام خفيف هيّن لكـن ملامحه حادة وانفه طويـل معقوف • ان عينيه تلمعان على وجه غير مألوف ولعله سيقع ، عاجلا او آجلا فريسة لداء السل وهو داء قصف باعمار جميع افراد اسرته ، وذلك قضاء الله الذي (لا مرد له) ، اتاهم فاذا هم في التراب رميم • انه يرتدي في العادة ، الملابس الاوربية • واروع ما فيه انه ديمقراطي حق ، وان مصالح قومه ، ولا سيما اهل العيلة منهم والفاقة ، لتحل في سويداء قلبه • انه ليقف في صفهم ، بازاء الاغوات ، دوما ، لذلك فان الاخيرين ليجتوونه اطرادا • وفي الايام العسرة تجده يسدي للحكومة عونا ، مهما كلف الامر ، ذلك انه ليعلم ان الهزاهز والاضطـرابات يسفر عنها شقاء يمنى به الفقراء ، في الدرجة الاولى • لقد انقذ (المدينة) في عهد الاتراك مرتين : كان المتصرف (المحافظ) في احداهما مهددا بأئتمار الوجهاء جميعا ، لذلك اغرى ابراهيم اغا على القدوم وانقاذه ، وفي المرة الاخرى كانت القبائل تستعد لاكتـاح المدينة ، وذلك قبيل قدومي ، فعمـد الى ابعادها عنها بطرائق شتى ، والى وضع حراس على مخازن الغلال لئلا ينهب ما فيها • وفي كرّة اخرى ، حين نجمت الاضطرابات في ايلول

---

(١٤) هو ابو بكر افندي ابن الحاج عمر المشهور بـ (كجك ملا افندي) اشتغل بالتدريس في الجامع الكبير في اربيل طوال حياته •
(المترجم)

سنة ١٩٢٠[١٥] مد قبل كل احد من ابناء المدينة يد العون الي لامضي بها وسط ذلكم الاعصار المدمر . لقد عقدت الآمال العريضة عليه في جميع الظروف فلم الق منه ختلا او خداعا . كان ولاؤه لي في غير لبس ولا مداورة ، صادقا . وليس من شك لدي في انه لو نجم ظرف ما ، فانه يجود بحياته في سبيلي .

وما ان تغديت في نحو الساعة الثالثة من بعد الظهر الا اتخذت سبيلي الى المعسكر التركي الواقع الى الغرب من المدينةلاقدم فروض التبجيل للآمر التركي . انه رجل صغير الجرم مضحك ، ومن اهل القفقاز ، يتكلم تركية غير مفهومة في تشنجات وتقبضات ، وفي الاقل ، لم يظهر انه قد سر من رؤيتي ابدا . ومهما يكن من أمر ، لقد أصدر اوامره السريعة ، على صيحات ، الى (مراسله) فمثلت القهوة والدخينات . وكان ان سلمته (المذكرة) التي اعطيت لي . ولما كان (الآمر) هذا يعرف الفرنسية لذلك استطاع ان يقرأ فيها كلمة هنا وكلمة هاهنا ، وتظاهر انه فهم كل ما ورد فيها . ووافق على ان يرحل عند الصبح من اليوم التالي ، لكنه اقترح ان يبقى مرضاه في اربيل . لكنني اصررت على ان يترك لهم طبيبا ، فرفض ذلك . واخيرا وعد بان يصطحب مرضاه ،لكننا وجدناهم اثر مغادرته موزعين على بيوت المدينة كلها . وصحبت ضابطا تركيا واتخذت السبيل لتسلم مخازن الحبوب والمستودعات . وشغلت في هذا امدا طويلا ، وذلك ان قدرا كبيرا من الحنطة والشعير كان موجودا في الاولى . وفي ضريح كائن في احدى المقابر وجدت ٥٠٠ قنبرة وزيادة ، من انواع شتى . ثم تعشيت ونمت في مضافة احمد افندي[١٦] وفتحت أبواب السماء بماء منهمر ، واستمر

---

(١٥) يريد ثورة العراق الاولى سنة ١٩٢٠ .

(المترجم)

(١٦) هو السيد احمد عثمان (رحمه الله) تولى رئاسة بلدية اربيل بين سنتي ١٩١٨ — ١٩٢١ فقام بتسوية الازقة في محلاتها ، ومن ثم اصبح متصرفا (محافظ) للواء اربيل فعينافي أيام الحكم الملكي الدابر في العراق . (المترجم)

الودق طوال الليل ، لذلك اخذ المطر يتسرب مـــن فرش السقف المسطح بالطين وكـــأنه ســـيل العرم .

وغدا المكان كله ، في اليوم التالي ، في بحر لجّي ، وحسبت ان من واجب اللياقة ان امتطي صهوة جوادي واتخذ سبيلي لموادعـــــة الآمر التركي ، لكنه على ما يظهر ، ظن اني جئت اليه لاضحك مـــن رحيله ، في مثل هذه الظروف ، على غير وجه مشرف . وكانت البلـــدة تعجّ بالموظفين الاتراك ، وكثير منهم هارب اليها من كركوك ، وغيرها من الامكنة ، شأنهم كشأن الدرك والجنود المسرحين .

وكان الجهاز التركي القديم على العمل في (السراي) دائبا، ورأيت من الافضل ترك الامور على ما هي عليه حتى قدوم النقيب موري . لقد نظرت في الامور المستعجلة حسب ، وفي البرقيات العديدة التـــي وردتنى . وزارني جميع الوجهاء فيما بعـــد الظهـــر . وتحدثت معهم بأسهاب ، لكـــن ما لديهم مما يحســـن التحدث فيه كان نزرا قليلا . ووصل (النقيب موري) يوم الـ ١٣ فسلمته مقاليد الامور ، وفصلت مرة اخرى الى (التون كوبري) ، ولم يصحبني في رحيلي هـــــذا الا دركيان ، وخادمي على بغل ومعه فراشي .

وكان علي ان اعرج من طريق (ديبكة) في (كاني داوة) ، ذلك اني كنت قد وعدت بزيارة موضع عسكري صغير كان قد اوفد افراده اليه ودهمتني ، على بعد ميل او ميلين من (كول تبة) عاصفة مرعدة ، ولاح برق خاطف ودوى رعدقاصف، وابتلت ملابسي حتى بلغ الماء جلدي، وعلى كره مني كان علي ان الجأ الى (محمود بابا) كرّة أخرى . لقد رحب بي هذا ، وقادني الى مضافته ، حيث اقام كومة من الشوك والعاقـــول واورى نارا ، كان لها وهج لاهث عظيم . وغيرت ملابسي ، ولما كـــان الوقت متأخرا لذلك قررت المبيت فيها . وبحثت مع الاكراد فـــي كثير من القضايا ذوات الخطر ، وعلى الخصوص سألت عن غلال الحكومة التي نهبتها الـ (دزه‌يي) من بعض المخازن المحلية . واتذكر اني سألت (محمود اغا) سؤالا ، اجاب عنه ، اثر تسبيحات طوال بالعربية ، وكان

جوابه لا يعدو كذبة شنيعة . واثر عشاء هيّن يأتلف من الـ (برغـل) والخضروات جاء على صهوة جواد « سيد » هرم يدعى (شيخ رضا) او على الشائع (شيخي شيط) او (الشيخ المخبول) . انه رجل دعاب مراح وذو فطنة كبيرة . ولعل هذا هو السبب في حسبانه ، من قبل الاكراد ، مخبولا . وتحدث معي حديثا مطوالا ودأب على اعتـدادي فيما بعد ، صديقه الحميم ، والى الحد الذي اخذ يستشيرلي فيه عـن مشاكله الزوجية . كان يقيم صلاته جهارا ، ويقطعها للاشتراك فـي الحديث دوما ، لقد كاد ، ومحمود آغا ، يصيّرانى ، مخبولا لولا بقية من رشد وفضلة من اناة ، اذ دأبا على الحوار بصوت عال وبعد مـدة طويلة من اخلادي الى النوم ، وما ان فرغا منه الا دأب الشيخ العجوز على السعال والبصاق طوال الليلة .

ولما لاحت تباشير الصبح مـن اليوم التالي مررت في طريقي بقرية (قورشاقلو) العائدة الى (احمد باشا) ، وكان هذا عنها غائبا اذ ذهب الى مأتم في ارض خوشناو . وكان علي ان اسأل عن الطريق هاهنا ، وقد عجبت كثيرا حين لم يقدم لي احد حتى شربة ماء — وهذا امـر غير معتاد في قرية كردية الى ابعد مدى . وبينما كنت اقطع سهل اربيل سمعت دوي اطلاقات نارية تتناهى مـن جميع الجهات . لعل الاكـراد يتلهون بذلك اذ انهم اشد الناس حبا لتبديد الاطلاقـات عندما تكون وفيرة عندهم . وما ان بلغت (ديبكة)[17] الا وجـدت (ان النقيب ماريوت) ومفرزته مستقرين براحة ودعة . وتناولت طعامي مع رسول اغا ، وهو اقل الرؤساء الـ (دزه‌يى) الاربعة خطرا . لقد اسـبغ علي هذا الرجل من سماحته شيئا كبيرا . انه رجل ضخم الجثة ، كبير الجرم ، ذو أخلاق تعدم الحصافة ، صخّابة ، لكنه متعلم جيدا نسبيا .

وفي اليوم التالي عـدت الى متري .

---

(١٧) هي على الجبال المعروفة باسم (ديبكة) والمشهورة بكثرة الآبـار النفطيـة .

(المترجم)

وشغلت ، خلال الشهر التالي ، بتصريف الامور الرتيبة في التون كوبري وفي الطواف على المنطقه • وفي اليوم الـ ١٨ من الشهر ، وفي قرية خارج البليدة تماما ، لقيت محمود اغا احد رؤوساء قبيلة (شيخ بيزيني) القاطنة في منطقة كوي والتي لا تزال تحت ادارة حاكم تركي • ولما كان هذا قد ابدى رغبة في ان يستظل بظل الحكم البريطاني فلقد كتبت الى بغداد راجيا السماح لي بزيارة القرية ، فتلقيت جوابا يؤذن لي فيه بذلك ، وفيه سئلت ان كنت راغبا في الذهاب ، في الوقت المناسب ، وتسلم (كويسنجق) • وكان ان اجبت توا : اجل •

وفي اليوم الـ ٢٥ طوفت على الضفة اليمنى من الزاب الاصغر حتى (سارتيك) وهي قرية محمود آغا ، الذي سلف القول عليه • انه شيخ عركته الايام ، ذو ميعة ، قصير القامة جدا ، لكنه يملك ارادة مصممة عظيمة ، وحذاقة وتبصرا • وعلى الرغم من انه ليس على خط كبير من الارتياب ، لكنه قدرة في باب الفضيلة ان قورن باغوات قبيلته الاخرين وهم مجموعة من اشد من لقيت خبثا مذبذبين لا الى هؤلاء ولا الى اولئك • ولقد غدا لي هذا الرجل صديقا عظيما •

وما ان انقضى نصل الصبح في اليوم التالي الا عبرت النهر في (معبر) محمود اغا الخاص • انه من طراز جارية (هيث روبنصن) مصنوع من عدد كبير من الواح صغيرة مثبتة بدسر عظيمة ، وتجريه مجاذيف من خشب غير مصقول ، لها ما يشبه (الشوكة) الطبيعية قرب المقبض وهي عاملة بازاء وتد • لقد كانت قعقعته مروعة • وبقوة شد عظيمة بلغنا الضفة الاخرى سالمين • ومنها ، بوساطة مرقاة مائلة ، بلغنا قمة تلال (شوان) ومنها يستطيع المرء ان يتملى منظرا رائعا • لقد كان يطيف بها « بحر » من التلال الجرد الموحشة ، وهي عند الشرق ، حيث الحدود ، وكان تحتنا الزاب يتمعج بمائه الازرق تمعج الحية في عقيقة من الحصى البيض ، وعرضه نحو ميل ، تزينه هنا وهاهنا ، احراج من الحور الاخضر • واثر رحلة ممتعة استغرقت ساعات مديدة وتخللت ارض تقوم فيها اشجار التين والحور الرجراج وال (جنار) ، وقد اخذت الارض زخرفها وازينت بحلمة

خريف لاحبة ، بلغنا (ريدار) مقر ناحية شوان . وهنا مرّ على زمن عسر اذ حاولت ان اطبّق « مبادىء الرئيس ويلسون الـ ١٤ » المنصبة على مبدأ (تقرير المصير) بالنسبة الى قبيلتين كرديتين غير متعلمتين . لان لكل منهما ، في الاقل ، اربعة مرشحين للرئاسة ، وما كان احد منهم ليحظى بحماس قومه . ان الشيء الوحيد الذي يفهمه الكردي من (تقرير المصير) هو قيام حالة يستطيع فيها كل فرد ان يقوم بما يحلو له ، وبعبارة اخرى : الحال الفوضى . وفي احدى القرى ذهبت الى حد اجراء انتخاب ، فاصاب نجحا كبيرا .

وفي الـ ٢٨ من تشرين الثاني عدت الى (التون كوبرى) وشرعت باعطاء القوم قروضا زراعية . اذ ما ان صادر الاتراك الغلال كلها تقريبا ، وحيوانات الفدان ايضا ، الا غدا اسداء العون الى المزارع ، بغية البدء مجددا ، امرا ضروريا لازما . وكان قد سمح لي باعطاء سلفات عظيمة بشروط هينة يسيرة ، فارسلت اعلانات الى ارجاء المنطقة كلها اهيب فيها بالناس ان يقدموا بغية اخذ مبالغها . واخذ المطر يتساقط ، وله وسوسة ، وطما ماء النهر وربا ، وكان لزاما كسر الجسر الطائر الذي اقامته الجهة العسكرية عليه ، وحاولت ان اشق عباب مائه شقا واعبره بسفينتي العتيقة السمجة ، لكن ماء النهر جرفها الى اميال نزلا ، واستغرق سحبها صعدا اربع ساعات مددا . واضطررت على الجلوس في التون كوبرى ، ومعي نقودي ، ارقب مئات من المزارعين الجياع على الضفة الاخرى ينتظرون ، من دون جدوى ، فرصة تسنح لهم ليقدموا عبر النهر .

وفي الوقت نفسه انهالت من كويسنجق برقيات مستعجلة يطلب فيها انفاذ (حاكم سياسي) . كان الحاكم التركي مريضا ، وما كان مالكا ، على كل حال ، سلطة ما . وكانت الحالة تزداد كل يوم اضطرابا واختلالا . وتلقيت اوامري من بغداد تطلب ان اشخص الى هناك باسرع ما استطيع ، لكنني تأخرت بغية اكمال اصدار القروض الزراعية ثم أرحل . واخيرا وردت يوم الـ ١٢ من كانون الاول برقية من(كوي)

تقول ان قبيلة (بيران) قد هاجمت المدينة وانها تقوم بالسلب والنهب
فيها ، لذلك ابرقت الى بغداد اقترح على من فيها ان اذهب اليها حالا.
وعند الساعة الواحدة صباحا تلقيت رسالة على الخط المفتوح تمنحني
الاذن بالذهاب وتنيط بي السلطات الموجزة لاعالج الاضطرابات
الناجمة • وكان ان اهرعت الى جمع وسائط النقل وخرجت في الساعة
العاشرة صباحا من يوم الـ ١٣ من الشهر •

الفصل الثامن
كوي و رانية[1]

ادى السفر بنا ، راكبين ليوم واحد ، الى (سارتيك) قرية (محمود اغا)[2] ، وهو الذي وعد بان يعد لي حارسا خلال سفري

(1) يفصل قضاء (كوي) كويسنجق عن قضاء رانية جبل (هيبة سلطان وارتفاعه ٢٨٠٠ قدم عن سطح البحر ، وهو سلسلة تمتد من الحدود الايرانية حتى ماردين في تركية .ورانيةبليدة تقع على تل اصطناعي شطرا وعلى ارض مستوية جدد شطرا آخر . وكان ثمة طريق قوافل يصل كوي برانية وقلعة ديزه وساردشت في فارس . (المترجم)

(2) لا معدى عن اغناء معلومات القارىء عن الاغوات وحالهم على ماكانت عليه ابان تاليف الكتاب، فنقول : الـ (اغا) لقب تركي النجار ويوضع بعد اسم ليدل على ابن اسرة من الاسر القبلية الحاكمة . والظاهر ان هذا اللقب حديث . ذلك انه لم يرد في (الشرفنامة : ١٥٩٦م) اذ يشيع فيها لقبا (بك) و (خان) . ولعل لقب (اغا) انتشر تدريجيا في كردستان الجنوبية بعد فتح بغداد على يد السلطان مراد الرابع (١٦٣٧) . وكان الاغوات وهي ضرب من كبار المقطعين لايعملون بايديهم ويعيشون على مايبتزوه من اتباعهم: يفرضونعليهم ما يسمى (الغالبي)وهذه تشملالـ(الزكاة) اي عشر الحاصلات الشتوية من الشعير والحنطة ، وبدعم هذه ما يسمى (ميرهين) وهو راس واحد من كل ٥٠ راسا من الظان ، او قيمة الراس نقدا ، ثم (بيوشاني) وهذه ضريبة على الرعي ، ثم نسبة غير معينة ، تختلف طبق الظروف ، من كل نوع من انواع المنتوجات الزراعية ، مثل الـ (روناني) اي ضريبة الدهن و (هيلكاني) ضريبة البيض ... ينضاف الى ذلك كله منحة تقدم الى مضافة الاغا لاستظافة المسافرين الذين يحلون في القرية ويشترك في الجلوس الى المائدة من يكون من القرويين حاضرا . كما ان الاغوات كانوا يفرضون غرامة على من يسيء التصرف من اتباعهم ، ويستوفون ما يشبه الرسم من المتزوجين ، وكذلك ما يجب ان يدفعه ابناء قبيلتهم ان حدث زواج في اسرة الاغا سدا لنفقاته او نفقات احتفالات آخر . راجع :

EDMONDS : KURDS, TURKS AND ARABS PP . 223 , 224 .

(المترجم)

الى (كوي) • وما ان اسفر صبح اليوم التـالي الا حضرت عصبـة تتألف مـن نحو ١٥ مـن رجال مدججين بالسلاح ، سفاكة فتاكة يقودها شاطر مراح ذو لحية سوداء يدعى : عباس اغا • وامر محمود اغا ان يصحبني شخصيا • والى ابناء القبائل المذكورين كان لـدى ٨ من الدرك يرتدون بزة من السترات والسراويل الزرق الفاتحة . وتابعي الامين ، جعفر خان ، وهو (لري) يلبس قبعة عالية ، من ديار بشـت ـ ي ـ كوه • وكان هذا رجلا متين البناء طوله ٦ اقدام وله شـعر كثيف مجعّد • انه رفيق وتابع في ديار غريبة بالنسبة لي وله •

وفصلنا من (سارتيك) والطقس عابس ، وبعد ان حاذينا في سيرنا الزاب الاصغر ، لاميال قليلة ، و لجنا تلالا خفيضة من حجر الرمـــل الاحمر ، وتلك خصيصة منطقة كوي • ودأبنا على السير لمـــدة خمس ساعات ، وكان مسارنا يكاد يكون غير ظاهر ، ذلك ان الامطار الشديدة قد جرفته • كان امتا وعوجا ، وعوجا وامتا ، وعلى نتوءات متخامة حسر ، لا تزينها الا في الفينة والفينة « جمات » من عشب يابس طويل وتتخللها مجاري ماء منحدر يتعالى فيها الدفلى واعواد باهتـة من القصب السامقة • ان القرى القليلة في مثل هذه البقعة القفر لتختفي بين ثنايا التلال بعيدا ، ولا ترهص ، بوجودها ، الى المار الا عن سـبيل شـجرة توت على انفـراد •

وكان ان وقفت (رفقتي) ، عند الظهر لاداء الصلاة ، فاقيمتقرب سافية في قرشب • وفي نحو السـاعة الثالثـة من بعـد الظهر خرجنا من التلال الى سـهل صغير متموج ، وسرعـان ما وصلنا قرية (ايلانجاق) حيث عقدنا العزم على المبيت فيها • ولما كانت هـذه القرية لا يسكنها الا مزارعون ، وليس فيها مضافة ، تستأهل اسمها ، لذلك كان لزاما علي ان اعد لي في بيت احد الناس مكنا وطعامـا • وتسلمت ، ونحن على الطريق رسالة من (حمه اغا) ، من كويسنجق • فحررت له جوابا اخاطبه فيه بعنوان (حاكم المدينة) واعلن قـدومي (والصبح يتنفس) من اليوم التالي •

وقبل الوصول الى (كوي) من الضروري تبيان شؤونها الراهنة

على وجه الايجاز • لقد شقت المدينة ، عبر قرون ، عصبتان متعاديتــان متنافســتان هنا : (اسرة غفوري) و (اسرة حويزي) • انهما اسرتان كرديتان تمتلكان اغلب القرى المحيطة بالبليدة •

وفي الوقت الذي انا بصدده كان مقدم اسرة غفوري هو (حمه اغـا) الذي سلف القول عليه • قيل لي ان الله مد في عمره حتــى خنق الـ ١٣٠ سنة ، لكنه لا يزال ممتلكا قواه العقلية على وجــه التمام • ولما كانت جماعته اكثر نفيرا ، ولما كانت تقواه[٣] وسنه قــد اكسبتاه احتراما كبيرا عند الطرفين ، لذلك اقترح المقدم نويــل ان اختاره حاكما •



حمــه آغــا

ان رأس اسرة (حويزي)، على ضعفها بالنسبة لمنافسيها ، ليفخر برجال كثر اكفاء ، ومنهم (عبدالله اغا) نفســه • كان الترك يؤثرونه وكــــان له نفوذ طاغ في المدينة لسنوات • وما ان دالت دولة الاتراك في اعقاب

(٣) التقوى = الخلق الثابت •

(المترجم)

(الهدنة) الا قرر (آل غفوري) اثبـات وجودهم ، واهتبل بعضهم وليس من هذا البعض حمه اغا ، الفرصة فشجعوا (ساوار اغا) ، رئيس قبيلة بيران لاقتراف سلسلة من جرائم سلب استهدفت ممتلكـات عبدالله اغا ، واخيرا مهاجمة كويسنجق نفسها ، حين استطاعت عصبة من احاد قبيلة بلباس تطويق بيت عبدالله اغا وجرح احد ابنـائه جرحا بليغا • ونهض (حمه اغا) من فراش المرض ومرق تحت جناح الظلام وهدأ الهياج •

لقد وقعت هذه الواقعة قبل يومين اثنين فقط من مغادرتي التون كوبري • وكان يوم الـ ١٥ من الشهر الجاري يوما قرا تتلاعب فيه الريح الخلوج ، وكان علينا قطع نحو ١٤ ميلا في ارض متموجة قفر ، تتخللها شعاب عميقة حمر ، قبل بلوغ غايتنا • وعلى مسافة ساعـة من المدينة لمحت نحو ٥٠ خيالا ينتظرون مقدمي فوق قمة رابية انه الـ (استقبال) او الجماعة التي جاءت لترحب بي ، وبضمنها ذو الوجـه الاخضر : عبدالله اغا وهو يرتدي الملابس الاوربية ، والهرم عبداللـه اغـا بملابسه الانيسة الحلوة ولحيته التي هي في بياض الثـلج ، وصدره العريض المشعر ، وهو عار حتى في مثل هذا الطقس العاصف القار • وكان هناك غيرهم كثيرون ، ولم يكن احد منهم على حظ من نفاذ الشخصية ، باديء الرأي ، وتراءى لي ان سحناتهم قد استحال لونها الى اخضر من شنآن الثأر وهو ما يعنون به في هذه الحياة حمراء • وكان اول من رحب بي هو : عبدالله اغا ، لكنني سألت عن (حمه اغا) حالا ، وسرت بجنبه راكبا ، وهذا ما اغضب الاول كثيرا ودأب على محاولة اشغال الجهة الثانية مني • لقد كان الطقس قرا يتعذر فيه اي حو ، وسرنا صامتين نجوس خلال المقابر والاخـربة حتى دخلنا المدينة • وعند مشـارفها حيتني الطائفة النصـرانية ، وفي مقدمتهـا قسيسها مرتديا طيلسانه الاسود ، وهي تطفح حبورا من فكرة تراودها وم ـ لها انني قدمت مدينتها لانقاذها من الاضطهاد الذي استطـال قرونا • ان قدومي في يوم ذي طقس سيء كان فألا حسنا ، ذلك ان من

هدم . وقد فتحت ابواب السماء بماء منهمر ليجلب معه الخير والفلاح .

وأخذ بيدي اولا الى الـ (سراي : دار الحكومة) حيث اعدت غرفة فيه لاستقبالي . لقد اجتمع فيها وجوه المدينة جميعا شأنهم كشأن (ملاليها) ، وبعد ان قدمت القهوة والشاي القى المفتي (محمد ملا افندي) وهو شخصية دينية خطابا ترحيبيا طويلا، بلغة فارسية مداهنة، فاجبت عنه على احسن وجه استطيعه .

خليق بنا ان نصف ، ها هنا ، ذوى اليسار والاعتبار الذين شاركوا في الاستقبال . ويأتي في المقدمة منهم : حمه اغا . لقد جلس هذا الرجل هادئا صامتا ، فيما خلا النخير الذى كان يسمع منه بين الفينة والفينة . انه يمثل الابوة الحانية ، ويدأب على تدخين غليون طوله قدمان وزيادة ، وذي ساق محززة وقارورة مصنوعة من حجر اسود . كان ربعة ، عريض المنكبين ، على صورة خارقة . واذا ما اخذنا بنظر الاعتبار سنه ، وقوته البدنية ، فان الرجل لرائع ذو فوق. ويقال انه لم يستعمل ، طوال عمره المديد ، وحتى في اشد حالات الطقس برودة ، الماء الحار في استحمامه او وضوئه اليومي . ان عمره الحق يتراوح بين ٩٥ و ١٠٠ سنة . وقد دأب على رئاسة اسرته لمدة ٦٠ سنة وزيادة ، وكان مسلكه في حياته عاصفا . انه ليتذكر الصراع الذي نجم ، وهو في حداثته ، بين بواشية (باشوات) رواندوز والسليمانية ، وهم الذين تناوبوا على اخضاع (كوي) . وفي آنفة شبابه حارب الترك ، واثر سفك دماء غزيرة القي القبض عليه واودع السجن فلبث فيه ١٥ سنة :

(قالوا : حبست ، فقلت : ليس بضائري
ابدا واي مهند لم يغمد)

وفي اثناء ذلكم الصراع قطعت اذنه او كادت ، وكان ان التأم جرحها ، لكن قيحا دأب على الخروج منها ، وكان لاينفك عن ازالته. وحدثت بينه وبين القبائل المحيطة بـ (كوي) اصطدامات عديدة . وما

ان هاجمت الـ (هماوند) [٤] بعض قراه الا استدعى قبيلة (شـيخ بيزيني) الى معاونته في طردها • وما ان اصاب في هذا نجحا ، الا كان عليه ان يطرد (شيخ بيزيني) ويعيدها الى مواطنهاء انه يملك نحو ٥٥ قرية كائنة في المنطقة المحيطة بـ (كوي) والحيلولة دون اعتداء القبائل عليها هي الاساس في سياسته • لقد كان يطبق عليه ، دوما ، يأس لا يريم ، ويراوده شبح امل لاينال . ذلك ان اولاده ماتوا وهم اطفال ، فليس له من خلف • واخيرا ••• وعندما بلغ التسعين من عمره جاءه احد (الملالي) يخبره بأن الله (تعالى : المترجم) سينعم عليه بولد آخر :

(لا يغلقـــن الله بـــاب رجـــائه
كم من دعاء في الســماء مجاب !)

وان عليه ان يسميه : (محمد زياد) • كان من اللازم فصل الوليد عن امه حال اكتحاله بنور هذه الدنيا ،وان لا يعيش في(كوي) ابدا • ومرت هذه المعجزة في زمنها المقدر ، وعندما وصلت (كوي) كان محمد زياد الصغير ، وعمره نحو ٨ سنوات ، يعيش في قرية تبعد بمسافـة ساعات منها • ان حمه اغا لشيخ انيس ودود ، وتعتريه جل هنـات عمره المتقدم • انه يتـوق دوما ، وعنـدما يستثار خصيصا الى قص القصص عن ايامه الطيبة الاولى ، والا فانه يغرق في لجة النوم ابـان الحديث • وتعلو ثغره ابتسامة لطيفة ، وهو روح السماحة وريحانها ، ذلك ان قد سار ذكره في الناس باعتداده الشيخ الهـرم الوحـيد في كردستان الذي لا يوصم بأنه قتور بخيل • انـه على طهارة قلبـه

---

(٤) عرفت الـ (هماوند) بانها اشد القبائل الكردية الجنوبية ، فـي القتال ، بلاءا . ودابت على دعم الامراء البابانيين في السليمانيـة بازاء الاتراك . وكان ان عمدت السلطة العثمانية الى نفي فريـق منها الى طرابلس الغرب والى اطنه وعادت نسوتها واطفـالها الى بازيان سنة ١٨٩٦ أي بعد ٧ سنوات . واساطير الهماوند تذكـر مغامراتهم في بني غازي (طرابلس الغرب) ويلحظ ان كثـيرا من الاسماء الكردية ، ومنها (هماوند) تنتهي بـ (وند) وهي لاحقة تعني في الكردية (فرع) او الـ (منحدر من) وما قبلها يعني اسم السلف .
(المترجم)

وجميل ظاهره ، فطريا ، وذو عناد ما بعده من عناد • انه طاغية بازاء ذوي قرباه، ضيّق الحوصلة (٥) دغل الضمير ولا يسامح احدا من اعدائه ، وهو لذلك يثير حزازات تافهة مرت عليها سنون • ان الحب والبغض الشخصيين لهما تأثير كبير في تصرفه •

ومما يدعو الى الاسى ان ننتقل من حديث الشيخ الحبيب (حمه اغا) الى حديث زعيم اسرة (حويزي) : عبدالله اغا • ان هذا لرجل نحيل الجسم ذو احديداب في نحو الـ ٦٥ من عمره ، وله وجه شاحب خطت عليه تلكم السنين آثارها ، وحاجباه كثيفا الشعر صبغا بلون اسود مائل الى الزرقة ، وله مظهر ثائر دوما ، لا سيما عندما يكون مرتديا الملابس الاوربية • انه حاذق في التآمر • وعند وصولي كان لايزال يشغل منصب (رئيس البلدية) في المدينة لكن اغلب اهلها كان يجتويه • كان ذوو قرباه لا يكلفون به ، لكنهم كانوا معجبين بقابلياته العقلية ، وهذه كانت اعظم ما عند حمه اغا بكثير •

أن ابرز اقربائه هو ابن عمه : جميل اغا ، وهو رجل رائع حقا • ان اباه ، عندما اتاه اليقين ، عهد به ، باعتداده ولدا ، الى حمه اغا ، وكان ان تزوج جميل اغا ، بعدئذ ، من ابنة عمه ، لذلك كان على صلة وثقى بالبيتين المتنافسين ، ومقامه بينهما مقام من يسعى الى التوفيق دوما • وباعتداده كرديا هو من اشد من عرفت امانة وصدقا • انه عنوان التقوى ، لكنه ، على أي حال لم يكن متعصّبا ، وقد عرفه الناس لليهود حاميا ، وهم يسكنون في محلته،وشأن اليهود في ذلك ، كشأن النصارى ، ومن هؤلاء من يعمل في اراضيه مزارعا • وشغل في اول شبابه منصب (رئيس بلدية البليدة) ودأب على ذلك اربع سنوات مددا • انه الشخص الوحيد الذى اشغل ذلكم المنصب لصالح ابناء بليدته حصرا ، وليس لمصالحه الشخصية ابدا • هو طويل القامة

---

(٥) (ضيق الحوصلة) تعبير لايزال مستفيضا فى لغة العامة عندنا وهو من العامي الفصيح •

(المترجم)

منتصبها ، وله جبين سني ، لكن وجهه ، مع ذلك ، نحيل نوعما ، وانه ليجنح في ايام الهزاهز الى التضحية بما يعتقد به في سبيل استتباب الهدوء والسكينة . وله اثنان من الاخوة همـــا : (جلال) و (جليل) وكلاهما شاطران .

ويكثر في (كوي) عموما الـ (ملالي) المعتمون بالعمائم البيض، ويأتي في المقدمة منهم : ملا محمد افندي ، الذي اطلقنا عليه اسـم (المطران) (كذا ! : المترجم) ، انه رجل فيمنتصف العمر طويل القامة وعلى حظ كبير من العلم والمعرفة . هو ذو موهبة خارقة في الاكثار من الكلام ، فحيثما يكون تجده يحتكر الحديث ، ومن حسن الحظ انه موهوب بفطنة عريضة تصيّره اشد الناس ايناسا . انه ليفخر دومـا بأنه اعلم العلماء في كردستان طرا ، وتلك هنة من هنات طبقته . وكان ان غدا (حاكم الشرع) في (كوي) تحت ظل ادارتنا . وعلى الرغم من ان علمه فوق الشبهات الا ان سداد حكمه كان يكتنفه التساؤل غالبا ذلك انه روحاني دنيوي ، شغوف بالمجتمع وحطام الدنيا .

وما ان انتهت «الرسوم : الرسميات» في الـ (سراي) الا اتخذت سبيلي الى بيت اعده (حمه اغا) لي . وصحبني الرجل الهرم وحاول ان يكلمني بمزيج عجاب من الفارسية والتركية . وكان صوته غليظا، ويتعسر فهم كلماته . وعندما استطعت الاجابة لم يكن قادرا علـى فهم ما اقول الا على الندرة ومرد ذلك انه مصاب بالصم . واثـر تقديم غداء فاخر انسحب (حمه اغا) وامضيت ما بعد الظهر في مقابلة ذوي الصدارة من القوم . وكانت امامي مشكلات جمة ، وأهمهـا مصالحة (آل غفوري) و (آل حويزي) ، وترتيب امر الحكم في المدينة على وجه ملائم للطرفين ، ثم استيفاء التعويض من (ساوار اغا البيراني) عن الاضرار التي الحقها بـ (عبدالله اغا) . وكنت قد اتخذت قـرارا بان يكون (حمه اغا) على البلدة حاكما ، لذا اصبح من الضروري توزيع المناصب الثانوية بشكل يسفر عنه التوفيق بين الجماعات المتنافسة على منصبه .

واستطعت، في اليوم الثاني ، ان اقف على حال البلدة . انهـا

متراصة جدا ، تقع في فجوة ، وتعلو عن سطح الارض بنحو ١٨٠٠ من الاقـدام . وتطبق عليها تلال كائنة على الجهتين الشرقية والشمالية ، علوها ٣٠٠٠ من الاقدام وزيادة . والسهل الصغير الـذي تقع فيه يطبق عليه ، من الجهات الاخرى ، ارض من الصخر الرمل ذات شعاب، سبق لي ان وصفتها . لقد انقضت الحرب والمخمصة ونفوس البليدة من ١٠٠٠٠ الى ٤٠٠٠ نسمة . هذا وان نصف بيوتها خالية خاوية ، خربة مهدومة ،واهلها على حال فظيعة من الفاقة الفاغرة . ان الاسعار، وكانت قد ارتفعت على وجه غير معتاد ، هبطت بنسبة ٥٠ بالمئة وكان ذلك في غضون ايام قليلة من وصولي .. وبغية التخفيف من حـدة الشقاء الضارب اطنابه في البليدة تأسس دار لذوي المتربة ، حل فيه نحو ٣٠٠٠ من النزلاء ، جلهم من اليتامى . وازقة البليدة ضيقة ، وهي تأتلف من مسارين عاليين بينهما ممر عميق وسيع بدرجة كافية لسلوك حيوان من حيوانات الحمل .

وتقوم على رابية كبيرة كائنة على الجهة الغربية من البليـدة : الثكنة التركية القديمة ،ومن سطحها الذي يحلق على ما حولها ويشرف استطعت ان اتملّى المنظر ، فالريف مروي ، والبليدة بجوامعهـا وشـجرها واقعـة تحتـي ، وهـي غبـراء لا رواء فيهـا عموما ، وخلفهـا تلال سمراء لفـت شَعَفهـا [٦] ضلل مـن رباب [٧] مثقل بماء السماء . كنت ، ساعتذاك ، في اغوار التأمل منسابا بسلسال الظروف العجاب التي جاءت بي الى هذه البقعة القصيّـة ورمتني في لجة مشاحنات عائلية ، استطالت قرنا .

وفي الامسية نفسها ، وعلى حين كنت في السراي جاء رسـول وصل لتوه ، وقال : ان ضابطا ومفرزة من الجند علـى وشـك ان

(٦) شعف الجبل او التل = راسـه .
(٧) الرباب : السحاب يركب بعضه بعضا .

يدخلوا المدينة لاعداد مقام لـ (شيخ عصمان) المعيّن من قبل الشيخ محمود قائمقاما على كوي • وقبل اسابيع قليلة من هذا كان (المقدم نويل) قد زار السليمانية ، وتم تعيين (الشيخ محمود) حكمدارا على كردستان [٨] •

وضمت كويسنجق الى ولايته ، لكنني كنت قد علمت من المقدم نويل ان من شأني ان اعين رجلا بلديا لهذا المنصب ، وعلى ذلك غدوت طائر اللعب منزق النفس الى حد ما ، مما اعلن وجرى ، سيما واني كنت قد اعطيت المنصب هذا الى (حمه اغا) • ينضاف الى ذلك اني جوبهت بعسر اكثر من هذا ، اذ على الرغم من ان خط البرق كان عاملا الا ان البرقيين كانوا من اهل البلاد لذا

(٨) الشيخ محمود الحفيد رئيس اسرة السادة البرزنجية في كردستان . وقد نصب (حكمدارا ــ حاكما) في السليمانية واعلم اية طائفة كردية او قبيلة كردية قاطنة بين نهر سيروان (ديالى الشمالي) وبين الزاب الاعظم ان اطمأنت الي زعامته سمح لها بذلك . وكان ان اصبحت ولايته تشمل محافظة السليمانية مضافا اليه مناطق مجاورة في محافظة كركوك . وعين له حاكم سياسي بريطاني ليكون مستشارا له ، كما عين مساعدو حكام سياسيين في كل من اقضية جمجمال وحلبجة ورانية . وتألفت قوة من (مجندي السليمانية) بامرة شقيق الشيخ محمود (الشيخ قادر) . وسرعان ماسيطر الشيخ محمود على السليمانية و (الخزانة) وسجن جميع الموظفين البريطانيين الموجودين ورفع علما فيه (هلال احمر على قاعدة خضراء) . وكان ان غادر الحاكم السياسي (سون) الى كركوك ، وانسحب مساعد الحاكم السياسي في حلبجة الى خانقين . وكان رد فعل البريطانيين تجريد حملة على الشيخ محمود مؤلفة من كتائب من الفرقة الـ ١٨ ومدفعية وطائرات ومهندسين .. والنتيجة معلومة لدى القارىء الكريم .

(المترجم)

فأن اية رسالة ابعث بها تصبح ، على التحقيق ، وفي غضون سويعات، امرا ذائعا شائعـــا .

ووصل (شيخ عصمان) تلكم الليلة بصحبه ابن عمه (شيخ عبدالله) وضابط تركي سابق يدعى (رشيد افندي) . وجدت انهم ارسلوا قوة تأتلف من ٤٠٠ جندي ، لكنني لم ار منها الا جزءا . لقد كانت الغاية من انفاذهم اسداء العون الي في اعادة الامن الى نصابه ، وعلى الاخص ضمان طاعة (ساوار اغا البيراني) . والشيخ عصـــمان رجل ماجـــد (جنتلمان) حق ، ذو طبع مسالم وخلق هيّن لين . انه صغير الجـــرم نحيف البنية ، لكن جسمه رائع عجاب . اذ على الرغم من قوامه فاني لم ارسل انسانا يتراءى على حال من العظمة والسمو ك (شيخ عصمان) وتمثل ذلك حين مقدمه الى السراي بعباءته المتطايرة وبين كان يصحبه من سلـــلة طويلة من الاتباع . كان امينا صادقا في جميع معاملاته معي، وما كان من طماحه ان يغدو حاكما (قائمقاما) على كوي ، وذلك على الرغم من أناسا كانوا يصبون الى ذلك . لقد كان الشيخ عبدالله ،هو رجل اقوى وافضل تعليما ، هو الذى حبك جميع المكائد في سبيـــل ازاحة (حمه اغا) وتنصيب احد آحاد اسرة الشيوخ في هـــذا المقام .

لقد ساعده عليها الشاطر (رشيد افندي) وهو من كان يصرف جـــل وقته في حبس اليهود والنصارى الابريا ،وابتزاز المال منهم . وما كان لدي ، اوانئذ ، اية فكرة عن الصـــلاحيات التى منحها المقـــدم نويل للشيخ محمود ورسله ، لذلك كنت في موقف حرج جدا . وكان لـــي حديث طويل مع (حمه اغا) ، ورتبت ان تكون سلطته موقوفة هـــذا الوقت . ثم انى طلبت من (شيخ عصمان) ممارسة حكم البليدة بعنوان (معتمد الشيخ محمود الخاص) ، على معنى انه جاء ليحسم امر الثـــأر الذي نجم بين آل غفوري وآل حويزي . وليرحل عندما يتم ذلك . ولم يكن احد في كوي مـــرورا من رؤية الشيوخ ، وكان ثمة ثـــأر ، استطال امده ، قائم بين حمه اغا واسرة السليمانية .




الشيوخ محمود في السليمانية سنة ١٩٢١

وفيما بعد الظهر اديت زيارة الى القائمقام التركي السابق ، وكان على فراش مرض خطير • كان رجلا صغير الجرم ، من اهل (كريت) ، وقد اشفقت عليه لتركه على حاله الواهنة بين اناس لا يقيمون للقانون وزنا • لقد سر سرورا غير مصطنع من رؤيتي وقدم لي قهوة اسطنبولية فاخرة وشربة تشبه الشاي ، لكنها معدة من (السنا المكي) اكد لي انها افضل دواء يستطب به في معالجة الزكام الذي يشكو منه• وبدأ حديثه قائلا ان لديه كثيرا من « الاعترافات » التي يروم الادلاء بها الي ، وانه يسر ان القيت السمع اليها • لقد ثبت انها قضايا أعمال ، وكيفية التصرف بالاموال التركية العامة • لقد طلب كثيرا ان تدفع له رواتبه السابقة ومخصصات السفر ومصروفات النقل لكي يبلغ موطنه البعيد ، فقمت بافضل ما في مكنتي لارضائه في هذا الباب •

ولخيرا انتهى الحديث الى موضوع بيران ، وعندها تنهد وقـال بصوت رفيع عالي النبرة : « عندما تكون الحكومة قوية يغدو هؤلاء القوم كالخراف الوديعة ، لكـن ، ما ان يعتري الحكومة وهن (وعند هذا توقف على حين غـرة وقفز في الفراش عاليا وصرخ :) فانهم ليزأرون زئير الاسد • »

وامضيت الايام القليلة التالية احاول التوفيـق بين العصبتـين المتنافستين ، على حين كان الـ (شيخ عبدالله) طوال الوقت ، يبـذل افضل مافي وسعه لعرقلة خططي • كنت ارى تعيين (حمه اغا) حاكمـا، وعبدالله اغا له ردفا • ومهما يكن من امر ، رفض حمـه اغـا قبول منافـه المجتوى ، واقترح (جميل اغا)، عنه بديلاء ووافقت على هذا ، وكنت بسبيل اصدار الامر بهذا التعيين ، حين تناهت الانباء تفيـد ان (كريم اغا) ابن اخ عبدالله اغا قد احرق احدى قرى حمه اغا ، فيها خزيـن مـن التبغ ثمين •

لقد تجلى الا سبيل الى قيام الصلح بين العصبتين ، اذ (اتسـع الخرق على الراقع) ، ما لم يضغط على الطرفين ضغطا شديدا • لذلك خطر ببالي القاء القبض على اسوأ مثيري الفتنة في الطرفين وتفيهـم الى السليمانية : وعنـد الصبح من اليوم الـ ٢٠ بلغت خطتي الى (الشيوخ) فـروا منها • لقيت المكيدة ، بطبعها ، منهم ترحابا • ذلك ان وجود رهينتين في السليمانيـة يزيد من نفوذ الشـيخ محمود في (كوي) كثيرا • لقد تعهدوا بالقيام بالقاء القبض ، وكل الـذي رجوه مني هو قدوم دارهم (والليل اذا عـسعس) ، بعد ثلاث او اربـع ساعات مـن اصفرار الاصيل • وبعد العشاء جاءت رسالة مـن الـ (شيخ عصان) ، فاتخذت سبيلي الى مسكنه ، وفيـه ابلغني الـ (شيخ عبدالله) في خفوت مهتاج ما اقروه من خطط • كنت في هـذا الامر مخادعا بشكل ما ، ذلك ان الاوامر كانت ارسلت الى ضحيتينـا تطلب اليهما القدوم لمواجهتي في بيت الـ (شيخ) ، وما ان يقدما الا يمسك بهما ويرسلا الى السليمانية في خفية خافية • وجلست القرفصاء

بجانب الـ (شيخ عصمان) ، طوال ساعتين ، والقوم في جيئة وذهوب واهتياج (فلا تسمع الا همسا) .

وكان الـ (شيخ عصمان) انيسا لطيفا جدا ، وقدم لي آلة تصوير من طراز (كوداك) اخذها من ضابط الماني كان رجاله اجهزوا عليه فيما مضى ، وبعيد الساعة التاسعة مساء جاء (الشيخ عبدالله) يعلن انه وفق الى الخلاص من (محمد امين اغا آل غفوري) ابن اخ حمه اغا الاكبر ، وهو شاب اخرق لاحظ له من تعليم كثير .

وجاء بعد قليل ضحيتنا الاخرى (كريم اغا) واتخذ مقعده . انه ابن اخ (عبدالله اغا) ويباريه شحوبا . لقد عرفته جيدا بعد هذا ، فوجدته رجلا حسن التعليم مقتدرا . وبعد ان وجهت اليه اسئلة قليلة تتصل بصحة عمه ، اومىء اليه الـ (شيخ عبدالله) بالاتجاه الى الباب حيث اعلم بان عليه ان يرحل الى السليمانية ، فغادر معجلا . وآسف لان اقول ان رجال (الشيوخ) الذين صحبوه في رحيله انتزعوا منه على الطريق ساعته وجميع ما عنده من مال . ولم يرقني الدور الذي لعبته في تلكم الامسية ، ومن المستحيل ان انقل تحريرا وصف ذلكم الجو المتوتر ، جو الهياج والكيد ، الذي استطال امده ساعتين في بيت الشيخ عصمان وطبعت صورته في ذاكرتي جليا .

ولم يعرف احد ما ان ذينك الاثنين من (الاغوات) قد ابعدا حتى اسفر الصبح من اليوم التالي ، حين زعم الناس انهما اتخذا الى كركوك سبيلا . وجاء الشيخ الهرم حمه اغا الى (دائرتي) غضبان مهتاجا و (نادي وهو مكروب) : قال « ما الذي فعلته بولدي ،وقرة عيني ، يا عذا ؟ انه الوحيد الذي بقي لي ، ومن يعني بقراي النائية ، وقد بلغت من الكبر عتيا . ما الذي فعلت به يا هـذا ؟ « اجبت : انه بسبيله الى السليمانية في زورة قصيرة تفيد صحته . » قال الشيخ الهرم : « حسنا ، انك ترى تحسين الامور بمثل هذا ، لكنك جعلتها اسوأ مما كانت عليه قبلا . لقد اشعلت الشوك تحت القدر فاصبح الماء

يغلي ويطفح منه ! » قلت له : « احسبك تعلم ان كريم اغـا قداتخـذ السبيل الى السليمانية ايضا • » ودهش (حمه اغا) من قولي هـذا ، وسمعت له نخرة قصيرة ثم علت ملامحه الطفلية ابتسامة عذبة ، اخيراء

وغيّر الوضع تماما خطف ذينك الرجلين من الاغوات ، وغدت كل واحدة من العصبتين الآن على استعداد لاتفاق ما • ونزل كل عـار يتصل بالواقعة على (الشيخين) ، وكانا غير اثيرين عنـد النـاس بعامة •وعلىذلكانعقد مجمع جميع مقدمي القوم فيما بعـد الظهر ، وكان ذلك في دائرتي والقيت فيهم خطابا ، ثم اتخذنا السبيل ، بعـده ، الى دار (حمه اغا) ، وفيها رضي الجميع بان يكون الرجل المعمـر عليهم حاكما وجميل اغا له ردفا • ووعزت لهم باعداد بيان بهـذا المآل وتوقيعه ، ليكون جاهزا لاطلاع (المقدم نويل) ، وقد وصل هـذا في اليوم التالي ، واعتمد تعيين الرجلين كليهما •

وما ان فرغت مـن قضية الحكم ، الا تركز قلقي الرئيس حـول (ساوار اغا) رئيس قبيلة بيران • كنت امضيت في (كوي) اسبوعا ، وعلى الرغم من ان (حمه اغا) اصدر ، يوم وصولي ، امرا لـه بالمجيء الا انه لم يمثل • وتقع قريته على الجهة الاخرى من جبـل (هيب السلطان) ، في سهل بيتوين ، على مسافة من كوي تقطـع باربع ساعات • وذات يوم تقرب من المدينة مسافة ميلين ، لكنـه سرعان ما ملكه الفزع فانسحب • واني لاحسب ان الشيخ عبداللـه بعث له بخبر يحذره مـن دخول البلدة ، ذلك انه في مساء اليوم الـ ٢٢ مـن الشهر جاء هذا لمقابلتي وقال ان حمه اغا ، هو الذي يقـوم بابقاء ساوار اغا بعيدا ، وانني لو كتبت له شخصيا فلن يقدم رجـلا ولن يؤخر اخرى • وقلت له اكتب انت ذلك ، وما ان انصرف الا اعلم احد اقرباء حمه اغا بما حدث ، منذرا اياه بان من الضروري ان يمثل ساوار اغا ، وذلك بموجب كلمة (الشيوخ) •

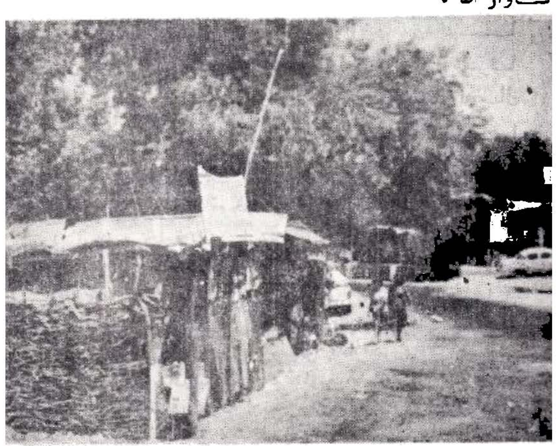
ووصل ، فيما بعد ظهر يوم الـ ٢٣ ، ابن اخ حمه اغا المدعـو (ملا احمد اغا) الى (مكتبي) وقال : « لقد جاء ساوار غا وهو في

بيت حمه اغا .» وما ان تفوه بهذه الكلمات الا كان (رشيد افندي) يندفع داخلا ، ويقول : « لقد جاء ساوار اغا وهو في بيت الشيخ عصمان .» اجبته على الفور : « انا ذاهب الى بيت حمه اغا لرؤية ساوار اغا .» واتخذت سبيلي في الجهة التي اشرت اليها ، وعندما وصلت لم يكن ساوار اغا هناك ، لقد كان في الجامع يؤدي صلاته على ما قيل ، وانه سيكون معنا بعد قليل . ولم يسبب لي الشيخان اية متاعب اخرى ابدا .

وساوار اغا ذو شخصية رائعة . هو شاب في الـ ٢٥ او الـ ٢٦ من عمره ، كان قد غدا ، قبل سنوات خلت ، واثر وفاة والده ، رئيسا على قبيلة بيران المتبدية . انه ذو بنية حصنة وذو روح مترعة لذلك يكاد يعبده اتباعه وهم الذين قادهم في حملات اغارة عديدة . ان ابتساماته من اشد ما شهدت من مثيلاتها روعة وسحرا . طوله نحو ٥ اقدام و٩ انجات وملامحه منتظمة حلوة وبشرته لعقتها الغرارة فاحترقت ، وله لحية قصيرة خفيفة . ان عينيه صغيرتان متقاربتان مشرقتان يتنابهما شيء من قسوة دوما . وبالنظر الى ملابسه السميكة المتضاعفة ، ومشد خصره المألوف ، وسراويله (شرواله) المنطادي ، وهي خصائص زعماء قبيلة (بلباس) ، يتراءى ممتلىء الجسم . انه يسير متمهلا متبخترا يهز بجسمه يمينا حين يمضي ، الى الامام ، بقدمه اليسرى ، والعكس صحيح ايضا . وهو في العادة هاش باش ، ومرح طبعا ، لكنه ينقبض حين يوبخ ويتصرف تصرف الطفل المدلل . وعلى الرغم من انه كان في ذيالك الاوان متأثرا بمشاوري السوء الا انه وافق على المصالحة مع عبدالله حالا ، وملتزما اعادة جميع الاموال التي سرقها ، ومن نكد الطالع ، ما ان كان عهد حسم الامور بين الطرفين للتوقيع معدا الا احتضر ابن عبدالله ، من جرح اصابه ابان غزوة قبيلته في اليوم الـ ٢٤ ، وكنت راغبا في مصاحبته ، لذا تقرر ان يقوم ساوار اغا بمرافقتنا على ان يعود معي بعد ذلك الى رانية لاكمال الشكليات اللازمة .

وكان المقدم نويل قد وافق ، لدى تسلمي (كوي) على ان تكون اجزاء الاقضية التركية القديمة اي (رانية) و (قلعة دزه) الواقعتين شمالي الزاب الاصغر ، ضمن ولايتي .

وكان الشيخ محمود عين احد اقربائه ، المسمى (الشيخ امين) في (المكان الاول) ، على حين نصب (بابكر اغا) زعيم قبيلة (بشدر) نفسه ، بعد الهدنة رأسا ، على (المكان الثاني) ، فاعترفت به ، اثر ذلك ، السلطات البريطانية ، كما اعترف به حكمدار السليمانية ايضا . وكان من الضروري ان ازور المكانين المذكورين شخصيا بغية دفع رواتب الموظفين الاتراك ، ممن لا حاجة لنا بهم اكثر ، وان اقوم بتعيين من تمس الضرورة الى تعيينه . وعلى ذلك فصلت ، والمقدم نويل ، عند الساعة الثانية من مساء عيد الميلاد ، ومعنا حرس مؤلف من كوكبة من فرسان الـ (بيران) ، وبضمنهم رئيس القبيلة : ساوار اغا .



منظر من كردستان : كبره على الطريق

وكان طريقنا مادا فوق سلسلة (هيبت السلطان) ، واسمها مشتق من مزار خرب صغير كائن على جانب الطريق عند مبدأ المرقاة . وسرنا مصعدين على مسار ضيق حتى بلغنا القمة حيث كان ينتظرنا مرأى مونق جميل . ان الوجه الجنوبي السلسلة ، وعليه كنا واقفين ، لعميق ، ذو غور بعيد ، منتظم ، هو اشبه بجدار اسمر مرسل، على حين تتخذ المنحدرات الشمالية ، من الجهة الاخرى ، شكل سلسلة من الوهاد والشعاب المكسوة بشجر البلوط واعشاب جافة ، وكلها كثيفة . وفيما وراء ذلك سلسلة خفيفة اخرى ، فسهل (بيتوين) المخضوضر الذي تحده من الشمال سلسلة من القمم المسننة ومن الشرق يحده نشز اسود طويل ، يكسره في النهاية الجنوبية مضيق يدعى (دربندرمكان) وهو الذي تنساب خلاله مياه الزاب الاصغر . ان المشهد كله متوج بثلوج (كلالا) و (قنديل) اللامعة ، وغيرهما من المرتفعات الشاخصة[٩] .

لقد خلفنا الان ظهريا اقدام التلال الجرد ، وارضها ، ودخلنا بلاد كردستان الحقة حيث تحوك رداءها على اسنى طراز . وسرنا منحدرين على ايسر حال ، وعلى طريق تقوم على حافيه ادغال كثيفة ــ وهو مرأى لم اشهده لسنين ، حتى بلغنا منخفضا صغيرا فيه اجمة لطيفة من شجر البلوط السامق ، دالة على موقع مقبرة ، ومن هنا رقينا نشزا خفيضا فوجدنا انفسنا على حافة السهل اخيرا. وبعد رحيل استغرق ساعة ، خضنا خلاله مجرى ماء بلغنا

---

(٩) دربندرامكه او (رمكان) يفصل بين جبال (كوارهش) التى تطل على رانية وبين (اسوس ـ كلار) المطلة على سهل بنكرد . ومنه ينفذ الزاب الاسفل الى سهل بيتوين . ومن هذا الممر عبرت جيوش العراق الى ايران واذربيجان وبحيرة اورمية . وسهل بيتوين من اخصب سهول العراق لجودة ارضه وكثرة امطارة ووفرة مياهه . ويلحظ ان ارضه تتشقق ويدخل النبت اليابس في هذه الشقوق فتخصب الارض .

(المترجم)

(سرخمه)[10] ، قرية ساوارغا • ولما كان الظلام قد اطبق الان على الدنيا كلها ، لذلك لم نستطع رؤية ما حولنا الا قليلا • وبدلا من ان يسار بنا الى الـ (ديوان خانه) دخلنا غرفة صغيرة في بيت (مضيفنا) الخاص حيث وجدنا ، في انتظارنا ، (مامنداغا) رئيس قبيلة (آكو) وبعض ذوي قربى ساواراغا ، وبينهم ابنه الذي يبلغ من العمر خمس سنين ، وهو صبي للطيف مورد الخدين يدعى (قادر)•• وقدم لنا طعام فاخر يتألف من الـ (بلاو) ، الرز المعتاد ، ومعه حشو اللحم اللذيذ وصحن يحتوى على مزيج من المرق الكثيف ،فيه مزعات لحم ، وعنب طري • وامضينا الامسية في حديث ، وفي توجيه استفسارات لا تعد ولا تحصى بشأن ما حولنا من القرى وسكانها والطرائق الزراعية التي يصطنعونها •

وعند الصبح من اليوم التالي ونسيم الصبح الغض العليل والسهل المخضوضر العريض المحيط بنا والذي تتخلله مجاري الماء المتلألئة كخيوط من فضة ، والتلال المتسامية المنحدرة التي تطيف به، وقد جللت هاماتها بالثلوج اللماعة ، والسماء الزرقاء فوق الجميع ، كلها تظافرت على رسم مشهد لا يمحى من الذاكرة • ووجدت ان البنية التي بتنا فيها كائنة في منتصف طريق يمتد على تل كبير ، تقوم على قمته الـ (ديواذ خانة) الرئيسة •

هذا وتتألف القرية القائمة عند اقدام المرتفع الغربي من نحو ٤٠ كوخا من طين ، من النوع المعتاد ، ينضاف اليها سقائف (كبرات) مخروطية شيدت من قصب • وكان في جوارنا عدد من الينابيع ، تدل على موقعها اجمات من التين الشوكي ، وغيره من نجوم النبت ، على حين كانت ثمة ساقية ، على بعد مئة ياردة شرقا ، وتلتقى بالنهر ، الذي عبرناه في الليلة الماضية ، نزلا •

---

(١٠) بنيت معظم دورها على تل أثري معروف بهذا الاسم فيه وفى تل قريب منه يعرف بـ (تل بليز) اثار من ادوار قبل التاريخ ومن العصور الاشورية .

(المترجم)

تدل على مجرى النهر الساقية صنوف شتى من الشام والاعشاش، وحيث يلبد الخنزير الوحشي الذي يكثر في هذه الارجاء • وزرت احد الينابيع هذه للاغتسال ، وانا آمل ان اجده باردا ، اذ كان ثمة صقيع نزر على الارض ، باللغرابة المحببة اذ ما ان اغطست يدي فيه الا وجدت الماء فاترا •

وغادرنا رانية ، وعقربا الساعة يشيران الى التاسعة صباحا ، ومعنا (ساواوغا) وثلاثون من فرسان الـ (بيران) • وعلى بعد ٨ اميال الى الامام منا ، كان ثمة نشز من صخر ذو طبقات شاقولية تمتد الى قدام ، عبر السهل ، وعلى شكل سلسلة متموجة •

وكان منظر احراسنا بهيجا ما بعده من بهجة : بـ (شراشيب) غطاء رؤوسهم ذوات الالوان المشرقة ، وستراتهم السميكة المضاعفة ، ومشدات خصورهم ، وهي من لباد ، وسراويلهم الضخمة ، وكل منهم يتمنطق باربعة من انطقة الاطلاقات ، ولديه بندقية ومسدس وخنجر • انهم يمتطون الجياد الضابحة التي لا قرار لها ، وبين الفينة والفينة يعمد الذين تأخذ بلبهم الحمية الى العدو خببا امامنا وتكاد جيادهم تمس خياشيم جيادنا • وعلى حين غرة ترتد ، وفرسانها يهزون بندقياتهم فوق رؤوسهم ويطلقون فى الهواء اطلاقات متبدية • وفي الاحيان ، ولكي يظهر احدهم ما عليه من مهارة ، وهو يستطي جواده ، يعمد الى التصويب بيد واحدة نحو ظهر الفارس الذى امامه ، وقد يذهب الى حد الضغط على الزناد وهي في وسط ظهره ، انها عملية عرفت بوقائع خطيرة جاءت في عقباها • وبينا كنا تتقرب من النشز الصخر ، وقد ذكر آنفا ، شاهدنا خطا من الفرسان على حدوره ينزلون •

وجعل الآن احراسنا انفسهم على شكل صف ، وعلى جانبينا ، وواحد منهم او اثنان لايزالان يعدوان امامنا خببا ، صعدا ونزلا ، على حين قامت الجماعة المقابلة المؤلفة من نحو ٥٠ فارسا والتي جاءت من رانية لاستقبالنا ، بالشيء نفسه • انها تتقرب منا وئيدة متمهلة

على نغمات الـ (زرناى) وازيز الاطلاقات . ان هذين الفـــريقين الكرديين ، المتفخلين بثياب غريبة بهيجة ، يلتقيان صباح يوم عيـــــد الميلاد ، فوق سهل اخضر اشرقت عليه الشمس ، وطـافت بــــه الروابي المتوجة هاماتها بالثلج .. كل ذاك كان يبدي مشهدا لا يمكـن ان يمحى مـن المخيلة بيسر او يـنسى . وما ان تقابلنا الا جاءت فـي اعقاب ذلك التقديمات المتعارف عليها ، ذلك ان وفد الترحيب كـــان يضم زعماء كثيرين ذوى خطر ، اولهم (الشيخ امين) حاكم رانية وهو شخص محني الظهر يتراءى انه ذو دربةوحيلة ، وعيناه الماكرتانتختفيان تحت (شراشيب) تتدلى من غطاء رأسه ، وهو من استبرق . ثـم يأتي بعـده (بابكـر اغـا) العظيـم ، رئيس قبيـلة بشـدر[11] وحاكم قلعة ديزه ، وهو اقوى رجل في كردستان الجنوبية طرا . انـه رجل ماجد من الطراز الاول ، ربعة القوام ليـس بالطويل المتمـدد ولا بالقصير المتردد ، لكنه متين البنية ، وذو انف اعقف كبير ، ويتبـسم ابتسامات تنم عـن اشد العطف السابغ . كان يحتذي احذيـــة ركوب ويلبـس سروالا لونه ازرق فاتح وثمة كفية تستر عينه اليمنـى (التي لم يرها احد من الناس ابدا) وثمة وشاح مـوشى لـف تحت حنكه . ثم يأتى بعد ذلك (اغا ـ ى ـ بايز) وهو الرئيس الرمـز لحلف (بلباس) العشائري . انه رجل شيخ حبيب الى القلب وهـو من استضاف (لجنة الحدود التركية ـ الفارسية) قبيل الحرب ، ولا يزال يتحدث عـن الدخينات التى قدمت له حتى يومنا هـذا ، تلـك الدخينات البدينات البينات . واخيرا (كاحـين) ابن بايز اغا من (قبيلة منكور)،وهو يرتدي لباسا اسود اللون مصنوع من افخر مادة، ومشدا ابيض ملفوفا وغطاء رأس ضخم تطيف به شراشيف موشاة بلون ابيض وذهب . وهو صبي لطيف عمره ١٧ ربيعا ذو سحنة حمراء تظهر عليها

(١١) معنى (بشدر) في الكردية (ما وراء الشق) والمراد بالشق هـو (دربندى رامكان) وذلك بالنسبة لمن ينظر اليه مـن الغرب .
(المترجم)

الرفقة. لقدكان يصحب هؤلاء الزعماء اتباعهم واقرباؤهم ؛ وهم محاربون اشداءوصبيان في ميعة الفتاء وقد تفخذوا بأفخر ثيابهم • وسرنا ، جماعة، الى رانية على نغمات الـ (زرناي) وامامنا (كاحسين) وغيره على جيادهم يلعبون • وتبين ان رانية لاتعدو قرية صغيرة غير صحية ؛ قائمة قرب ينبوع وسيع تحيط به المزرات (حقول الرز) •

وفي الصيف تشتد الوديقة وتنتشر الاجمّية (ملاريا) ، وكذلك في الخريف ، وفي الشتاء والربيع يجتاحها القمل فيصبح النوم امرا غير ذي موضوع • وهنا استقبلنا مرحبا عن سبيل انحناءات وامارات دالة على التبجيل القمائممقام التركي : الشيخ محمد خالص نجل الشاعر الشيخ رضا • وكان اذ زرناه في النهار بعد ذلك • انه رجل متعلم جيدا ، ويطلق على نفسه اسم (درويش) ويعيش عيشة هيّنة متواضعة جدا • وقرأ علينا قصيدة طويلة لوالده واحتجّ على عزله من حكم رانية ، ذلك انه كردي وليس بتركي • وكانت لدي اعمال كثيرة يطلب انجازها في هذا المكان ، وشغلت نفسي في فصل الموظفين والدرك وتعيين آخرين ، وتقدير الرواتب التقاعدية ودفعها ، على حين كان المقدم نويل يتحادث مع الزعماء المجتمعين •



ابناء القبائل الكردية في رانية سنة ١٩١٩

وامضينا الليلة في مستقر الشيخ امين وهو مكان تاعس يجتاحه القمل . وفي نحو الساعة الـ ١١ من صبح اليوم التالي فصل المقدم نويل الى رواندوز ، ورحلت انا الى قلعة دزه صحبة بابكر اغا ، كاحسين ، وعدد كبير من الحراس . ورمقنا خارج البليدة تماما اثنين من الثعالب ، فما كان من (كاحسين) الا أن يعمد الى مطاردتهما مطلقا النار عليهما من بندقيته بوحشية . وكان مسارنا بمحاذاة اقدام نشز شاقولي تقريبا ، وهو من صخر اسود وقمته مسننة تسمى (كيوه‌رش) او (المشنط الاسود) . ثم بلغنا الـ (دربند) وهو مضيق الزاب الاسفل حيث تقع قرية مهجورة ، فيها قلعة متهدمة ، كان يحل فيها ، قبل نحو ٨٠ سنة وزيادة حمة اغا ، وهو اوانئذ صبي ، باعتداده (باشا روانـدوز) معتمدا . كان يجمع الاتاوة من القبائل المحيطة والـ (باج) وهو رسم كان يفرض على القوافل المارة . وهذا الـ (دربند) على حظ كبير من خطر ، ذلك انه يهيمن على الطريق الوحيد ، ها هنا ، فيما خلا مسارات جبلية وعرة للغاية تصل فارس وسهل بشدر بـ (بتوين) و (كوي) .

ومجرى النهر عميق وماؤه صاف وهو يخترق ممرا ضيقا حيث الطريق ، لمسافة ربع ميل ، صخري وعسير . واثر تهطال المطر يتفجر ينبوع ثر من وسط المسار . ومن هنا اخذنا نسير على محاذاة ضفة الزاب الاصغر اليمنى ويحد هذه حزام عريض مؤلف من ارض البطائح ، تكثر فيها الاعشاب والقصب ، مرعى اعداد كبيرة من الامهار والمواشي والجاموس . واستثارت ريح صرصر عاتية ، هبت من الثلوج ، سحبا من غبار ، على محاذاة مجرى النهر كله . وعلى يسارنا كانت ثمة قطعة ارض مزدرعة متموجة تحيط بها كتل من الرواسي ، تتعالى الى ١٠٠٠٠ من الاقدام وزيادة . ومررنا من قرى عديدة كل قرية منها تتألف ، في الغالب ، من ١٠ــ٢٠ كوخا مخروطيا . وفي نحو الساعة الثانية والنصف

من بعد الظهر بلغنا (قلعة ديزه) [١٣] ، وهنا كانت تحيط بنا حقا جبال عظيمة توجت الثلوج هاماتها وتطل علينا ولا تفصل بينها سلاسل متداخلة • وكان مضيفي هو : بابكر اغا وقد قدم لنا غداء فاخرا كان ختامه شيء من المرموط اللذيذ والجوز وال (باستوق) وهو شبيه بال (جلي : JELLY) مصنوع من عصير العنب والدقيق • وسرعان ما تبين لي انه رجل ذو افكار هي اشد ما تكون سدادا وصوابا • انه يتكلم دوما بصوت مثغثغ ويترسل الكلام على هينة وحذر متمهلا ، ولا يبدد كلماته ولا يدع في معانيها مقالا لقائل ولا مجالا لجائل • واخفقت في معرفة ما هذا الذي اصاب عينه اليمنى ، كما لم يشر هو الى مثل هذا • انه في نحو الخمسين من عمره ، ومن اشد الرجال الذين قدر لي الطالع الحسن ان التقي بهم ، لطفا وعطفا وايناسا •

وكان اليوم التالي ، بالنسبة لرحلتي ، هو يوم الرجعى وبلغت في الوقت المقسوم (كوي) فوجدت كل شيء حسنا • وكان حمه اغا ، على الرغم من سنه العالية ، يزور الدائرة يوميا ، وينهال بكل ما يتذكره من شكاوي اكل الدهر عليها وشرب • وعلى الرغم من ان بيانا قد صدر ، لدى وصولي يعلن العفو العام عن الجرائم المرتكبة قبل الاول من كانون الاول ، امضيت ساعات عديدة محاولا حمله على اغفال الماضي لكنه كان يجيب معقبا بذكريات لا تعد ولا تحصى • « طبيعي ان قد حدث هذا وذاك عندما كنت شابا يافعا •» ومضى وقت طويل قبل ان ندرك تقدما ما •

وفي اليوم الـ ٣٠ من الشهر حسم الامر بين ساواراغا وعبدالله اغا وبموجبه ارتضت قبيلة بيران ان تدفع دية ابن الثاني واعادة جميع الاموال المسروقة ، او قيمتها المماثلة •

---

(١٢) هي قرية قريبة من الحدود العراقية ـ الايرانية ومركز عشائر بشدر ؛ ومن الوجهة الادارية مركز قضاء • وقبل الوصول اليها يشاهد على يمين الطريق تل كبير هو ركام مستوطن آشوري قديم ونسترجح انه اثار مدينة (زمبي :) الـوارد ذكرها في حملة الملك سرجون الثانية ، كما ورد في هذه الحملة ذكر جبل (سميرا) ومن المحتمل ان يكون هذا الجبل الشهير : قنديل • (المترجم)

الفصل التاسع

زيارة (خوشناو)[1] وجولات اخر

مرت الاسابيع الثلاث الاولى من كانون الثاني هادئة • وشرعت في جعل العمل الاداري في المنطقة يتخذ وجهة منتظمة رتيبة ، وكنت اجد دوما قدرا كبيرا من العمل الرسمي الذي يشغل اهتمامي • وبروح من السياسة المقررة حاولت ان اعمل بواسطة (الاغوات) البلديين ، لكن هؤلاء بأستثناء واحد او اثنين كانوا عاجزين وفاسدين معا لذلك تعسر المضي الى قدام على استعجال واسراع • وكان عضدي الرئيس : جميل اغا[2] ، اذ بعون منه استطعت ان اهيمن على الشيخ الهرم (حمه اغا) وامنع اي فعال تسم بالظلم الفظيع • وكنت امضي جل وقتي في (مكتبي) ، وقبل الغروب كنت اتخذ سبيلي الى بيتي ، حيث اعتاد وجهاء البلدة الاختلاف اليه ، ومناقلة الحديث ، وغالبا ما كنت اتناول طعام العشاء في بيوتهم وكنت على اطيب الصلات مع جميعهم لا استثني منهم الا عبدالله اغا الذي اعتاد على المجيء الى مكتبي ، بين حين وحين ، يسأل ما الذي انويه بشأن المنصب الذي سانيطه به وما

---

(۱) تتركز هذه القبيلة في شقلاوة ، وتسكن ايضا في ناحية صلاح الدين وحرير ، وثمة ناحية باسمها ومركزها هيران وتقدر سعة منطقة القبيلة بـ ۱۰۰ كم مربع وعدد نفوسها بموجب احصاء ۱۹۵۷ (۲۰۰۰) نسمة .

(المترجم)

(۲) عين هذا الوجيه قائممقاما على كوي وهو على انه مقدم في (اسرة آلي حويزي) قد اصهر الى (اسرة آل غفوري) بزواجه من كريمة (حمه آغا) وقبيلة حويزى تنتشر في منطقة سعتها ۱۲۰ كم مربع ويسكن رؤوسها في كويسنجق ، شأنهم كشأن رؤساء قبيلة غفوري .

(المترجم)

مقدار المشاهرة التي سيتقاضاها عن ذلك ؟ واصبح من هدفي ان اقلل من نفوذه الى الحد الذي استطيعه ، وان ازيد بالمقابل من نفوذ جميل اغا ، وغايتي من وراء ذلك أن يصبح الاخير رأسا لاسرة (حويزى) لكن ذلك كان غير ذي جدوى •

وساد النظام في المدينة بوجه ممتاز شأنها كشأن المناطق المحيطة بها • ونزلت الاسعار في الاسواق سريعا وفتحت دكاكين جديدة فأخذ كل شيء مقبلا • وانقذ (دار العجزة) ــ وهو الذي صرفت اليه من اهتمامي قدرا كبيرا ، من السكان عددا كبيرا • وتمت بفصل الموظفين الاتراك ، ومنح من كان يعولهم الجنود الاسرى في الحرب والقتلى مشاهرات تقاعدية ، كما غدا من حسن السياسة والضرورة فنح مخصصات معاشية الى (الملالي) العديدين الذين تخربت املاكهم الموقوفة خلال الحرب ، وتخصيص الاعتمادات المالية للقيام بمتطلبات التكايا • قال كثيرون وأني اعتقد ان قولهم هو الصدق بعينه : او ان الحكومة البريطانية ارجأت ايفاد ممثل لها الى البلدة شهرا ، لهجرها الناس وغادروها خربة وركاما ، ولمات الالاف من الناس جوعا •

وملأت السحب من الامطار حبالا ، وبشر هذا بحصاد طيب ، وامتلأ الجميع بماء حياة جديدة وشاع الامل في نفوسهم جميعا •

وفي الـ ٢٣ من الشهر رحلت الى ديار الـ (خوشناو) ، يصحبني كاتب هرم بدين اعتمدت على اصطحابه ، يدعى (ملا رسول) ونفر من الدرك قليل • وكان طريقنا مادا على الارض المتكسره من حجر الرمل ، وبلغنا (بناقلعة) وكان ذلك في الساعة الخامسة ،فاستظافنا فيها فلاحان كرديان هرمان هما (جوخا حويز)و(جوخا صالح) •انهما رجلان ساذجان هاشان باشان ، لا سيما الاول منهما ، وكان يكثر من المزحات العراض • ومما ازعجني نوعا ظهور رجل مخبول ، اصم ابكم ، اخذ يعني بي عناية خاصة ، ينخر ويكشر ويهز برأسه باتجاهي •

وعند الصبح من اليوم التالي ، وبعد ان استمتعنا بفطور من الخبز وحليب نعجة محلوب اثر ولادتها حالا ، فصلنا ، وكان ذلك

وعقرہ الساعة يشيران الى الساعة الثامنة صباحا ، وكانت غايتنا قرية كردى التابعه الى (حاجى اوسو) حيث قدم لنا الغداء رجل صغير الجرم صخاب علاه الكبر واحدق بحدقيته قوس الاشباح يدعى (حسن اغا) • ومن ها هنا سرنا على ارض حجر الرمل نفسها حتى (اشقاف سقا : ورد اسمها في دليل التعداد الرسمى لسنة ١٩٦٩ بصيغة اشكنت ستا ـ المترجم) وهى قرية (غريب اغا) رئيس فرع كوي لقبيلة كردي • وكان رسيس الربيع يبدو على الارض ، والطقس ، على غير عادة ، رخي ، والنبت فى كل مكان يخرج من التربة ، كما شهدت بعض (الشقائق) زاهرة ، ونورا اصفر على احد نجوم الشجر شبيه (بالوزال :LABURMUM وتقاقنا على الفترين غريب اغا ، وهو رجل هرم يبدو عليه الوهن ، ومعه ابن عمه (الشيخ محمد اغا) ، وهو رجل ضخم الجثة ذو حاجبين كثيفين وكنا نطلق عليه اسم (الخبيث) دواما (كذا : المترجم) • وصحبنا الرجلان حتى (اشقاف سقا) حيث استقلفت باسماح • وعلى الرغم من ان الـ (كردي) طائفة صغيرة ، لكن زعماءها يعتدّون انفسهم اسمى من اى احد من الاغوات في القبائل المجاورة •

وفي اليوم الـ ٢٥ سرنا تلقاء الشمال وسرعان ما وصلنا الشق الكائن في سلسلة الحجر الكبيرة التى تحيط بالارض الرمل الكائنة على جهة الشمال ـ الشرقي • وفيما وراء هذه كنا في ديار (خوشناو)، نحيا عيوننا مشهد ذو جدة • فعلى جهتنا اليمنى كان يقوم الجبل الضخم المسمّى (سفين داغ) [٣] والسحاب تلثه بشملتها ، على حين كان هناك واد طويل يتجه تلقاء كوي جنوبا وعلى الجهة اليسرى كان ثمة تلال متشابكة بينها وبين (سفين داغ) الذى تكسوه انواع شتى من الشجر والنجوم • وتشاهد كثير من معروشات الكرم ، وهي شتّى ،

---

(٣) (سفين داغ) او (جبل سفين) وتقع شقلاوة فى واديه الشمالى انه الامتداد الشمالي لجبل (هيبت سلطان) وعلو نحو ٧٠٠٠ قدم .

(المترجم)

على سفوح الجبال المحيطة به • وليس الذي يسود الآن هو هذا الاحمر الداكن الذي يتسم به حجر الرمل ، اذ قد حلّ محله حجر الجير الملون بالوان بيض وحمر وزرق • ان ارض الـ (خوشناو) من الطف الارضين التي عرفتها في كردستان ، وليس بعجيب ان يكلف اهلها بها ، في كل مرة ينأون عنها • وبعيد اجتياز الشق شهدنا قادما مقبلا علينا يصحبه جمع غفير من الاتباع • انه رجل ضخم الجثة ، ماجد ، في منتصف العمر ، ذو عينين منتفختين ، وتبيّن انه (ميران قادر بك) شخصية سنلقاها غالبا و (ميران) لقب يتخذه زعماء الـ (خوشناو) دومـــــا •

ومن الضروري ان نشذّ عن السياق قليلا لنتناول بالبحث مسألة الـ (خوشناو) فنقول : كان آخر زعيم لـ (مير محملي) ، القبيلة ذات الصدارة ، رجلا يدعى : ميراني بايز بك ، وهو رجل ضخم بدين والى حد كبير ، بحيث استغرق سفره الى كوي ذات مرة اربعة ايام والمسافة ٣٣ ميلا فقط ! • وقد جعل ثلاثة من الامهار امتطاها خلال سفره ، تنفق • وقد مات بداء الـ (انفلونزا) عند مبتدأ شهر تشرين الثاني ، وما كان ابناؤه اوانئذ قد بلغوا اشدّهم ، فاصبحت خلافة الزعامة محصورة بين اخويه : قادر بك ورشيد بك وكان الاكبر منهما، اعني قادر بك ، من ام غير الزعيم السابق ، ولما كان هذا ابّان ارتحال بايز بك الى الدار الاخرة يعاني من داء الـ (انفلونزا) ايضا ، ويحسب ان اجله قد اتى ، وانه على فراش الموت سيجي ، لذلك لم يثر اعتراضا حين تناهى الى مسمعه ان اقرباء ام بايز بك ، وهي ام رشيد بك ايضا ، قد نصبوا الاخير (ميرا) • هذا وفي الوقت نفسه اصبحت البلاد تحت الظل البريطاني واقرّت سياسة الحكم بواسطة زعماء القبائل ذوي المعاشات • وابّل قادر بك من مرضه ، ولما ادرك حقيقة الوضع وامكانية ادراك حصيلة ما في الاوضاع الجديدة اخذ يقرع السن على استقالته ندما • وكنت في هذا الابّان ازور شقلاوة كي اقرر من الذي يجب ان يعيّن حاكما عليها ، وللعشيرة زعيما : اهو قادر بك ام رشيد بك ياترى ؟ •

وعلى غرار جلّ آحاد اسرته يتسم قادر بك بالجرم الضخم ، ذلك انه يجمع الى الطول البدانه • وهو ذو وجه وسيع مدوّر وملتح• وجرينا على تسميته دوما بـ (هنري الثامن) وذلك للشبه الملحوظ بينه وبين صور ذلكم العاهل•انه يعدم التعليم بالمرّة ولايتكلم الا الكردية، وعلى ذلك تجده يقع تحت تأثير الكتاب المقوتين والاقرباء المؤامرين ويتعسّر عليه في الايام العصيبة اعمال الفكر ، لكنه ، على العموم ، رجل امين ذو نية حسنة • انه زعيم قومه على القطع ، ولو عضده مشاور نصوح لغدا زعيما مثاليا •

كان يقيم ، في هذا الاوان ، في قريته المسمّاة : قالاسنج ، على حين كان رشيد بك في شقلاوة معنيا باسرة اخيه الراحل واملاكه • وكان ان اختلفنا الى المكان الاول وانتظرنا تقديم الغداء ، وقادر بك يتمهّل في ذلك متمنّيا عليّ الاضطرار على المبيت عنده • وكان ان نفذ الصبر مني واصررت على الرحيل الى شقلاوة من دون تناوله ، ان لم يقدم في الحال • وعند ذلك جيء بسلسلة من الصحون ووضعت في وسط الغرفة ، وما ان نطق الاتباع بكلمة (بسم الله) الا اخذنا بتناول ما حفلت به جميعا • وكان ثمة زعيمان آخران ، سنلتقي بهما بعد حين ، حاضرين في تناول الطعام ، احدهما المؤامر الكبير (كذا : المترجم) ميراني صالح بك ، رئيس فرع الـ (مير يوسفي) وان نازعه الرئاسة عديدون • انه رجل خشن ضخم مرحّب حسن الاستقبال دأب على صداقتي شهورا • لقد كان يظهر احرّ المشاعر بازائي ويفخر دوما بانه ليس بكردي (كذا : المترجم) وكيف انه طليق جدا من اساليب الكيد والتعطش الى الدم المسفوك التي يصطنعها بنو جلدته •

وكان الزعيم الآخر : مصطفى اغا وهو من (كورة) ، وهذا على الرغم مما يشاع عنه من انه فتك بعدد من اخوانه وذوي قرباه الآخرين، رجل هو من اطيب من عرفت ، وفي ضعف الدجاجة • ان السويعات التي امضيتها عندما آوينا الى فيء شجرة التوت الضخمة ، خارج

القرية ، هي من الطف ذكرياتي في كردستان ، واليه ، والى رجاله ، انا مدين بحياتي في ظرف واحد ، على الاقل • انه اكثر الاكراد الذين لقيتهم بعدا عن الانانية واشدهم اخلاصا ، ومن الغريب ان يكون صديقا حميما لاحمد افندي الاربيللي •

والطريق المفضي الى شقلاوة ماد خلال مناظر رائعة ، اذ انحسرت الآن السحب وبانت الناوج الموتقة التي يعتم بها (سفين داغ) • وتمادى بنا السير خلال طرق ضيقة تخترق معروشات الكرم والبساتين ، حتى بلغنا واديا مفتوحا كانت تقوم على حفافي مسارنا فيه اشجار البلوط «وزعرور الوادي HAW THORN وما ان بلغنا قرية صغيرة راكبة على حدود ضفة مجرى ماء جبلي الا رحب بنا رجل بلغ من الكبر عتيا ، يضع فوق رأسه طربوشا ، ويرتدي سترة ضخمة ، يرتديها الضابط الروسي عادة ، لقد تبين انه من يدعى (خورشيد بك) وهو زعيم من (حكاري) ذو شيء من مكانة ، طرده السلب والنهب الروسي في كردستان الشمالية فلجأ الى خوشناو• وكان برتبة مقدم في (الخيالة الكردية) التي جندها (السلطان عبد الحميد الثاني العثماني) وكانت له سمعة لايحسد عليها • وكان ان غدا طاعوننا يهدد حياتي دوما ، ذلك انه دأب على الزهو ، امامي ، بنبالة محتدة وعظم مكانته في بلاده ، وعلى التشكي من ضآلة مخصصاته التي تمنحها الحكومة له • كان رجلا هرما سخيفا ، يثير الرعب في تلكم القلة من اللاجئين الذين وصلوا معه ، اذ ما كان يسمح لاحدهم بالجلوس او التدخين في حضرته • ثم كان ان سعيت الى ان يحل ، ورجاله ، في قرية مهجورة اخيرا ، لكنهم لم يكونوا راغبين في ان يعملوا في سبيل الحصول على ما يقيم اودهم • وفي خاتمة المطاف اتخذوا السبيل الى بلادهم وكان ذلك في ربيع سنة ١٩٢٠ •



خورشيد بـــك

واستدرنا الان حول النهاية الشمالية ــ الغربية لجبل سفين ، وشرعنا نرقى صعدا تلقاء (شقلاوة) ، فلم نبلغها الا وقد اطبق الظلام على الدنيا كلها . وتلقانا خارجها تماما ، (ميرانى رشيد بك) وولدان من اولاد المرحوم (بايز بك) اعنى : عمرا وسليمان . وميرانى رشيد بك رجل طويل القامة ذو لحية سوداء ، ليس على حظ كبير من بدانة ، لكنه اكثر رهوا من (قادر بك) ، وفي عينه حول . انه متعلم تعليما حسنا وفى مكنته التكلم بالتركية والفارسية وبقليل من العربية بالاضافة الى لغته الاصلية : الكردية . انه اكثر مهارة ودربة على الائتمار من اخيه ، ذي العقل الساذج الى حد ما . وما احببته في يوم ما ، اذ انه على ماقال المتقدم نويل اكثر بالمحامى شبها .

وامضيت الامسية كلها في مناقشات تتصل بموضوع الرآسة . لقد اعترف رشيد بك بحق غريمه ، باعتداده الاخ الاكبر ، لكنه استبرحم ، مهما حدث ، الاقامة في شقلاوة . لقد ابان ان الغاية من اقامته فيها هي العناية باملاك (بايز بك) وحريمه ، وان مكانا واحدا لن يتسع لهما معا . وكان ان اهوى على ركبته اخيرا ورجاني ، وتكاد تنطق عينه (بعبرته لو كانت العين تنطق) بالا اقوم بشيء يفرق بينه وبين اخيه . وكنت في هذا الاوان قد توصلت الى قرار بتعيين (قادر

بك) حاكما ، وبوصفه هذا كان لزاما عليه ان يقيم في مركز منطقته ، لكنني لم استطع ، حتى صباح اليوم التالي ، ان احمل رشيد بك على الاذعان والتسليم • وكان ان جرى ترتيب ، آنئذ ، بأن يسعى هو وقادر بك الى عمهما الهرم (عزيز بك) في (باليسان) ويقسما يمينا صدوقا على تبادل الاخلاص •ولم يحدث مثل هذا ابدا ، وغدا الاحتكاك بين الاخوين بسبب من تحاسدهما مصدر قلق مستدام بالنسبة لمساعدي الحكام السياسيين في كوي ، الواحد منهم تلو الآخر• وقبل ان ارحل عيّنت (قادر بك) رسميا ، حاكماعلى شقلاوة ذا سلطان على فروع (خوشنلو) الثلاثة وعلى قبيلة (كوورة) ، على حين غدا رشيد بك الرئيس الرسمي لفرع (مير محملي) وصالح بك الرئيس الرسمي لفرع (مير يوسفي) • وعلى العموم برهن قادر بك على انه انجح حاكم •

وساعدني في المفاوضات : (حاجي نورس افندي) وهو من اهل رواندوز ، ومدير شقلاوة السابق • انه رجل قميء من اصل فارسي ، رأسه يشبه رأس الديك الرومي ، وكان يختلط في نفسه جانب مألوف من المكر الشرقي والتوتر العصبي • وكان معي في هذا الظرف ، في اغلب الوقت ، وكان يرتعد من قمة رأسه الى اخمص قدمه • هو ذو حبسة في لسانه ولجلجة في كلامه ، واحسب ان مبعث ذلك اشفاقه من ان اقوم بالتحري في سوء تصرفه في الماضي • وفي اليوم الذي غادرت فيه شقلاوة اتخذ سبيله الى رواندوز عائدا ، حيث سنلتقي به قريبا • •

وعند الصبح من يوم الـ ٢٦ من الشهر ، كان لديّ وقت اصرفه في تجوال في الارجاء المحيطة بي •

وتقع شقلاوة ، التي تبلغ عدة نفوسها نحو ٣٠٠٠ نسمة ونصفهم من النصارى ، على الحدود الشمالي لجبل سفين، وهو الذي يجود على البليدة بـ(خلفية: BACK : GROUND)سامقة من صخر منحدر يتهاوى ، وهي الاذ ، مكسوّة بالثلج الناصع • ودورها مبنية الواحد منها فوق الآخر ، لذلك تجد المرء يخطو من وصيد باب بيته الى سقف بيت جاره • وعلى المسار الرئيس الذي يخترق البليدة تعالى

بنايات مونقة سامقة ، انها مسكن الـ (ميران) • وهناك جامع صغير ايضا ، وفي داخل البليدة عديد من الينابيع ينبط منها الماء مثرثرا ، متدفقا نزلا يروي الاحراج الوسيعة والبساتين الممتدة بمحاذاة الوادي حتى مسافة اميال عديدة • وهنا شجر كثير من الحور ، وبساتين من التفاح والعرموط والخوخ والمشمش والتين والرمان وغيرها ، تتناثر متداخلة مع شجر الجوز والـ (جنار) • ان هذه البساتين حيية لطيفة في الصيف ، لكنها تبعث الاملال ، حالكة في الشتاء • واخذ (حاجي نورس) بيدي الى القصر الصيفي للمرحوم (بايز بك) ، وهو ليس ببنيه تستلفت النظر بوجه خاص ، لكن ثمة شجرتين ضخمتين من الـ (جنار) تتعاليان خارجه ، وقد عرفنا على ماورد في الشعر المتداول بأنهما تدأبان على النماء في البقعة نفسها منذ ٥٠٠ سنة • كما ان هناك حوض ماء لطيف لم يكتشف الا حديثا ، بمعاودة التنقيب فيه •

واتخذنا الان سبيلنا الى الكنيسة ، على الرغم من احتياج الحاج نورس المشوب بتوتر عصبي ، ولانها على حد قوله لا تستأهل المشاهدة • اني لاعجب من هذا الذي فعله بها : وما ان بلغناها الا وجدتها على حال خراب مليئة بالزبيب والحنطة وهما حصة الحكومة من هذين المحصولين خزنها في الكنيسة•وهنا في ساحة مكشوفة وجدت اربعة من القسان او خمسة اجتمعوا ومعهم صليب ، وجماعة منشدين متوشحين بالاوشحة الكهنوتية ، مؤلفة من صبيان قذرين جدا ، وحشدا من الناس كبيرا • وما ان ظهرت لهم الا تعالى احد المزامير منهم ، ومما ازعجني كثيرا ان يسير الموكب كله في اثري دائرا ، يتغنى باصوات جشة : (هللويا)

واحتاطتني لمات من النسوة ــ جلهن عجائز قباح ــ واخذن يقبلن يدي وملابسي • يا للفقراء المساكين ــ اني لاشفق من ان قد خامرهم شعور بخيبة آمالهم العالية في قابل الايام ، وهي آمال كانت تراودهم في هذا الظرف عينه •

وما كان في الامكان مغادرة شقلاوة الا في وقت متأخر من بعد الظهر حين فصلت منها في رحلتي عائدا الى كوي ،

وانا اقتفي اثر الطريق الرئيس بمحاذاة الحدود الشمالي لجبل سفين • وكان سبيلنا مائدًا ، على الدوام ، بين الشجر وبمحاذاة ازقـــة ذوات سياجات عالية • وقد غدا المسار في كثير من الاماكـن مجرى ماء • ومررنا بكثير من شجر البلوط وهو مثقل بعفص غريب اسود اللـون لماع بحجم كرة الـ (كولف : GCLF) • وبعد ساعتين ، او ثلاث ساعات ، من اطباق الظلام على الدنيا ، وبعد ان اقتفينا مرة او مرتين احد المجاري باعتداده طريقنا ، لم نكتشف سبيلنا الصحيح الا حين بلغنا مسقط ماء ينحدر ••• ثم كان ان بلغنا غايتنا ، قرية (ايران) • وامضيت الليلة فيها مع من يدعى (علي بك) وهو من كـان في الغالب على الترك ثائرا • لقد تفضل فأسبغ علي شيئا كثيرا من القرى • وكان هذا امرا شاذا ، ذلك ان قريته تقع في منتصف الطريق المار بين كوي وشقلاوة ، ولهذا ينوء عليـه الضيوف بكلكلهم غالبا • هنـا وجدت (ميراني احمد بك) رئيس قبيلة (بشكالي) وهو رجل هرم متهدم ، مغلوب على امره لا ارادة له • كانت قبيلته ، في وقت ما ، ذات قـدوة وذات بأس شديد ، لكنــه اساء الى الاتراك قبل سنوات قليلة • فما كان من هؤلاء الا ان يستدعوا الـ (بيران) الـذين جعلـوا قراه جميعا قاعا صفصفا •

وما ان انفرج عمود الصبح في اليوم التالي الا غادرت الى كوي وغبّ مرحلة ساعة ونصف الساعة وردت قرية (نازانن) • واجلسني القرويون فيها وقدموا طبقا من التين والزبيب والرمان • هنا بساتين واسعة فيها فاكهة وزرع من (حور) و (جنار) • والزعم الشـائع ان رمان (نازانن) هو افضل ما في بابه من كردستان • وانحدرنا الآن الى مجرى ماء كبريتي يدعى (جالي) ، وهو نابع في كهف طويل دقيـــق كائن في التلال العالية •وبجانبه نبع دافىء آخر مليء بالسمك ، وماؤه يخلّف راسبا ازرق اللون مائلا الى سمرة ، وهو ذو رائحة كيمياوية قوية • والاكراد يسبحون ها هنا شفاء من اضطرابات الجلد •

ولدى عودتي الى كوي وجدت ان ساوار اغا لم يـردها ، وان كنت قد وعزت الى الشيخ امين ، قبل رحيلي عنها ، بأن يأتي به ولذلك

قمت بتعبئة جيش صغير وارسلت الى بابكر اغا خبرا في (قلعة ديزه) ، .
نب كان منه الا ان يجمع بعض ابناء قبيلته وينزل بهم الى رانية • وتبين
ان التهديد كان كافيا ، فجاء الشيخ امين الى كوي حالا ومعه ساوار اغا
واثنين من مختاري قبيلة (بيران) المطاوبين وهم (مراز) و (اغاي مام
زندين) • وكان ان حلّوا جميعا في دار حمه اغا ، واليه ارسلت من
يلقي القبض على ساوار اغا واحد المختارين ، لكن الآخر ، اعني (مراز)
لم يعثر له على اثر • وقال احد «المحركَين» لتابعي (جعفر خان) انه
يساكن (ملا محمد افنـدي) ، او «المطـران» علـى ما كنا نسميه •
(كذا ! : المترجم) • لذلك سار اليه جعفر خان وطلبه ، فاستشاط ذلك
الروحاني غضبا واجاب : ان بيته ليس للصوص بوكر • وفي نحو هذا
الوقت ابصر احدهم فارسا وحيدا يعبر سلسلة هيبت السلطان ولم
نر (مراز) بعد ذلك ابدا • وكان لـ (اغاي مام زندين) ولد ودود لطيف،
في نحو العاشرة من عمره، يدأب على المجيء اليّ راجيا اطلاق سراح
ابيه وساوار اغا • واخيرا وافقت على رجائه ، وتم اتخاذ اجراآت الامن
القاضية بألاّ يحاولا مغادرة كوي من دون اذني• وفي غضون ايام قليلة
حسمت ، على الوجه المرضي ، جميع القضايا المهمة، فسمح لهما بالعودة
الى قريتيهما •

وفي نهاية كانون الثاني ، ولاسباب عائلية ، اضطررت الى طلب
اجازة كي اسافر الى انكلترة ، فكان ان منحت لي • وقبل مغادرتي
قمت بجولة مع النقيب (باركر) ، الذي وصل حديثا باعتداده مساعدا
لي ، بغية تعريفه بالمناطق القصيّة في قلعة ديزه ورانية • وبدأنا رحلتنا
مشيا على الاقدام ، وعبرنا جبل هيبت السلطان بسبيل اقصر ومختلف
عن الطريق الذى قطعته فيما مضى • وعلى الجهة الاخرى ، مررنا
بضيعة (جيناروك) حيث يمتلك المطران مصيفا لا يعدو رواقا مقدودا من
صخر ، ينبّط فيه نبع في برودة الثلج وتطيف به اشجار الجنار وزهور
البرية • ان للكردي حسا تقديريا للجمال نادرا بين ظهراني الشعوب
الشرقية • وعلى سفوح التلال كلها تقوم معروشات كرم واسعة • ها
قد اخذت الارض زخرفها وازّينت ببساط سندس بهيج تطرّزه افواف

زهر (الشقيق) مختلف الوانه من ابيض وقرمزي • وعند نهاية المنحدر بلغنا قرية (قسروك) حيث استظافنا بسماحة (مام قرني) وهو ابن عم (ساوار اغا) ، رجل بلغ من الكبر عتيا • ولدى هذا اطفال اثيرون محبوبون قدّموا لي غطاء رأس (بلباسي) ذا شراشيف . ومقابل ذلك وعدتهم بأن آتي لهم بلعب من انكلترة •

ومزّق سكون الليلة اعصار مرعد ؛ وعند الصبح من اليوم التالي رحلنا و(صوب السماء) يهطل • وكان ان خضنا اول نهر بنجاح ، لكن الثاني شق خوضه علينا فاضطررنا الى التوقف عند (سرخمه) ، حيث اخذ قادر الصغير يسأل عن ابيه اسئلة كثيرة ، وهو الذي لايزال موقوفا • وبعد تناول الطعام رحلنا كرّة اخرى ونحن نأمل عبور النهر في جهة اعلى ، لكن ها قد جاء (سمح الغمام بدمعه الذرّاف) هطّالا ، وقصفت رعود واخذ البرق يخطف الابصار لاحبا ، لذلك اضطُررنا على ان نلجأ الى كوخ صغير في قرية (كاني ماران) حيث قمنا بتجفيف ملابسنا امام نار عظيمة لاهبة• وتحسّن الجو قليلا فحاولنا في ان نمضي كرّة اخرى ، فحال دون ذلك مجرى ماء ذي غور ، وان كان ضيّقا • وبشيء من العسر استطعنا ان نخوضه على صهوات امهارنا لحين ، وعلى الرغم من البرد ــ ذلك ان الصقيع كان يساقط على التلال ، على ارتفاع نحو ١٠٠ قدم فوقنا ــ كانثمة كرديان عاريان يحملان حقائبنا• وفي نحو الساعة الرابعة من بعد الظهر بلغنا مكانا يقع قبالة قرية (بكه) فجاء بعض سكانها يسعون وارونا مخاضة ، وبذلك استطعنا ان نعبر النهر الرئيس من دون ان تقع حادثة مكدّرة • وما ان بلغنا الضفة الاخرى الا كان المجرى يتساقط ، وكأنه شلاّل ، وبذلك عزلنا عن الحيوانات التي كانت تحمل متاعنا وهكذا امضيت الليلة في قرية اخرى•

وكان مضيّفنا رجلا ماجدا طيبا يدعى (ابراهيم اغا) • انه على الوجه اللاحب رجل ذو املاق وليس في امرته الا قلة من الاتباع ، على الرغم من اصراره على الادعاء بانه كان قادرا على اعداد ٤٠ من الفرسان فيما قبل الحرب • وجرى اسكاننا في غرفة صغيرة جدا مليئة بأثاث بيتية ولا تفصل عن عدد من الجاموس (؟) الا ستارة من حصيره

وكان ثمة زوج من كلاب الصيد الحسنة الرائعة تقبع في مكان قريب من الباب • لقد شاركنا في طعام حسن ، وان كان هيّنا يسيرا ، كما استطعنا ان تنام ، لاننا كنا على حال من النصب الشديد ، وعلى الرغم من الجاموس والقمّل •

وعند الصبح التالي رحلنا ، والجو رائق مونق ، وسرنا بمحاذاة حافة (بيتوين) الشمالية • وكانت التلال مكسوة بالثلج الطري الممتدّ حتى السهل نزلا ، كما كانت السحب المنتشرة تطيف بأعالي الجبال •

وما ان نفذنا من مضيق كائن في سلسلة التلال التي تبرز عبر سهل بيتوين الا بلغنا (سركبكان) : قرية (مامند اغا) ، رئيس قبيلة (اكو) • انه رجل صغير الجرم محدودب الظهر صموت ، ولعلي كرهته عندما لقيته في السليمانية • كان سيء السمعة (كذا : المترجم) يأخذ الناس اخذ رابية ، وينزل فيهم العذاب البئيس الوجيع ، لذلك فقد سيطرته على الجزء الاكبر من ابناء عشيرته • وعندما عرفته على وجه افضل ثبت لي انه رجل مهذّب كيس ، على حال غير مألوفة ، وذكي باعتداده كرديا قاطنا في مثل هذه الارجاء القصيّة • وكانت مضافته نظيفة ووسيعة وكل شيء كان يجري على افضل طراز •

اننا نحل ، الان ، في واد ضيّق شمالي (رانية) ، تحت المنحدر الصخري لـ (كيوه‌رش) تماما • وكانت غايتنا التالية على نحو ١٤ ميلا ، باتخاذ الطريق ، لكنها قد لا تزيد على اكثر من ٦ اميال ، من فوق التل • لذلك صممّنا على ان نسير على الاقدام ، وارسلنا متاعنا بطريق يستدير •

وكنا نأمل ان نشهد على الطريق بعض الوعل الجبلي ، واغرينا ما مند اغا على ان يعدّ لكل منا كرديا قويا ، وبندقية حسنة • وبعد

الغداء خرجنا مع دليلينا، وهما متبديان متينا الجسم قصيران يلبسان سترتين مخططتين وسراويل مخططة وجوارب طويلة من صوف . وارتقينا بسبيل صخر يتلوى ، وفي نحو منتصفه بلغنا اول الثلج . وبقرب القمة تماما شهدنا ثلاثة من الوعل ، وكان (النقيب باركر) في المقدمة ، وعمد دليله الذي يحمل بندقيته ولا يفهم من امر الصيد شيئا الى اطلاق النار على الحيوان تـه . وبأهتياج امسك (النقيب باركر) بالبندقية وسحبها منه ، لكن الوعل غدا في الوقت نفسه على بعد اميال . وتسلقنا مسافة ٢٥٠٠ من الاقدام . وفي الاعلى كان الهواء قارسا جدا والادغال تتلألأ بيضاء ، ذلك ان الثلوج المتجمدة قد كست اغصانها . وكان الجانب الآخر من التل ذا ايك ، متكاثف الشجر ملتفه ، يعج فيه حجل الجبل (جيكور) . وفي نحو وقت الغروب بلغنا غايتنا ، اعني قرية (دوكومان) وقد سميت بهذا الاسم لوجود بركتين تمدانها بالماء ، ولا ثالث لهما . هنا يعيش (بولوك اغا) رئيس احد فروع (اكو) ، وقد داخله عجب كثير من ان يرى وصولنا ونحن نسير على اقدامنا ، ذلك ان كرديا من طبقة حسنة لن يفكر في المشي ابدا . انه رجل بدين مراح ، بلغ من الكبر عتيا ، قصير القامة شبه (فالستاف : FALSTAFF) (٤) فيما خلا انه لايحتسي الخمرة ابدا . واخذ بيدنا الى مضافة ، وكانت نسوة داره يبصبصن من احدى الزوايا ، كما كان يقوم على خدمتنا ثلاثة من اولاده على حين كان هو

---

(٤) احدى الشخصيات الروائية المضحكة جدا التي ابتدعها (شكسبير) الروائي الانكليزي ، نابه الذكر . انه يمثل وغدا سكيرا ولصا ، لكنه ملىء بالحيوية مؤنسا يخلب قلوب المشاهدين . يظهر في رواية (هنري الثامن) و (زوجات مرحات من وندسر) ويلقى حتفه في رواية (هنري الخامس) .

(المترجم)

يداعب رابعهم ، وهو طفل صغير يبلغ من العمر خمس سنوات • وفي خلال الامسية سلمت رسالة ، وجدت انها مرسلة من بعض الطلبة الدينيين الذين يحلون في القرية ، وهم يأملون بواسطتها الحصول على منحة تقيم اودهم •

وغادرنا (دكومان) في اليوم التالي مبكرين وسرنا نحاذي الحافة الشمالية لسهل بشدر ، وسرعانما ولجنا ديار منكور • لقد كانت القرى التي شهدناها صغيرة ، عضها الفقر بنابه • وفي الساعة ١١٫٣٠ صباحا وصلنا (شارويت) مستقر الشاب (كاحسين)، وكان ان وقع في حيص بيص عندما رأيناه يستحم • وما ان ارتدى ملابسه الا اخذ بيدنا الى مضافة حسنة جديدة ، لم يمر على بنائها اكثر من سنة او سنتين ، وكان ذلك على يد بايز باشا • كان مشهد التلال التي تطيف بنا رائعا عجبا ، و (كلالا) يعلو على الكل • انه منحدر ضخم اسود تتوج الثلوج هامته ، وفي الامكان ان يرى وراءه النشز المعروف بـ (زرنيسكيا) و «عرف» (قنديل) ، والاخير ملك هذه القمم المجللة بالثلج طرا ، وقيل انه يضم حتى (تبريز) في مسح له عريض ، وفي شارويت ينبوع ماء كبير • ووردنا (قلعة ديزه) قبيل الغروب وامضيت الليلة حتى منتصفها دآبا على حديث مع (بابكر اغا) يتصل بشؤون ذوات بال •

وعند الصبح من اليوم التالي ودعته ، ولم اره بعد ذلك حتى يومي هذا • وسيبقى في خاطري باعتداده اعقل واعظم الزعماء الاكراد الكثيرين الذين قدر لي ان اقابلهم خلال السنتين اللتين امضيتهما في كردستان •

وعندما عدنا الى مقرنا سلمت واجبات وظيفتي الى النقيب باركر ، ذلك أن خلفي النقيب بيل لم يكن قد وصل بعد • واثر حفلة وداع حفيلة رحلت الى بغداد •

لقد خامرني بالغ اسى وانا ادير الظهر الى (كوي) . ذلك ان قد نما في قلبي حب تلكم البليدة النائية الصغيرة المؤنسة واهلها ، وامرهم عجب . لقد غدت اعرافهم لحين من الدهر اعرافي نفسها ، واصبح ما يكلفون به هو ما اكلف به شخصيا ، كما غدت ثاراتهم ثاراتي عينها . وبشعور من خواء واسى وجدت نفسي في العالم الخارجي كرّة اخرى. اني لاحسب ان الشهرين اللذين قضيتهما في (كوي) كانا من احب الاشهر التي مرّت علي في كردستان .

الفصل العاشر

اربيل ...
كرة اخرى

وكانت ان انتهت اجازتي ، فعدت الى (بلاد مابين النهرين) بسبيل حلب ، ووصلت الموصل يوم الـ ٣٠ من حزيران . هناك تلقيت اوامر بالشخوص الى اربيل وتسلم مهام (مساعد الحاكم السياسي) فيها من (الرائد موري) . وكان ان وردت المدينة يوم الـ ٣ من تموز ، لكن (الرائد موري) لم يغادرها حتى الـ ١٣ من الشهر . وبين هذين التاريخين وقعت حوادث عديدة كانت تنذر بشر مستطير ، وعندما تسلمت مهام وظيفتي لم تكن اربيل «فراشا من ورد» .

وعلى الرغم من ان العنصر السائد في منطقة اربيل ، فيما خلا مركزها ، هو العنصر الكردي ، لكنها لم تجعل في ولاية (الشيخ محمود) ، وبنتيجة ذلك لم يتبوأ رؤساء قبيلة الـ (دزه يي) ، على غرار ما تبوأ جيرانهم الـ (خوشناو) ، من مناصب رسمية رابحة مربحة . وما كانوا ممن يشغف به (حكمدار السليمانية) حبا ، وفي الحق انهم كانوا ينظرون اليه نظرة الزراية . لكنهم لن يتحملوا ، بصمت ، رؤية اناس يعتدونهم اقل منهم خطرا ، ويتقاضون معاشات كبيرة ويتسمون بالمكانة والتبجيل . لقد كانت ثورة الشيخ محمود ، في ايار سنة ١٩١٩ [1] ، وعلى الرغم من انها باءت بخيبة واخفاق ، لكنها

---

(١) ادرك الشيخ محمود الحفيد رحمه الله ، ان الحياة ليست لهوا ولا لعبا ، وليست هي لليسر والدعة ايثارا ، وانما هي جهاد ونهوض بالتبعة الثقلية ، ولم يفتنه منصب (حكمدار السليمانية او كردستان) ، لذلك ناصب الانكليز العداء ، وناصبوه . واليك حديث الثورة الكردية بقيادته بوجيز كلام . كان الشيخ محمود قد امر احد انصاره المسمى (محمود خان دزه ئي) باحتلال مدينة السليمانية ، فقام هذا بذلك ليلة ٢٠/٢١ من ايار سنة ١٩١٩ وتم اعتقال الضباط والجنود البريطانيين الذين كانوا فيها . وكان ان جرد الانكليز حملة على الشيخ محمود فتصدت لها قوة كردية عند

اظهرت ان في الامكان تحدّي الحكومة الجـديدة ، كما انها بعثـت موجات من القلق والاضـطراب في طول البلاد وعرضـها • وبقى رؤسـاء الـ (دزەيي) ثابتين صامتين ، آملين بان ولاؤهم يعود عليهم بما يحسّن حالهم • لكن الامل خاب كرّة اخرى • ثم جاء بعد ذلك تخمين حاصل الشعير • لقد قام الموظفون المختصون باجراء تخمين هو اقل بكثير من الحاصلات ؛ فنقل (انور افندي : مدير مخمور) [٢] الحقيقة هذه الـى (الرائد موري) الذي أمر بمعاودة (التخمين) في بعض المناطق • لقد جاد هذا على اغوات الـ (دزەيي) بعذر ، فحمل احمد باشا زملاءه الثلاثـة على توقيع مضبطة وارسالها الى (مساعد الحاكم السياسي) • قالوا فيهـا ان جميـع موظفـي الحكومة هم مـن الفاسـدين العاجزين، وانهم بسبب عداء شخصي بالغوا في التخمين ، وان من الافضل للمنطقة

(طاسلوجة) ، قرب السليمانية • فهزمتها • وبقى الاقتتال بـين الانكليز والثوار الاكراد دائبا حتى يوم ١٩ حزيران ١٩١٩ اذ دارت فيه بين الطرفين « المعركة الكبرى » عند مضيق (دربندي خان) ، استخدمت بريطانيا فيها فرقة من جندها معززة بالمدرعـات والطائرات والمدافع ، وكان الثوار الاكراد الباسلون بقيادة الشيخ محمود ذاته . وكان ان استطاع الانكليز ، بخيانة بعض (الاغوات) الضالعين في ركابهم التسلل مـن وراء قوات الثـوار فطوقوهم وجرحوا الشيخ وقضوا على رجاله . ثم نقلوه الى كركوك ومنها الى بغداد . لقد احيل الى محكمة عسكرية بريطانية . فأبت نفسه الكريمة الاعتراف بصلاحيتها لمحاكمته وذلك باعتداده (حكمدار السليمانية) بل و (كردستان) كلها ، بينما المحكمة اجنبية بريطانية . لكن المحكمة مع ذلك كله حكمت عليه بالاعدام ثم بدل الحكم الـى السجن المؤبد . ولما كانت السلطة البريطانية المحتلة تخشى بقاءه في العراق لذلك نفته الى الهنـد .

ويرى العسكريون المطلعون على فن القتال ان سبب اخفـاق ثوره (الشيخ) يرد الى انه قام بقتال جبهوي بازاء قوة بريطانية مدربة، اكثر عددا وامضى سلاحا وكـان عليه الاخـذ بحرب الانصار في المناطق الكردية طرا .

(٢) هي الان قضاء مخمور .

(المترجم)

ان جرى حكمها من قبلهم كسوظفين . وما ان وصل هذا المكتوب الا امر الرائد موري (كاتبه) بالمجيء الى اربيل،لكنهم بحجةغير كافية ، رفضوا ذلك . وارسلت اليهم مذكرة شديدة اللهجة ، لكنهم بروح التحدي شطرا ، وبسبب الاشفاق من عقاب غليظ قد ينزل بهم عند المجيء شطرا آخر ، بقوا على حال من العتو والمكابرة .

تلك هي الحال السائدة لدى وصولي . وكان ان بذلت جهود كثيرة لحمل رؤساء الـ (دزه يي) على التعقل والاستبصار ،لكنها جوبهت من قبل اناس يقطنون المدينة وينطوون على الشر طبعا . لقد ارسل هؤلاء الناس رسلا الى رؤساء الـ (دزه يي) يحرضونهم على الثورة ويؤكدون لهم بان مصيرهم الاعدام او النفي ان وردوا اربيل ، ولا محيص عن مثل هذا ولا مناص . واخذ وجه الحال يربد يوميا ، وينذر بيوم كان شره مستطيرا ، لذلك عمد اغلب موظفي الحكومة في ديار الـ (دزه يي) الى ترك مناصبهم فيها ومغادرتها .

وفي (المدينة) كان الوضع يثير القلق ايضا . ذلك ان تصرفات الدرك الطاغية الهوج ، كشأن تصرفات شرطة المدينة ، اثارت الاشمئزاز بين الناس طرّا . وكانت ثمة جمعية سرية ذات فروع وسيعة ناشطة دائبة تبث الدعاية المعادية لبريطانيا . كما كان بعض سراة القوم اشدّ الناس دعما لها . ويأتي في مقدمة اولئك السراة : (الحاج رشيد اغا) ، وهو رجل اثار المتاعب في ايام الاتراك غالبا ، كما كان يتطلع الى يوم يقدم فيه البريطانيون ، وما ان قدموا الا كان اول من يطالب للاتراك الرجعى . انه رجل طويل القامة ، حسن المظهر ، يتمسك بشدة بالاعراف الشرقية العتيقة ، لكن حظه من التعليم قليل ، ومن التفكير اقلّ (كذا : المترجم) . انه يزجي الوقت حصرا في سلب الارضين ، ويضج مكثرا فلا يغدو عدوا ذا خطر حقا . وابنه الاكبر (عطا الله اغا) متخلف ضعيف يرتدي الملابس الاوربية ، وانك لتشاهده في السوق يحمل سبحته ويتسكع يوميا ناشطا في الدعاية المضادة لبريطانية ايضا .

ومن معيار مختلف عن (علي باشا) [٣] • انه رجل ضخم ، لايزال فـي شرخ الشـباب ، ذو اخلاق محبّبة وعلى حظ عـال من التربية • لقـد اكتنز ثروته وحصل على لقبه خلال الحرب العالمية • كان عضـوا ناشطا في (جمعية الاتحاد والترقي) وعندما جاء البريطانيون ابت اماتتـه ان يقول ، بصراحة بانه يفضل الاتراك عليهم تفضيلا ، لكنه ، بعد ذلك ، لم ينغمر في بث الدعاية المناهضة لبريطانية جهرا ، وقد خدعت بانـه اخذ يمالئ الحكومة الجديدة زمنا • لكنه كان ماهرا بارعا في الأئتمار اذ (ما علمت ما عليه مما له) ، وبأبتسامته العذبة الدسمة ، وحديثـه الناعم السـهل ، كان يلفّ مخططات تنصب على نسـفي ، لاتعـد ولا تحصى • لكنه لم يكن ليورّط نفسه الا على الندرى ، وثمة حادثـة فذّة فتحت له السـبيل اخيرا • ومن الممتع ان نذكر ان كلا من (الحاج رشيد اغا) و (علي باشا) كانا يشدان من ازر عصابات من قطّاع الطرق، كان آحادها ، في ايام الاتراك ، من الشقاة التابعين لهما ويتقاضون عن افعالهم اجراء وبمثل هؤلاء غدا جوار اربيل على حر المقلى [٤] • وسرى فيها النزع سريان النار في الحطب الجزل • وما كان القائمقام التركي بقادر على وضع حد لمثل هذا ، وغدا على الاغلب ، اداة في ايدي هذين الاغويين اخـيرا •

وكان يدعم الدعاية المناهضة لبريطانية عدد من الموظفين الاتراك الفاسدين الذين فقدوا وظائفهم ايضا ، ينضاف اليهم بعض النـاس الذين هم اقل وجاهة وممن وجدوا في كسب قوتهم بالسبل الشـريفة عسرا • ومن الاخـيرين (الحاج سويد اغا) وهـو سـكير معروف ، وامرتـه •

وفي اليوم التاسع من تموز وقعت حادثة روّعت الناس في حينها

---

(٣) الراجع انه يريد (علي باشا الدوغرمجي) وجيه اربيل (رحمه الله) وعضو مجلس الاعيان في العهد الملكي الداير •

(المترجم)

(٤) المقلى : هي الطاوة بلسان عامة العراق •

(المترجم)

وأسفرت عن ان يفقد بعضهم حياته الا انها ساعدت على تنقية الجو حقا والحيلولة دون وقوع متاعب ذوات خطر في المدينة طوال سنة وزيادة • وكنت قد تسلمت ، صباح ذلك اليوم عينه ، شكوى من الحاج سويد اغا ، المذكور آنفا ، ذكر فيها ان ابنه (يونس) قد اهين من قبل الشرطي العربي في الامسية الدابرة ، ان ذلك قد جرى في مسرح أربيل وعلى ذلك اصدرت تعليماتي القاضية بأن يمثل جميع القوم امامي ، في اليوم التالي ، كي اقوم بالتحقيق في (القضية) بنفسي • لكن (سويد اغا) كان يرى غير هذا • ذلك انه قد صمم على اثارة القلق والاضطراب • وفي امسية التاسع من الشهر دعا الى العشاء كلا من عبدالله افندي ، وهو موظف سابق في الحكومة التركية ، و (بوبو) اليهودي وهو صاحب حانة ، وامينا الحلاق معا • وكان كل من ولده (يونس) واحمد بك نجل صالح بك زعيم الـ (خوشناو) حاضرين ايضاء واخذ من علت بهم السن من الرجال يرتشفون بحرية ، وما ان فرغ من الطعام الا اتخذ القوم كلهم السبيل الى المسرح • وذهب (الحاج سويد اغا) واخدانه الى مؤخرة (مبناه) ووضعوا اريكة من ارائكه فوق اخرى ثم جلسوا في مكانهم السامق يلعبون الورق ويحتسون العرق • وفي نحو منتصف ما كان يجرى على المسرح قفز الحاج سويد اغا ، وهو رجل ذو جرم كبير ، الى ارضية الـ (تياترو) واخذ يكيل الشتائم ، بالفاظ بذيئة ، للاعبين على المسرح ويأمرهم بالتوقف • ثم انه خاطب الحاضرين ولعنهم لانهم لم يساعدوا ابنه بازاء الشرطي في الامسية الماضية • ولما رأى الجمهور ان وراء الاكمة ما وراءها وان الوضع ينذر بشر مستطير ، لذلك اخذوا بمغادرة المسرح ، على حين سار (العريف ميثوين) وفي اثره العريف كينارد الى الحاج سويد اغا لينيلاه الجزاء الاوفى • وكان ان رفض الاخير الجلوس والاخلاد الى الهدوء والسكينة ، فحاول العريف ميثوين سحبه الى خارج (المسرح)• واعقب ذلك هرج ومرج وسمعت عدة اطلاقات نارية سريعة متتابعة سقط خلالها العريف ميثوين صريعا • وجرح الحاج سويد اغا جرحا

بليغا ، كما جرح كل من العريف كينارد واحد رجال الحاج سويد اغا جرحا طفيفا • وشوهد اثنان من رجال الدرك البلدي ، كانا في (المسرح) ، يزحفان تحت المقاعد ، لكن رأس عرفاء الشرطة (باشجاووش) عز الدين قام بعمل ممتاز اذ انه القى القبض على جماعة الحاج سويد اغا ، فيما خلا (يونس) و (احمد بك) وقد كانا جالسين في قسم آخر من (المسرح) واستطاعا الهروب (والليل يخفي بالظلام هروبهم) ، ومن حسن الحظ ان الاهلين لم يبدوا رغبة في الانغمار في خضم تلك الاضطرابات •

وعثر على (يونس اغا) في اليوم التالي مختبئا في سرداب ،فاطلقت عليه النار وهو موشك على التسليم وجرح جرحا بالغا ، وكان ذلك من قبل الشخص الذي زعم انه اهانة ، واسمه : عبد الوهاب • ولم يكن هو ولا كان ابوه صالحين للمحاكمة طوال اسابيع عديدة • وتحت وطأة الايقان بأن القاتل كان يونس نفسه اطلقت سراح عبدالله افندي ، وبابو ، والحلاق امين بكفالة • وكان احمد بك قد هرب الى التلال ، ومضى طويل زمان قبل ان استطع حمل والده على الاتيان به الى اربيل نزلا • وما ان جاء الالماح تلميحة حملتني على راسال جماعة تتحرى بيت عبدالله افندي• وفي ركن مظلم وجدت (الجماعة) صندوقا ثقيلا من حديد ، وعندها اطلق على حين غرة صاحبه حسرة صادرة من كبد حرى ، اذ عثر في صندوق الحديد مسدس تنطبق اوصافه على اوصاف المسدس الذي قتل به العريف ميثوين ذلك ان الرصاصة كانت قد استخرجت من قلبه • واثر محاكمة جرت في ايلول ، شنق عبدالله افندي على حين القي كل من الحاج سويد اغا ويونس في غيابة السجن يقضي اولهما فيه ٥ سنوات والثاني مؤبدا وواربنا العريف ميثوين التراب ، وكان لفقدانه في نفوسنا رنة اسى ، وذلك خارج القرية النصارنية المسماة (عينكاوة) •• ان قبره فوق تل قرب مرقد احد الاولياء البلديين ، ويشير اليه صليب ، ويعنى به اهل القرية في يومنا هذا •

ومن اللازم ان نعود ، الآن ، الى قضية الـ (دزهيي) ، اذ اخذ الحديث يدور بشان اجراء عسكري ، وهو امر كنا نرغب في ان نتفاداه مهما كلف الامر ، ذلك ان رؤساء الـ (دزهيي) لم يقوموا بما لايمكن الصفح عنه ، وان ديارهم زاهرة بالسكان آهلة ، والاجراءات التأديبية تنزل ، عادة ، البؤس والشقاء على الآلاف من الناس الابرياء .. وفيما بعد ظهر اليوم العاشر ، وبموافقة الرائد موري ، اديت زيارة شخصية الى رؤساء الـ (دزهيي) محاولا ان اعيدهم الى جانب الصواب والحكمة . وكان رحيلي في سيارة ، صحبة موظف حكومي يدعى اور افندي . وما ان بلغت قرية (مركوزار) الا اوقفت على الطريق من قبل رجل صغير الجرم ، في منتصف العمر ، تبين انه (الحاج بير داود اغا) احد اربعة هم رؤساء الـ (دزهيي) . لقد اعلمني هذا ان الزعماء الثلاثة الباقين موجودون في (مضافته) . لذلك اوقفت السيارة ودخلت صحبته اليها ، ولم اشهد ، في الوقت نفسه ، اية امارة دالة على استعدادات عدائية .

انها اول مرة اقابل فيها الرجال الثلاثة ذوي الخطر الاكبر ، واری لزاما علي تقديمهم الى القاريء ، ذلك انهم سيسددون خطانا في البقية الباقية من (فصول الكتاب) .

يجيء في مقدمتهم : ابراهيم اغا ، وهو رجل خنق السبعين من عمره، لكنه ظهر اقل من ذلك بسبب من شعر لحيته ورأسه المصبوغ باللون الاسود . انه متوسط القامة ذو ناصية عالية ، وله عينان براقتان سوداوان ، وانف بارز . ان وجهه ذو تجاعيد خلفتها سنو عمره الحفيل بالمتاعب والاحزان ، مرت عليه خلال حياة مليئة بالنازلات . ذلك انه اثر اقتتال وجهد ، بلغ من الكبر عتيا ، لكن شخصيته صقلت وكأنها الذهب الابريز خرج ، لساعته ، من نار . ولما كان ذا شخصية نفاذة، لذا كاد يعبده ذوو قرباه واتباعه . وكان يرد على احاسيسهم بعطف حار وانصراف الى كل ما يريحهم ، وهذا شيء لاتقف عليه عند كردي الا على ندرة . وكان رجلا شيخا ماهرا حاذقا ، ودبلوماطيقيا ، ومحدثا

ممتازا ، وذو رصيد كبير من صوب القريحة . انه ، بلديا ، صانع تاريخ ، ذلك انه طوال ٣٨ سنة خلت ، وفي ايام ابيه ، قاد طائفة من الاكراد عبر (جبل قره جوغ) واحتل (مخمور) . وفيها ، اثر سنين عديدة من الاقتتال بازاء اعراب شمر ـ ثم الاتراك ، وفق الى اشادة كيانه . وجاء في اعقابهم آخرون عديدون ، لكن مرد جعل (قره جوق) مزروعة مسكونة ، بعد ان كانت بورا قاحلة ، يعود الى اخذه بالمبادرة. ثم كان ان انغمر ، بعد ذلك ، في معارك جمة ، بازاء رؤساء الـ (دزه‌يى) المنافسين له ، على ماقصصنا ذلك عليك آنفا ، وفقد ولده البكر خلالها. ان ولده الباقي على قيد الحياة انذاك ، اعنى (مشير اغا) شاب في العشرين من العمر ممراح مبذر ، لم يأت الوقت الذي يدرك فيه ان الحياة ليست لهوا ولا لعبا وانما هي جد ونهوض بالتبعات الضخام. وقيل ان ابراهيم اغا نفسه ، في اول عمره ، كان على هذا ايضا . لذا هناك امل في ان يسير الابن على درب ابيه .

حقا ان ابراهيم اغا هو زعيم الـ (دزه‌يى) غير مدافع وغير منازع، وكل فرد في القبيلة هذه ، فيما خلا عشيرته الاقربين ، يقر له سلطانه . انه يمتلك ،مع اخوته ، نحو ٣٠ قرية ، على حين ينظر اليه كثيرون آخرون باعتداده زعيما لهم . كان هو ، وعشيرته الاقربون ، يعرفون باسم (فرع بايز) في قبيلة (دزه‌يى) وهو مسمى على اسم (ابيه) ، ومن الرائع ان يكون هؤلاء القوم مجموعة طيبة . وفي مقدوري ان اذكر منهم سبعة او ثمانية يتفوقون بتكوينهم الجسماني والخلقي على رجال الفروع المنافسة لهم في القبيلة الى ما لايحد ، لا استثني الا ابن احمد باشا الاكبر : خضر .

ولننتقل الان الى (احمد باشا) هذا . انه كثير الكلام ، ذو جرم صغير ومتين ، عمره ٦٠ سنة او زد عليها ، وحظه من التعليم قليل كشأن تصرفه [٥] . انه تاجر ناجح ينشد الربح اكثر منه برئيس قبيلة . انه

---

(٥) هذه انطباعات (المؤلف) الشخصية نبثها بدافع من امانة الترجمة ، وقد تكون مع الهوى جارية .

(المترجم)

يعرف غالبا باسم (كاه فروش) او (تاجر التبن) ، هدفه الوحيد في الحياة اكتناز الثروة . انه غير قادر على ان يمسك بزمام لسانه كما يفتقد الحصافة ، لذلك فهو لن ينشد كصديق ، ولا يشفق منه كعدو . ان مسلكه في الحياة ، غريب وعجيب . ففي اوائل عمره كان معدما لا يملك شروى نقير ، وكان يقيم اود حياته عن سبيل (لعب الطاولة) في مقاهي اربيل . وما ان مل هذه الحرفة الا عمد ، ذات يوم ، الى سرقة زوج من البغال وفر بها الى (كنديناوه) ، وهي بسبيل الاستيطان ، فبدأ يشيد قرية بها وجذب اليه عددا من المزارعين ، لكن حصاد السنة الاولى باء بالاخفاق التام . وقدم الى الحكومة طلبا يرجوها فيه اعطاءه قرض يستطيع به ، هو وجماعته ، من ان يشتري للربيع التالي حبوبا . وما ان حصل على مبلغ جسيم الا عمد الى احتجانه لنفسه ، بعد ان كان المفروض توزيعه على مزارعيه . ثم انه اخذ يسلف القروض اليهم بفائدة فاحشة . واثر هذا ذاع صوته ، وانتشر صيته ، وازدهرت حاله ، واصبح يملك ، مع ابناء عشيرته الاقربين ، نحو ١٨ قرية ، ويكتنز على ما قيل ، ٢٠٠٠٠٠ من الجنيهات الذهب في بيته ، تضاف الى ذلك مبالغ جسيمة سلفها بفائدة . كان يستطيع ، بشراه ، ان يشتري عون الحكومة التركية دوما ، وذلك بقدر تعلق الامر بابتزاز الاراضي او في صراعه مع ابراهيم اغا ، والاخير رجل فقير نسبيا ، ومرد ذلك الى انه لا يأخذ من مزارعيه كرها الا القليل ولانه يبذر المال في سبيل القرى .

وعلى ذلك ، ما ان وجد (احمد باشا) ان العدالة البريطانية لايمكن ان تشترى ، الا عمد معجلا (كزورة طيف مر في سنة الكرى) الى اظهار تحيزه بازاء الحكومة ، ولعله كان المحرك الاول للاضطرابات الراهنة .

والحاج بير داود من طراز مختلف . انه رجل صغير الجرم حسن المظهر نوعما ، وفي الـ ٥٥ من العمر ، ذو عينين سوداوين حادتين وشوارب طويلة ، وله صوت جميل ناعم - ولم اسمع انسانا ينشد

الشعر الفارسي انشادا حسنا كأنشاده ــ لكن له قلب (ابو مرّة)[6] •
انه ، وآحاد اسرته جميعا ــ وكلهم ذوو شعر احمر تقريبا ، وذوو اجرام دون المتوسط ، وكثيرون منهم مصـــابون بالامراض ــ ليعرفون في اربيل باسم (ملعون)[7] وهي كلـــة أريدت ترجمتهـــا على حقيقتها تعني الفئة غير الصالحة (كذا : المترجم) •

وهو حسن التعليم ومؤامر ماهر ، وكان ان عقد الخناصر مـــع (احمد اغا) بازاء الحكومة ، وقدم للحركة الفكر المدبّر ، كما دبّـــر شريكه المال المدبّر • انه رجل يجرى على هواه شاطر لايكبح ، لكنه يظهر ، دوما ، تقوى عظيمة ، وقد حج بيت الله ، وقيل ان ذلك جرى لان ظروف بلاده ، في ذلك الابان ، صيّرت الجو حارا بالنسبة اليه • وانه وابناء عشيرته ليملكون نحو ١٨ قرية •

ورابع الرهط من الرؤساء هو (رسول اغا) ، وقد عرفناه ، ولو قورن بالاخرين لظهر وكأن لا وجود له •

انهم الرجال الذين وجدتهم في مضافة : مير كوزار • لقد تـلكم الرعب الآن فتماسكوا ، وكل منهم يشفق من الاخر لئلا يحاول ولوج اربيل منفردا اولا ، قبل رفاقه ، فيصيب تعا • وما كان فى مكنتي ان اقدم لهم شروطا، ذلك انني لم اكن قد تسلّمت مهام وظيفتي من الرائد موري ، لذلك خيّل اليهم ان في انتظارهم ضروبا من العذاب شـــتى • واقترحت على (ابراهيم اغا) ان يأتى معى فى سيارتى ، لكن الاخرين منعوه من ذلك • واخيرا واثر حديث كثير ، وافقوا جميعا على المجيء فى اليوم التالى الى بيت (ملا افندي) في (باداواه) الكائن خارج اربيل تماما ، وذلك لبحث الشروط مع الرائد موري •

---

(٦) من كنى الشيطان .

(٧) نعود ثانية فنقول انها اراء (المؤلف) بحق هذا الرهط . ولعله فى ابدائها ينطق على الهوى ، ونحن نثبتها بسبب من امانة الترجمة ، وقد تكون بعيدة عن الحقيقة كل البعد . (واما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض)

(المترجم)

ولم يف زعماء الـ (دزه يى) بوعدهم ، فلم يحضروا فى اليوم التالى، ولم تسعفهم الشجاعة للاجتماع في (باداواه) الا بعد مغادرة الرائد موري • ولبثوا فيها بضعة ايام ، لكنهم كانوا مرتابين متشككين من نواياي ، بحيث انهم كانوا ينسحبون الى احدى قراهم تحت جناح الليل الصريم يوميا • وباصطناع (ملا افندي) و (احمد افندي) رئيس البلدية كوسيطين صيّرت اولئك الرؤساء عارفين بشروطى ، وهي : دفع غرامة قدرها ٢٠٠ بندقية ، وايداع مبلغ ١٥٠٠ ليرة عثمانية لمدة ستة اشهر ، والبقاء في اربيل ضمانا لتنفيذ الشروط • وحاولت ان اعزل ابراهيم اغا عن رفاقه بان يكون له اعتبار في اربيل ، لكن (احمد افندي) الذي كان يعمل في سبيل ذلك نيابة عني، لم يستطع ان يكلّمه منفردا • وغب ثلاثة ايام او اربعة جرى خلالها تفاوض كثير لم يكن بمثمر ولا جدير ، وكانت الامور تمضي ابانه جيئة وذهوبا ؛وما ان بزغ ضوء نهار يوم الـ ٢٠ الا غادر رؤساء الـ (دزه يى) « باداواه » متخذين السبيل الى قراهم عائدين •

وغلب اليأسُ الاملَ في نفسي ، ولم يبقَ الا طلب اجراء عسكري • لكن (للامور بغتات) ، فبينا كنتُ جالسا على السطح ، تلكمُ الامسية عينها ، وبعد جنوح الشمس الى مغربها ، عجبت من رؤية شخص يعتلي تحف به المهابة والجلال ، وان كانت الهمة منه خائرة تلقاء بيتي متجها • وقبل ان يصل الباب جاءني احمد افندى مهتاجا قائلا : انه ابراهيم اغا • كان شيخا عصبيا جدا صعد درجات السلّم حتى بلغ سطح بيتي ، اما انا فقد :

(طفح السرور علي حتى انني   من عظم ما قد سرني ابكاني !)

وهكذا مرت الازمة بسلام ، وأخذت اجابهه كأمير لا كشخص يزدرى • وشاركني في احتساء الشاي والقهوة ، وسرعان ما غدونا صديقين حميمين • وقبل ان يغادر البلدة امضى ليلته في داره الكائنة فيها ، ووعد بانهاء خبر الى الزعماء الآخرين يأمرهم فيه بالمجيء فى اليوم التالي •

وعلى الرغم من ان احمد افندي لم يستطع ان يكلم ابراهيم اغا على انفراد في (باداوان) لكنه استطاع ان يسر الى احد اتباعه شيئا • وبينا كنا راكبين ، عائدين ، ذلك اليوم نفسه ، دعا الرئيس الهرم داع من حاجة طبيعية ، وعندها استطاع التابع تسليم رسالتنا اليه • لقد احتل اول فرصة لتسليم الورقة الى رفقته ، ثم عاد بعدها الى اربيل •

وفي اليوم التالي ، وفي نحو وقت الغداء ، جاء رسول اغا والعرق يتصبب من وجهه ، ثم جاء في اثره ، بعد سويعات كل من احمد باشا والحاج بير داود •

وجيء بالبندقيات في الوقت اللازم واودع الاعتداد كله فيما خلا ٥٠ ليرة جرى حولها شجار شديد • ذلك ان كلا من ابراهيم اغا ورسول اغا اصرا على ان احمد باشا هو الملزم بدفعها ، على حين كان احمد باشا والحاج بير داود يذهبان الى انها من حصة رسول اغا • ودفع احمد باشا المبلغ في خاتمة المطاف ، لكن الطائفتين اللتين سبق القول عليهما بقيتا ، خلال بقية الايام التي قضيتها في اربيل ، متناصبان العداء بعضهما بعضا •

وما ان دفع رؤساء الـ (دزه يي) الغرامة المفروضة عليهم الا كان الصمد [٨] على النظر في شكاواهم ، الى الحد المستطاع ، وذلك بتقديم مناصب الى كل من ابراهيم اغا ، ورسول اغا ، والحاج بير داود ، واعتدادهم حكاما رسميين في النواحي الثلاث ، في منطقة الـ (دزه يي) • وقبل الزعيمان الاولان بذلك ورضيا ، لكن الحاج بير داود رفض ذلك متغطرسا ، ولما كان رفض قيام احمد باشا ، بخدمة ما ، امرا معلوما ، لذلك عينت اخا ابراهيم اغا الثاني ، رحمن اغا ، عنه بدلا • وتم الاعتراف بابراهيم اغا ، بالنسبة الى القبيلة كلها ، رأسا رسميا • وعلى ذلك اصبحت المناصب بيد جماعة ابراهيم اغا جميعا ، ومنذ هذا الوقت فصاعدا ، دأبت على ان اسدي لها عونا ، فنلت على ذلك الجزاء الاوفى ، ذلك انها هي التي انقذتني ، واربيل ، عندما

(٨) الصمد ، لا الصمود على ما هو شائع غلطا • (المترجم)

نجمت الازمة اخيرا .

ولم يتعاطف جميل اغا ، زعيم قبيلة (گردي : گەردى) مـع الـ (دزەيي) في معارضتهم سلطات الحكومة [٩] . لذلك اهتبلت اول فرصة سنحت لزيارته وتقديم الشكر على ولائـه . انه يقطن قرية (بحركة) الكائنة في غور قرب (باستورا جاي) ، حد المنطقة الشمالي ــ الشرقي . ينتمي جميل اغا الى اسوأ صنف باعتداده كرديا (كذا : المترجم) . انه طماع ، مختال ، فخور ، يكلف بالمظهر ولا يفكر في شيء لاتنع له من ورائه ولا جدوى . لم ترسم السنون التجاعيد على وجهه ، وان لـه جسما حسنا . ان ناصيته واطئة ، وله عينان سوداوان تتنقلان ، وفم يقذف بالتبرم فيخون صاحبه . لقد خدعني ، اول الامر ، بكـلامه المعسول ووعوده الطافحة بالحذلقة ، لكني علمت اخيرا انه احد ابناء طبقة وسيعة تقوم على خدمتي ما دامت واثقة من ان لها في ذلك نفعـا وفائدة . وكانت عنده مضافة حَسَنه ، ادخل فيها عددا من الكراسي المكسّوة بالـ (قطيفة : قديفة) ، قام بتنجيدها احدث نجّار في اربيل . وقدم لي طعاما فاخرا غير مألوف ، وبعده حاول شيخ حبيب الى القلب، ذو لحية بيضاء ، ان يشنّف منا الاسماع باغنيات فولكلورية شائعـة ذائعة . وفي خلال الامسية بحثنا في تصرفات بعض مثيري القلاقل في منطقة رواندوز . وتنهّد جميل اغا وقال : « آه ، انهم في عداد التوافه الاغمار . ولو تركت الامر لي لسرت اليهم غدا بـ ٢٠٠ رجل ، ولانهيت امرهم قبل ان يرتد اليك طرفك . وفي الحق ان قبيلته لم تكن بقادرة على اعداد اكثر من ٥٠ من حملة البندقيات ، ولو صدّقت كلماته على ظاهرها ، لكان على استعداد للاتيان بأعذار عدّتها مئة ! . »

وما أن انهيت مشكلة الـ (دزەيي) الا استرعيت عنايتي ، مـن الفور ، الى قضايا الواردات ، ذلك ان الحال القائمة كانت تتداخل على

---

(٩) تسكن عشيرة گردي في منطقة التلول المجاورة لـ (وادي باستورا) والسهل ابتداء من عينكاوه وتشتغل بالزراعة ونسترجح انهـا قدمت من كويسنجق .

(المترجم)

وجه خطير بغرض الحنطة • لقد وردت العائدات على الوجه الوافي ، لكن الواضح الجلي هو ان رجال الخرص لم يسجّلوا احتسابهم الخاص ، وانما سجّلوا ما افضى به الاغوات لهم ، او هذا الذي سجلوه لقاء ما دفعوه لهم • لذلك رحلت في الايام الاخيرة من تموز ممتطيا صهوة جوادي ، ومعي خوجه سيبي العينكاوي [(١٠)] وعدد من موظفي الواردات لتدقيق العمل المنجز ؛ فزرت نحو ٣٠ قرية من ناحية قوش تبه [(١١)] • وكانت الوديقة على اشدها ، وكنا ندأب على العمل من الساعة الخامسة حتى الساعة الـ ١١ صباحا ، ومن الساعة الـ ٣ حتى الساعة الـ ٧ مساء • عسير على اي شخص يعيش في الاجواء الشمالية تصور كنه الركوب في مثل هذه السهول الجرداء ، في مثل هذا الفصل الذي يمثّل احر ايام السنة • فالشمس ترمي من عل سهامها المحرقة القاسية ، فيعكسها وجه الارض العاري بالشدّة نفسها • ان كل شيء غارق في ضباب يتراقص ، وقد يشاهد مسافرين يمرون من خلاله ملثمين ملثمين ، وكأنهم يمرون خلال عاصفة ثلجية • ذلك انه كلما ازدادت حرارة اليوم كلما اكثر ابناء البلاد من ارتداء الملابس ، انهم بذلك شاعرون بخطر تعريض الجسم الى الهواء اللافح • وليس عمل الخرص، بأي وجه من الوجوه ، يسيرا • فحب الحصيد يجعل كومات ، قبل دياسته • ومن الضروري ان يدور المرء حول كل كومة ليقدرها وليفحصها بعناية ، اعنى ان كانت وثيقة التكويم او غير وثيقة • وعليه ان يتناول من الحب ملء كف ليقرر نسبة ما فيه من تبن ، واخيرا عليه ان يتعرف على نوعها ووزنها • وما ان يتم ذلك الا يجب اجراء تخمين للوزن الكلي للحبوب الناتجة عن كل كومة ، عندما تتم دياستها • ان خبراء من امثال خوجة سيبي يتوصّلون عادة الى نسبة قدرها ١٠ بالمئة

---

(١٠) عينكاوه مركز ناحية اربيل التابعة لقضاء مركز اربيل •

(المترجم)

(١١) قوشتبة ومعنى اسمها (رابية الطير) هي الآن مركز ناحية تابعة الى قضاء اربيل •

(المترجم)

من المجموع • اما الهواة ، فعلى الرغم من انهم ، اثر خبرة طفيفة ، يستطيعون احتساب ٩ كومات بدقة ، لكنهم يرتكبون خطأ فظيعا في العاشرة •

ومضت الايام في اربيل تنادي ، بعضها بعضا ، رخاء سراعا • وكان العمل كثير ، واكثر مما استطيع وحدي القيام به حقا • كنت اتسلم كل صباح ما معدله ٣٠ عريضة ، تتصل بكل امر يخطر على البال • وكنت قادرا على احالة كثير منها الى الموظفين البلديين (المحليين)، لكن كان هناك دوما عدد من القضايا التي علي ان انظر فيها شخصيا • واعتدت على مغادرة مكتبي مرة واحدة كل صباح ، لازور الطارمة الكائنة في خارجه ، حيث اعتاد ارباب الشكاوي الانتظار فيها • وهنا كنت احادثهم شخصيا ، وعلى ذلك اصبح في مقدور كل من يرغب في مقابلتي ان يقابلني فيها • ولو لم يكن ذلك لمثني كثير من ارباب العرائض باهمال الموظفين الفاسدين • وكانت منازعات الاراضي والقضايا الجزائية من شأني حصرا وتستغرق من وقتي قدرا كبيرا • كما كان ثمة زعيمان ، او ثلاثة زعماء ، على التقريب قدموا من الخارج ويقيمون في اربيل يختلفون الى صباح كل يوم دوما لمقابلات تستطيل زمنا • تنضاف الى ذلك كله هذه المخابرات المعتادة التي يجب النظر فيها ، والقضايا الرتيبة المتعلقة بالواردات والبلدية والمستشفى والتعليم الخ •• ودأبت على تخصيص ايام للتجوال ، بقدر الايام التي كنت امضيها في مكتبي • وفي نهاية شهر آب ارسل لي (الحاكم السياسي في الموصل) معاونا هو (الملازم كرتن) ، وفي تشرين الاول حلّ محله (النقيب برادشو) الذي عاد من اجازته مؤخرا ، وقد كان هذا للرائد موري ، فيما مضى ، مساعدا • وبقي معي لمدة سنة وزيادة، واني لمدين الى حد كبير ، لما اتصف به من روح تناسقية ، وصبر دائب لاينفذ ابدا •

وكانت تساعدني في حفظ النظام واعلاء شأن القانون جماعة من رجال الشرطة ، عدتها نحو ٣٥ ، بأمرة مستر روبنز ، وهو من رجال التحري

انظاميين الحذاق الماهرين ، ونحو ١٥٠ من رجال الدرك قام على تدريبهم العريف كينارد ، وهو الذي شفي من جرحه سريعا ، وكان يقودهم ضابط بلدي (محلي) • ومن تشرين الاول فصاعدا ، كان يشغل هذا المنصب عربي سوري يدعى (سيد علي افندي) • انه شاب ذو ميعة وحيوية ، عمره ٢٦ سنة طبعه في ترجرج الزئبق ، ويجنح الى التبرم • لكنه ممن يعمل بنشاط متناهي ، وفي شجاعة الاسد •

لقد كلفت به كثيرا فغدا ، على ما احسب اشد الناس الي ولاءً واخلاصا • وفي ظرف ما كدت اهلك لولاه ، ولولا شجاعته وحيويته • وقام العريف كينارد بأعمال باهرة في باب تدريب الدرك ، وذلك على الرغم من الحمى التي كانت تنتابه دواما ، وعندما غادرت اربيل في خريف سنة ١٩٢٠ كان هو ومستر روبنز فيها •

وكان بعد الظهر من يومي الجمعة والاحد عطلة لي وفي اليوم الاول منهما اعتاد وجهاء المدينة على زيارتي وبحث القضايا ذوات الاهمية ابان احتساء الشاي والقهوة معي • وكنت اطلق على هذا اسم (برلماني) ذلك انه كان يمكنني من فرصة استشارة الرأي العام بشأن قضايا الحكم • وكان المواظبون على الحضور هم ملا افندي وسيد عبدالله باشا والمفتي وعلي باشا والحاج رشيد اغا وآخرون ممن هم اقل من هؤلاء شأنا • والاشد خطرا من بينهم هو : (ملا افندي) • وكنت ازوره غالبا في بيته الكائن في (باداواه) ، مشهد المفاوضات التي جرت مع رؤساء الـ (دزه يي) • وباداواه مكان مونق تطيف به البساتين ومعروشات العنب ، وعلى الجانب الشرقي منه حوض ماء تحيط به مستنبتات الزهر الحافلة بنور الموسم • وقريب منه ينتشي ارج الورد• والبنية ذات طابقين ، في كل منهما غرفة وسيعة تجبه جهة الشمال ، واسفلهما نافورة ، وتنفصل الغرفة العليا عن الهواء الخارجي بستارة من خشب الجوز المحفور حفرا جميلا • وهناك غرف عديدة داخلية فرشت بالطنافس على وجه مونق جميل ، وفي بعضها اثاث مطعم على

وجه فاخر . ان طراز البنية على العموم ذو زخرف يتسامى ، والسقف منها مدهون بالوان متعددة فاتحة . وثمة قطع من الـ (ميكا) هنا وها هنا . ويمضي (ملا افندي) نهاره في (المسجد الكبير) في اربيل ، ثم يخلد الى مأواه عندالمساء . ان اسمه الحق هو (ابو بكر) لكنه يعرف دوما بـ (ملا افندي) او (الملا الصغير) . هو قصير القامة ذو ملامح مصقولة نسترية ، وسرّه التقوى . ولم ار في حياتي مثل يديه الرقيقتين ابدا . انه يرتدي ، في العادة جبّة طويلة رمادية اللون تبلغ قدميه ، ويضع على رأسه طربوشا لف حوله القماش الموصلي (موسلين) ازرق اللون فاتحه . انه مبجل في كردستان كلها ، واهاليها ينتشون اخباره الطيبة انتشاء الزهور الارجة ، وكل ذلك بسبب من علمه وتقواه . وحصل اسلافه ، عبر اجيال على سمعة كهذه ، ويقال ان احدا منهم لم يتقدم بشكوى بازاء أي انسان ابدا ، وعلى الرغم من ان الاسرة تمتلك كثيرا . و (ملا افندي) وهو المتولي على اوقاف (الجامع الكبير) ، وانه في العادة ليأم المصلين فيه ويعظهم يوم الجمعة . وعلى النقيض من اغلب افراد طبقته هو ، على التحقيق تقدمي ، يقرأ النشرات التي تأتي من مصر وتركية ، وحديثه ذكي يتناول الموضوعات السياسية والعلمية . وسألته ، ذات يوم ، عن وجهة نظره في الوضع القائم في (بلاد ما بين النهرين) ، فأجاب : ان كل فرد يتوق الى رؤية بلاده (الام) مستقلة ، لكننا في الحاضر ،على كل حال ، قد فرقنا الحسد المتبادل شر مفرق ، وليس هناك من يصلح للحكم . نريدكم ان ترعوا امورنا حتى يعود الامن والسلام اليها ونصبح على حكم انفسنا قادرين . وبقي لمثل هذه السياسة صادقا مخلصا ، وعلى الرغم من ملازمته لها وملازمتها له فانه رفض اي منصب حكومي ، ودأب على مد الحكومة واعانتها بأقصى ما لديه من نفوذ وقوة . انه هو وبأكثر من اي شخص آخر ، قاد الرأي العام في اربيل . وكان احمد افندي ابن عمه الذي يشدّ ازره يعمل الى حد كبير وفق نصيحته . وجميع آحاد أسرة (ملا افندي) مصابون بداء السل ، وبنتيجة ذلك حان حيّن زوجه وثلاث كريمات

نه ولم يبق عنده الا ابن صغير في الخامسة من عمره .

ومن بين الوجهاء الباقين كنا قد لقينا كلا من علي باشا والحاج رسول اغا .. والسيد عبدالله باشا هو (النقيب) او (السيّد المتقدم) في المدينة . انه شيخ جليل ماجد يشاهد في الخارج راكبا بغلة شقراء فاخرة عادة .. انه موسر لكنه محبّ للمال حبا جما ، وبما انه من غير العقائدية فانه يصطنع السياسة التي يرى فيها انها تحفظ حقائب مالـه كاملة غير منقوصة (كذا : المترجم) . انه متعلم تعليما حسنا ولقد زار كلا من مصر وسورية والقسطنطينية . و (المفتي) هو شقيق (رئيس البلدية) ، وهو شيخ يكثر من الكلام ، ولقد اعتاد على المجيء الـي لنقرأ معا الفارسية يوميا . ان خلطاءه يرون فيه انسانا وديعا ولا يستخف ظلـه .

وجري الاحتفال بـ (عيد الاضحى) في الاسبوع الاول من ايلول. انه أعظم عيدي المسلمين ، وقد احتفلنا به بالتعطيل لمدة اربعة ايام . وتحلت المدينة بأبهى مظهر . وكان كل واحد من اهلها يرتدي افخر ما لديه من جدائد الملابس وقشيبها . وظهر الاطفال ، خصيصا ،بملابس من حرير مختلف الوانه مزيّنة بحلى من ذهب . انه يشبه (سوق الريف) في انكلترة كثيرا . وعلى مقربة من طريق القلعة نزلا ، اقيمت (مراجيح) و (دواليب هواء) ، يركب في الواحدة منها بـ (آنة) واحدة . وقبالتها كانت هناك (اكشاك) تباع فيها الحلوى واللعب . ان المشهد ليبعث ، على العموم ، جذلا وحبورا .

وفى الساعة الثامنة والنصف من صباح اليوم الاول من العيد زرت الـ (سراي) زيارة رسمية فأعلن بأطلاقة مدفع عن مقدمي ، ووجدت (سيد علي) بوصيد مكتبي ومعه (حرس شرف) من الدرك . وما ان اتخذت مجلسي الا توافد الزائرون . وكان في الوجبة الاولى منهم الوجهاء ، كبارهم وصغارهم ، ومقدمو التجار ، ولعل عدة الوجبة هذه كانت ٣٠ رجلا تقريبا وصافحتهم جميعا ، وتناول كل واحد منهم قطعة من الحلوى ، ودخينة (سيكارة) وفنجان شاي وفنجان قهوة .

وكنت خلال ذلك اهنىء القوم بالمناسبة وأحـاول ان اتكلّم علـى موضوعات خفيفة • ثم جاء بعدهم موظفو الحكومة وتكرر ما حدث نفسه • ان الانطباع الفذ الذي تخلّف في نفسي هو ذلكم السلسال من الاكف ، منها ما هو جاف شائك ، ومنها ما هو مهتـز دابـق • وكانت الوجبة الثالثة والاخيرة مؤلفة من اليهود والنصارى •

وكان لزاما علي ان ارد ، في اليوم التالي الزيارة لوجهاء المدينة • وثمة ١٠ او ١١ بيتا تزار لهذه الغاية ، وكان ان امضيت ربع ساعة ،في كل منها ، يقدم الي بمجرد وصولي فنجان قهوة محلاة بالسكر عادة ، ثم صحن الحلوى ، ثم شربت ، ثم كوب شاي ، واخيرا فنجان قهـوة مرّة • ويتطلب الابلال من هذه كلها من الوقت شيئا ، ولقد عانيت مثل هذه المعاملة ١٠ مرات خلال سويعات •

ومُنحت ف اوائل ايلول أجازة امدها ٣ ايام فزرت خلالها ديار الـ (خوشناو) كي استنشق هواء الجبال النقي كرّة اخرى • وسافرت بالسيارة حتى (باستورا جاي) حيث كان مهري بانتظـاري • وما ان عبرت المجرى الا كنت في منطقة مصطفى اغا • وتلقاني اخوه (رسول اغا) مرحبًا ، وقادني الى القرية المسمّاة : (سيكاوا) وقدم لي قهـوة وشايـا •

وعاودنا الرحيل كرّة اخرى فمررنا بحصن خرب وقرية ، ثـم بستان تين نضر كائن في اسفلها • ثم اخذنا نرقى نشزا شاهقا • وتبيّن ان ذروته لا تعدو ان تكون هضبة مكسوّة بشجر البلّوط ، ووجدنا تحت شجرة منها حبّا مليئا بالماء جادت به تقوى مصطفى اغا ، لكـي يرتوي المسافرون الذين يتخذون من هنا سبيلا • وثمة منظر جميـل يمكن ان يتملّى من ها هنا ، من فوق ارض التلال محلّقا ، على حين يمكن مشاهدة قرية (كورة) كأنها عش في الوادي الصغير نزلنا اليهـا فوجدنا (مصطفى اغا) قد مد لي النمارق تحت ظل شجرة كبيرة عارشة من اشجار التوت ، قرب مجرى ماء يثرثر وتطرز حفافيـه الورود • وكان الـ (سماور) على الغليان موشكا ،ووضعت امامي صحون الفاكهة

حالا . و (كورة) قرية راكبة متن رابية عند النهاية العليا لواد طويل ضيّق . وعند اقدام الرابية ساقية عظيمة تمتد على حفافيها بساتين يخرج منها التين والرمان وفاكهة أخرى ، وتتخللها أشجار الحور والجنار سامقة ذات جلال . لم اصادف الا القليل من قرى تعتد أجمل من (كورة) وذلك طوال لبثي في كردستان ومكثي . انها لجنّة مستدامة لهذا المسافر الذى يردها من سهل اربيل الاجرد رأسا . وعني مصطفى اغا بسد خلة طلباتي بعناية بالغة ما بعدها من عناية . وبعسر شديد استطعت ان احمله على السماح لي بالدأب على رحيلى الى (شقلاوة) .

واثر ركوب استطال نصف ساعة ، بلغت قرية (خورشيد بك) ، وهو الزعيم اللاجيء الذى وصفته فى (الفصل السابق) . وقام هذا باعداد شاي قوي جدا وقدمه لي . ومن هنا غدا الطريق معلوما لدي ومعروفا .... ثم بلغت (شقلاوة) . ووجدت ان (ميرانى قادر بك) قد شيّد لنفسه (جرداغا) ضخما في ساحة مفتوحة كائنة بين البساتين وجهّزه بالبسط الكبيرة والنمارق والسجّاد وبناضد من خشب حسنة النقش . هاهنا كان يحل بجلال يحف به عدد كبير من الاتباع . انه الان ، الى حد كبير ، بيد كاتب يدعي احمد مدحت افندي ، وهذا يستغل عدم معرفة سيده القراءة والكتابة كثيرا . ورحّب بي ترحابا حارا واصبت من قراه على ما هو مألوف عادة .

وفي اليوم التالي وبعد ان اكلت من الخبز شيئا وشربت (شنينا) أتخذت السبيل خلال البساتين ماشيا ، والى الساقية الكائنة في قعر الوادي نزلا . انه لمنظر مونق جدا ، وكانت الاوراق التي فوق الرؤوس توشك على الاصطباغ بصبغة الخريف . وكان جل اهل شقلاوة فوق شجرة الجوز يهزّون ثمره فيتساقط . ولا تزال شجرات التين والاجاص والعرموط والرمان ثمارها مثقلات .

وفيما بعد الظهر صممت على قطع (جبل سفين) البالغ من العلو ٦٥٠٠ قدم فوق البحر ، وزيارة قرية صالح بك المسماة (خوران) . وصحبني في سفري ثلاثة من رجال قادر بك ، فاتخذنا سبيلا وعرا

آملين ان نصادف من وعل الجبل صيدا • واثر صعود مرهق استدام ساعات عديدة بلغنا خلاله اخدود من صخر فيه ينبوع تطيف به اشجار العرموط مثقلة بفاكهة ريانة جدا • وعند ذلك رأينا قطيعا مؤلفا من ذلكم الحيوان وقد ارتسمت اشباحه على السماء ، واقفا على الصخور الكائنة فوقنا • لكن آحاد القطيع كانوا بعيدين بالنسبة الى مدى المرمى ، واني كنت مرهقا فلم استطيع ان اسير في أثرها معقبا •

ويا لعجبي ان ارى في مثل هذا المكان الاسنى هضبة منبطحة عريضة يكسوها عشب يابس وبقية خزامي وغيرها من ازاهير ذابلة متخلفة من ربيع كان بالنور والنبات المريع حافلا • كان منظرا رائعا حقا • وكنت تشاهد فوق السهل مجرى الزاب الكبير السفلي وقسما من دجلة . وقيل ان في الامكان رؤية كركوك في يوم سماؤه مصحية• وكان سهل حرير[١٢] ممتدا الى الشرق بقراه العديدة ، شأنه كشأن جزء من (بيتوين) بتلاله الضخمة الوعرة وهي طبقات فوق طبقات • وسرنا بمحاذاة الشعفة اميالا ، ومررنا بالحفر التي تجهز اربيل بالثلج صيفا ، ثم اخذنا ننحدر نزلا حتى بلغنا معروشات مثقلات بالفاكهة ، وينبوعا فيه ماء ببرودة الثلج ، فلقي هذا من قلبي ترحابا بالغا ، ذلك انى طوال ساعات لم اشرب شيئا • واستقبلني (احمد بك) نجل (صالح بك) على الطريق ، ووصلنا (خوران) والظلام يوشك ان يطبق على الدنيا كلها • واخذ مضيفي بيدي الى ما يشبه شرفة ترتكن الى اعمدة شجر خشنه ، وفيها اسبغ علي من القرى شيئا كثيرا • وامضيت في (خوران) ليلتين ، صحبني (صالح بك) بعدها الى (كورة) نزلا •

كان اليوم هو العاشر من (المحرم) فوجدت كلا من صالح بك ومصطفى آغا صائمين ، ذلك ان أحد الدراويش المتجولين اخبرهما بانه افضل يوم يصوم المرء فيه ما فاته من رمضان • ومهما يكن من أمر، قرر الاثنان ، عندما حضر طعام الغداء ، اختيار طرف آخر ، وشاركا

---

(١٢) فيه قرية حرير التى تشتهر بالتبغ الفاخر وجنا النحل الشهي .
(المترجم)

في الاصابة من الطعام معي • وبينا كنت في (خوران) قص علي (صالح بك) قصة طويلة تدور حول ما اعتاد عليه من مخادعة الموظفين الاتراك والتهرب من دفع الضرائب ، ولقد لحظت كيف ان قريته تتراءى زاهرة مزدهرة • واخيرا لحظنا ان الرجل يريد معاودة ذلك معنا • ان لقياه الهاش الباش واظهاره الولاء الحار ، من وسائله المدخرة لهذا ، وما اذ وجدنا لانصرف النظر عن هفواته الا غدا ذا ختل وكيد تزول منه الجبال •

ولدى رجوعي الى اربيل ، شغلت بتخمين حاصل الرز حتى نهاية الشهر ، حين اضطرتني امور على شيء من خطر الى ان اتخذ الى بغداد سبيلا •

الفصل الحادي عشر

تشكيل لواء (محافظة) اربيل

كان(قضاء اربيل) حتىتشرين الثانيسنة١٩١٩ قسمامن محافظة(لواء) الموصل ، الذي كان حاكمه السياسي (العقيد لجمن) ، وبقي على هذا حتى اوائل تشرين الاول حين خلفه في المنصب المذكور : مستر بـــل (المنسوب الى سلك الخدمة الهندية) • وكانت ثمة مقترحات تقـدم لحين من الدهر،بشأن تشكيل محافظة(لواء) اربيلمنفصلا، يضم كلا من قضاء(كوي)، وهو الانتابع لمحافظة(لواء) السليمانية،و(قضاءراوندوز)• وكان مساعد الحاكم السياسي فيه مستقلا يخابر بغداد رأسا • ولهذا الترتيب فوائد كثيرة ، ذلك ان الطريق الصالح الوحيد الماد الى راوندوز يمر خلال اربيل[1] ،وفي الامكان ان تتخابر (كوي) مع (اربيل) باسهل من مخابرتها مع السليمانية التي يفصلها الزاب الصغير عنهـــا •

---

(١) يمر الطريق الماد بين اربيل وراوندوز بسلسلة من الجبال الواطئة المسماة باسم (خانه زاد) ثم يمر بجبل (بيرمام ـ مصيف صلاح الدين) ثم بسهل بين جبل بيرمام وجبال سفين وبقرية كبيرة هي (كورة)، ذكرها (المؤلف) اكثر من مرة ؛ ثم يبدأ بتسلق جبال سفين حتى يبلغ شقلاوة التي تقع في وادي هذا الجبل الشمالي . ومن شقلاوة يستمر الطريق مارا بقرية حرير ، فسهل خصب هو سهل حرير ـ باطاس ، ثم يتياسر فيؤدي الى الفتحة الجبلية المعروفة باسم (بخمة) ـ وفي النية اقامة سد اروائي عندها ـ على غرار سدي : دوكان ودربندخان . ثم يرقى (جبل سبيلك) حتى تبلغ ذروته فينحدر نحو قرية خليفان ثم يمر من مضيق اكلي على بك؛ : وطوله ١٠ كيلو مترات ـ وهو شق طبيعي تمر منه ثلاثة من فروع الزاب هي (خليفان) و (راوندوز) و (ديانا) . ثم يستمر الطريق حتى يبلغ راوندوز .

(المترجم)

وعلى ذلك سافرت الى بغداد ، يوم الـ ٢٩ من تشـــرين الاول لابحـث المقترحـات المـار ذكرها مـع (العقيـد ويلسـون)[٢] آملا الوصــول الى قرار ما بشأنها • ومهما يكـن من أمـر ، كـان (العقيد ويلسون) غير راغب في الاخذ بالمشروع الجـديد قبل ان يتسنى وقت يزور خلاله مستر بل في (اربيل) ويقدم توصياته • ثـم وقعت في الوقت نفسه ، حوادث قلبت الوضع رأسا على عقب •

واصطحبت في سفري الى بغداد (احمد افندي : رئيس البلدية) الذي اثار القطار الذي سافرنا عليه من الشرقاط[٣] اهتمامه ومتعتـه ذلك انه لم ير فيما مضى قطارا ما •

---

(٢) هو الذي كان يشغل منصب (الحاكم الملكي العام في العراق) ابان عهد الاحتلال البريطاني وحكمه حكما مباشرا . وكان الحـكام السياسيون البريطانيون في الوية العراق يرتبطون به ؛ وكـان المؤلف بوصفه يعمل في قضاء اربيل يشغل (منصب مساعد حاكم سياسي) ؛ وارتباطه كان بالحاكم السياسي في الموصل . ويلحظ في هذا الباب ان الانكليز ؛ اثر احتلالهم العراق ؛ وشـروعهم بتاسيس جهاز مدني لحكمه كانو يتجنبون استعمال عنـاوين الوظائف الادارية العثمانية لذلك جعلوا عنوان (القائممقام) : وكيل الحكومة : GOVERMENT AGENT ومـدير الناحية (مامـور الحكومة) . وكان (مساعد الحاكم السياسي) يشرف على شـؤون القضاء كله يساعده من يعينهم من اهل البلاد الضالعين في ركاب حكومة الاحتلال لمثل تلكم الوظائف . كما كان ثمة (مجلس بلدي) من الاغوات والوجهاء يساعده في تصريف الشؤون البلدية . وكان (الحاكم السياسي في اللواء) اي المحافظة و(مساعدوه في الاقضية) هم الذين يحسمون القضايا الجزائية والصلحية ،لكن ذلك كان يتم في الغالب بعقلية احتلالية ـ عسكرية بريطانية ، فتصدر احكام تجانب السـداد .

(المترجم)

(٣) خط السكة الحديد الماد من بغداد الى سامراء بناه المهندسـون الالمان باعتداده جزءا من المشروع العظيم المسمى (سكة حديد برلين ـ القسطنطينية ـ بغداد ـ البصرة) وبالنظر لحاجة الجيـش البريطاني مد الخط من سـامراء الى الشرقاط وتم ذلك في عـام ١٩١٧ .

(المترجم)

• وامضينا في بغداد اربعة ايام او خمسة •

وفي أمسية يوم الثالث من الشهر ، وقبل ساعة او ساعتين من الوقت الذي قررت فيه ان ارحل ، اخذني العقيد ويلسن جانبا واسرّ الي بأن (المقر العام) تلقى خبرا مفاده : ان مستر بل (حاكم الموصل السياسي) والنقيب كي • سكوت مساعد الحاكم السياسي في عقرة[4] قد قتلا في (بيره كبرا) من ديار الـ (زيبار) • كان الخبر هذا غمة ضيق وشدّه ، وتلقيناه بقلب كئيب وصبر سليب ، أنه غير مرتقب ، ولم تتيسر اية تفصيلات بشأنه الاّ بعد مضي أيام •

و (عقرة) مقر منطقة يغلق عليها (الزاب الاكبر) ، من الجهتين الجنوبيه والشرقية • وهي تنفصل عن (منطقة راوندوز) بهذا (النهر) حصرا • وتقوم البليدة على حدور نشز هو استمرار لسلسلة (كيخوەرش) التي تطيف بـ (يتوين) و (حرير داغ) السد العالي الذي يشرف على (دشت ــ ي ــ حرير) •

---

(٤) تبعد عقرة عن الموصل زهاء ٩٥ كيلو مترا ، بنيت بيوتها لحف جبل ؛ طبقات فوق طبقات وفيها شلال علوه نحو ٣٠ مترا يعرف باسم (سيبا) او (سي با) .

- تسلم مستر بل منصب حاكم الموصل السياسي من العقيد لجمن ، المنقول الى الكويت ، في ١٢ تشرين الاول ١٩١٩ وارتاى القيام بزيارة ارجاء اللواء (المحافظة) واتخاذ الاجراءات التي تحول دون فتك الناس بجنود بريطانية . واصطحب معه (النقيب سكوت) معاون الحاكم السياسي في عقرة فقصد (بيراكبرا) وكانت مركز ناحية مسماة باسمها في قضاء عقرة (وقد نقل هذا المركز في الخمسينات الى قرية دينارته شمالي شرقي عقرة) . واستقدم فيها فارس اغا الزيباري واخاه وطلب اليهم ان يقدموا ، بعد عودته من رحلة الى (بارزان) كفالة نقدية قدرها ٤٠٠٠ روبية لكل منهما ، وتسليم ما لديهم من اسلحة . فأثارت هذه حفظيتهم ولم يمسو ضيفيهما بسوء وهما في قريتيهما ثم كان ما شرحه (المؤلف) بعد ذلك .

(المترجم)

وتقطن عشيرة الـ (سورجي) غربي هذا النشز ، بمحاذاة ضفةالنهر الشمالية ، على حين يحل الزيباريون في ارض التلال الكائنة شرقيا ، وفي وادي الزاب الكائن فوق عطفته ، في الجهة الشمالية الغربية . ويسكن شرقي النهر في (بارزان) ، وكانت في منطقة رواندوز فيما مضى ، الشيخ احمد وهو شاب في العشرين من عمره .. انه من أسرة روحانية ، وكان لها سلطان دنيوي لحين من الدهر حصرا . ان قدسية ابنائها جادت عليهم بنفوذ ، بحيث غدوا ينهون في الامر ، في الديار المجاورة، غير مراجعين وغير مدافعين . وكانوا في الغالب شوكة في جنب الاتراك ، وعمد هؤلاء ، في ظرف ما ، الى تعبئة اكراد اربيل ورواندوز ومهاجمتهم . وكان الشيخ الحاكم ، آنذاك ، هو اخ للشيخ احمد ، ففر الى الشمال حيث القاه الـ (شيكاك) في غيابة السجن اولا ، ثم سلموه الى الحكومة اخيرا . وجيء به الى الموصل واعدم[٥] .

ويعرف الزيباريون والبارزانيون ومن يجاورهم ، اعني : قبيلة شيروان ، بشدة الضراوة والهوس ، بين الاكراد وفي كرستان الجنوبية كلها .

وفي الاول من تشرين الثاني ادى النقيب سكوت ، المعيّن حديثا مساعدا للحاكم السياسي في عقرة ، صحبة حاكمه السياسي مستر بل ، زيارة الى (بيره‌كبرا) مركز ديار الزيبار ، وذلك بقصد البحث في قضايا معينة ، مع الزعماء المحليين : فارس اغا وبابكر اغا . وهاجم الاخيران بعض ما قيل في اثناء الحوار ، وتآمرا ، تلكم الليلة عينها على قتل ضيفيهما . وارسلا الى الشيخ احمد ، عبر النهر ، يطلبان اليه المجيء ليكون لهما عونا . وخرج الرجلان ، صباح اليوم التالي يصطحبان رجالهما واخا للشيخ احمد ، ويسيران على الوجه المعتاد مع الضيوف وما ان كان الكل خارج مرأى القرية الا عمد احدهم الى اطلاق

---

(٥) هو الشيخ عبد السلام البارزاني ، شنقه في ٣ كانون الاول ١٩١٤ والي الموصل العثماني سليمان نظيف باشا .

(المترجم)

رصاصه خرّ على اثرها مستر بل صريعا حالا" •وسحب النقيب سكوت مسدسه فرمي ، وطار من يده • وكان ان عمد الى الالتجاء الى صخرة، وبوساطة بندقية خطفها من حارسه ، استطاع ان يصيب واحدا او اثنين من مهاجميه ، لكن جميع افراد دركه نبذوه وتخلوا عنه ، فيما خلا واحدا • وسرعان ما غلب على امره وقتلوه • عند ذاك اهتاجت القبائل بمرأى الدم المسفوك ، فهبت واجتاحت الجبال وانحدرت الى عقرة ، لتطرد الدرك بلمح البصر ، ولتنهب المدينة ، وتمعن في التخريب • وجاء السورجية لمساعدتها ، وكان اشد الشيوخ خطرا ، أعني : الشيخ عبدالله الذي بقي في قريته المسماة (بجيل) لا يحرك ساكنا •

وبعد ان بقيت القبائل في عقرة لمدة يومين او ثلاثة ايام تستمتع باسلابها ومنهوباتها عادت الى ديارها ظافرة •

وعندما بلغت اربيل ، في اليوم الرابع من الشهر ، لم يكن قدشاع خبر هذه الحوادث فيها او ذاع ، ولم تصبح على افواه سكانها الا بعد عدة ايام ، ما اعظم ذاكم الحاجز اعني الزاب الكبير !• وفي اليوم الخامس من الشهر تلقيت برقية تقضي بتعييني حاكما سياسيا على محافظة (لواء) اربيل الجديد، الذي جرى تشكيله اعتبارا من اليوم الاول من شهر تشرين الثاني •

وكان قضاءا (كوي) و (رواندوز) على التتابع بعهدة النقيب (رندل) و (النقيب كيرك) وهو الذي يقيم الآن في (باطاس) من دشتي حرير[٦] • وعقدت العزم على زيارة القضائين عند سنوح اول فرصة ممكنة ، لكن الحوادث التي نجمت في ذلكم الاوان جعلت من الضروري ان اقف في أربيل •

أن نبأ القتول ، واجتياح عقرة ، لم يؤثرا ؛ حتى عندما شاعا وذاعا في اربيل الا قليلا ؛ لكن الامر ، كان ، على التحقيق ، بالنسبة الى

(٦) دشت حرير (او دبرة حرير) ناحية تتبع شقلاوة اليوم .
(المترجم)

قضاء رواندوز مختلفا ، وهو القضاء الذي اخذي يتململ ويتزعزع نوعما • وما ان سمع (النقيب كيرك) بأن الشيخ عبيدالله العجيلي بقي حتى هذا الحين للحكومة مواليا ، الا عقد العزم على زيارته لتقوية ما صمم عليه ، ذلك أن تمرده ، يكون له ، من دون شك ، اثر خطير جدا ، في (السورجية) القاطنة جنوبي النهر • ولكي يقف على ما يستطاع بشأن الوضع الرهان ، عبر الزاب الاكبر عند (قنديل) ومعه حرس قليل ، واندفع بشجاعة الى المنطقة • ولما كنت اشفق كثيرا على سلامته ، لذلك اوفدت النقيب (ليتل ديل) وجماعة من الدرك لتكون له عونا • وكان النقيب ليتل ديل قد وصل اربيل قبل ايام قليلة ، ليتولى أمرة الجندرمة في المحافظة ، وهو من كان في الموصل قبلا • وبسبب من معرفته بـ (قضاء عقرة) معرفة وثيقة استدعي قبل قلة من الايام ليصبح مساعد الضابط السياسي للرتل الذي سار ليثأر من القتلة • وعاد الي في اوائل كانون الثاني كرة أخرى • وبلغ النقيب كيرك (بجيل) سالما[٧] وما ان انشئن الى اخلاص (الشيخ) الا سار في اشد الارضين خطرا ، تلقاء عقرة نفسها ، وهي التي رحل عنها ابناء القبائل جميعا • وأثر تلبث فيها استطال ساعات قليلة ، انسحب باتجاه الموصل ، وسرعان ما وصلها سالما • وعقب النقيب ليتل ديل السبيل نفسه ، وفي مكان مانجا من كمين كان (اضيق من خرم الابرة) وذلك بفضل العناية اليقظة التم اتسم بها (سيد علي أفندي) الذي كان له صاحبا • وكان لدي ، في هذا الابان ، في اربيل ذاتها ، وقت كنت اليه اشد توقا وشوقا ، ذلك ان اشد ما يجهدالانسان ان يجدالآخرين الذين هومسؤولعنهم يكتنفهمخطر ،وباكثر منانيكون الخطر به محدقا ــ (فذلك مبلغي ومطار طيري !) ،وقد سريعنيكثيرا عندما تناهي الى مسمعي ان المعنيين سالمون جميعا • ورقي (سيد علي

---

(٧) النسبة الى قرية (بجيل) الكائنة على بعد ٤ كيلو مترات شرقي عقــرة .

(المترجم)

افندي) الى رتبة (نقيب : يوزباشي) وذلك للدور الفني لعبه في هذا الظرف عينه . وفي غياب النقيب كيرك تلقيت رسائل عديدة تفيد بأن النقيب توزر ، الآمر العسكري في باطاس معرّض لهجمة وشيكة تشنها القبائل المجاورة في باطاس ؛ ومن حسن الحظ لم يقع شيء مروّع ولا احسب ان التهديد كان شيئاً ذا خطر ابداً .

وزارت حملة عسكرية ، بعد قليل ، كلاً من (عقرة) و (بيراكبرا) و (بارزان)[8] . وجرى تدمير بعض القرى ، لكن القتلة نجوا ، ذلك من المستحيل ، بالنسبة لرتل يمضي وئيداً ، الامساك بالكردي ذي الدهاء والمكر ، في وطنه الجبلي .

واخيراً رحلت يوم الـ ١٨ من الشهر بقصد زيارة كوي ، متخذاً السبيل الاقصر من اربيل ،ماراً بقرية (حاجي اوسو) . وقبل مسافة تقطع بساعتين من غايتي تلقاني وفد استقبال يضم جميع الوجهاء ، باستثناء (حمه اغا) الذي اصبح لا يخرج الان الا على التدري و (عبدالله اغا) الذي كان في بغداد حالياً . واستقبلني النقيب رندل خارج البليدة سماً وكان اول ما قمت به اثر بلوغ البليدة ، هو زيارة

---

(٨) خليق بنا ان نصف حركات الرتل بوجيز كلام . توجه الى عقرة في الاسبوع الثاني من تشرين الثاني ١٩١٩ فتصدت له قبيلة السورجية وهو يمر من (ديرة حرير) و (باطاس) واشتبكت معه في قتال مرير اسفر عن قتلى ، لكنه استطاع مواصلة سيره وعبور الزاب ، والحاكم السياسي الجديد في الموصل (العقيد نولدر) المعين خلفاً للحاكم السياسي السابق (القتيل) (مستر بيل) في ١٤ تشرين الثاني ١٩١٩ يمده وينجده . وكان ان بلغ الرتل عقرة في ١١ تشرين ١٩١٩ من دون ان يلقى مقاومة فالبارزانيون كانوا قد اخلوها . وبعد ذلك دارت معركة بين (الرتل) وبين (قبيلة السورجية) في كردين التي تبعد عن عقرة مسافة ٦ كيلو مترات تكبد فيها الطرفان خسائر ، لكن المجاهدين على الرغم من تكبدهم عدوهم بالخسائر انسحبوا الى الاماكن الجبلية . ثم احتل الرتل (بيراكبرا) في ١٠ كانون الاول ١٩١٩ ولجا الزيباريون الى الاراضي الايرانية

المترجم

(حمه اغا) الذي وجدته ، على ما عهدته تماماً ، فيما خلا انه الان أسن قليلا . وبقيت في كوي يومين او ثلاثة ايام ، جرت لي خلالها احاديث طويلة مع اصدقائي القدامى .

ولم تتغير (كوي) الا قليلا ، منذ ان غادرتها (في شباط) . ولقد خلفني فيها كمساعد حاكم سياسي النقيب بيل الذي دأب على اشغال هذا المنصب حتى ايار ، حين عين في رواندوز . ولقد خلفه مساعد الحاكم السياسي الحالي : النقيب رندل .

وفي نيسان صيّرت (رانية) و (قلعة دزة) وحدة ادارية مستقلة وجعل مركزها في البليدة الاولى وعين (النقيب باركر) « مساعد حاكم سياسي عليها . لقد انهى خلفائي خدمات بعض (الاغوات) غير الاكفاء ، كنت عينتهم ، في ظل النظام القديم ، مضطرا ، وفيما عدا ذلك بقيت هيئة الموظفين البلديين (المحليين) على حالها ، تقريبا لقد حافظ كل من (حمه اغا) و (جميل اغا) و (المطران)[٩] على وظائفهم ، ورحب المطران بي ترحيبا عظيما ، وقال « لقد اتيت بالمطر الينا ، في قدمتك الاولى ، فان لم تجلبه لنا ، هذه المرة ، فسنعمد الى تنحيتك عن بلدتنا » ومن حسن الحظ ، تساقط رذاذ مطر خلال مواني ، فنجوت من المهانة التي اشار اليها .

طبيعي ان يأتي في أعقاب (ثورة الشيخ محمود) زمان يطبق عليه قلق عظيم . لقد أصبح (مساعد الحاكم السياسي) في معزل عن (المقر العام) الذي يتبعه ، وانقطعت عنه الانباء ، فأصبح من اللازم عليه ان يعمل متحملا التبعة شخصيا . واتخذ (حمه أغا) الهرم موقفا يجانب التوفيق ، وما ان سمع بأن بعض الوجهاء على وشك عقد اجتماع للنظر في الوضع الا هدد باستعمال القوة في فض مثل هذا الاجتماع ، ان عقد ، قائلا ان ليس هناك من ضرورة له ، وان من اللازم دعم الحكومة . ان ناموسه (نفوذه) وضع الامور في

---

(٩) يريد (ملا محمد افندي) قاضي شرع كوى اوائذ .

(المترجم)

نصابها . ولعب (عبدالله اغا) دور المراوغ ، محاولا الوقوف مع الجانبين في آن واحد ، وكان ان كشف (مساعد الحاكم السياسي) مما حكته فابعده الى بغداد لمدة سنة . وتسلم (ميراني قادر بك) رسائل من الشيخ محمود ، فامضى ساعات طوالا في تفكير مشوق مستهام ، لكنه بقي مواليا .

و (كوي) اليوم على حال افضل من الازدهار . فالسوق مليئة بالجلب والتجارة قد انبعثت . وغالبية السكان ، الذين تراءوا فيما مضى ، على وشك الموت جوعا عادوا الى اعمالهم جذلين . ووجد ان بي اد مكان بدريب كثير من اليتامى الموجودين في (دار المعوزين) على الحرف البلدية ، فلم يبق في الدار المذكورة من النزلاء الا القليل وتغير مراى (البلدة) ايضا،وتحسنت حا لها كثيرا فالقمامة والانقاض قد ازيلت ، كما صبت جهود عظيمة في سبيل اصلاح شأن مجاري المياه . ومن سوء الحظ ثبت ان كوي ابان الصيف غير صحية ، واخذ يعاني جميع الضباط فيها من الحمى، على حين دأبت الـ (رشابة)[١٠] او الريح السوداء الهابة بشدة اعصار ، كل يوم وليلة تقريبا ، وخلال أشهر الصيف جميعا ، صيرت الحياة فيها اشد ما تكون كرها .

وعلى الرغم من ان ليست لي الآن بحكم كوي وقلعة ديزة أية صلة ، لكن الحوادث فيهما ، بطبيعة الحال ، كانت تهمني . لقد بعثت (ثورة الشيخ محمود) فيهما قلقا ولم ينقذ الوضع الا بنتيجة جهود (النقيب بارلر) ، التي لاتعرف الوهن ولا النصب ، ضف اليها ولاء (بابكر اغا) الذي لا يريم . وكان (حزب المعارضة) في بشدر لا يزال مصدر اضطراب كبير ، وفي اوائل الخريف تقدم رتل على (دربند) لمساعدة (بابكر اغا) ، اذ ان مجرد وجوده حمل الزعماء المناوئين على البقاء في التلال حتى سكرت الطرق بالثلوج

---

(١٠) تهب هذه الريح في كثير من ارجاء كردستان . انها في الصيف كريح السموم (الشرجي) في العراق الجنوبي . وهي في الشتاء باردة .

(المترجم)

فاصبح الوضع ميسرا بعد ان كان معسورا •

وبعون من الجند اقسهم القي القبض على (سوار اغا) وابعد الى بغداد • لقد كان على اشد ما يكون نشاطا في المناوئة للحكومة ابان ثورة الشيخ محمود ، وعمد احد اقربائه الى اطلاق النار على النقيب باركر ، ذات يوم ، وهو يعبر النهر قريبم (سرخمه)• وقدر لي ان ارى (سوار اغا) من بعد ذلك كثيرا ، ذلك انه امضى في بغداد بعد هذا اشهرا ، ثم عهد به الي في اربيل مقيما •

واتخذت من كوي الى شقلاوة سبيلا ، وسرت على حدور جبل سفين محاذيا ، وامضيت ليلة مع صالح في (خوران) ، على طريقي ضيفا • وصادفتنا عاصفة صقيع شديدة خارج القرية المذكورة ، وكان الطقس ، ليلئذ ، قارسا ، واستدام طوالها • وتغديت مع (قادر بك) في شقلاوة فوجدته منزعجا لانه كان يحسب بأني حبيت (صالح بك) برعايه في غير محلها • والظاهر ان الاخير اخذ يفخر ، هنا وهاهنا، بأن سوده ، عندي ، هو السبب الاوحد في تعيين (قادر بك) حاكما وبادرت الى تطمينه الى ان صالح بك ، بنظري ، لا قيمة له - قورن به ، (وكان الله بالسر عليما : المترجم) •

ومن شقلاوة انحدرنا على مسار وعر ، لكنه جميل ، يتخلل ويفضي الى جدول كائن في الاسفل • وبجانبه ثمة مضيق كائن في النشز الذي يواجه شقلاوة ، ومررنا منه • وبعد ان عبرنا نشزا آخر بواسطة مسار هين انحدرنا الى النهاية العليا ، او الجنوبية ، لـ (دشتي حرير) • ان هذا بسيط ارض منبسط ، غاية في الوسعة والروسة ، واقع ، على غرار سهل يتوين ، في ارض من التلال • والجيولوجيون الخبراء يقولون : ان وضعه شاذ غير طبيعي • انه على العموم مخروطي الشكل ، والزاب الاكبر قاعدته • وتحده من [illegible] من النشز الصخر ، حفياة بالشجر ، على حين تجد المسافر مشرقا وجه جبل حرير غير المتقطع ، وهو مكون من الصخر الحاد تقريبا • يرتفع هذا الجبل عن سطح السهل بنحو

٣٠٠٠ من الاقدام • ويصل (دشتي حرير) بـ (وادي باليسان) مسار قصير وعر ، والوادي الاخير ينحدر الى سهل يتوين • وطول السهل نحو ٢٠ ميلا ، وبسطحه متموج ، لا سيما فيما حوالي الحافات، وتتخلله كثير من الساقيات • وفي نهايته العليا كثير من القرى الصغيرة الجونة ، وكل قرية منها ذات حدائق فاكهة ، ومستنبتات الحور ، وتمتلكها قبيلة (خوشناو) • وبمحاذاة الحافة الشرقية خط من القرى يمتلكها سراة رواندوز ، على حين تحتل قبيلة الـ (سورجي) على النهاية الشمالية ، قرب النهر • ان قرى الـ (خوشناو) تحكم من قبل (مساعد الحاكم السياسي في كوي) ، على حين تشكل بقية السهل جزءا من قضاء رواندوز •

وكانت القبائل الرحالة بسبيل النزول من التلال ، ومررنا بمخيمات عديدة لقبيلة (خيلاني) ، وهؤلاء مسلحون تسليحا حسنا ، وتبدو عليهم سيماء الضراوة الضارية • انهم يشتهرون باللصوصية ، ولاحظ من ذكر في ميدان الشجاعة • وبلغنا (والشمس قد جنحت الى الاصيل) (بشور) ، آخر قرية للـ (خوشناو) ، حيث افضى بنا ركوب خبب يسير ، فوق ارض منبسطة ، لمدة ثلاثة اميال وزيادة ، الى (باطاس) • ان هذه القرية الحاوية على نحو ٦٠ بيتا ، مبنية على الطرف الاقصى لنتوء كائن عند اقدام (جبل حرير) • وثمة جدول وفير الماء كائن خلفها يسقي بساتين وسيعة ، يخرج منها التين والرمان ، ثم ينعطف دائرا حول نهاية النتوء ويجري في مستنبت صغير لاشجار الحور كائن في أسفل البيوت ، ثم ينتهي بالسهل اخيرا • وعلى الجهة الاخرى من هذا الجدول ، تحت المعطفة تماما ، يقوم بيت عبدالله باشا •

وعندما وصلت وجدت العسكر قد اشغلوا رابية وسيعة اصطناعية ، ممتازة من الوجهة الدفاعية ، كائنة على بعد نصف ميل

---

(١١) تكرر ان هذه انطباعات (المؤلف الشخصية) وقد تكون صحيحة او لاتكون ، ولم نثبتها الا تمسكا بأمانة الترجمة .

(المترجم)

تقريبا ، على حين كان النقيب كيرك ومكتبه في بيت تاعس كائـن في القرية نفسها • لقد اضطر الى مغادرة رواندوز في آب ، تحت وطأة ظروف نقص عليك في الفصل التالي حديثها ، ثم الاقامة في باطاس وكان اجلها موقوتا • وبينا انا هنا وردت برقية تأمر بأن يغـادر النقيب كيرك في نهاية الشهر الى (عقرة) حيث استتب الامن وساد النظام ، ليتسلم (منصب مساعد الحاكم السياسي) فيها • واثـر مغادرته بقي مكتبه ، حتى جرى اغلاقـه في كانـون الثاني ، بعهـدة مستر سكوت المنسوب الى دائرة البرق يعاونه فيه رئيس الكتـاب مستر ترتر •

وزرنا ، في اليوم الذي اعقب يوم وصولي ، (عبـدالله باشا) متخذيـن المسار المفضي الى بيته ، حيث قتل ابنه (سويد اغا) قبل سنة • وعبدالله باشا رجل رائع يتراوح عمره بين التسعين والمئة ، وقريب عمره من عمر حمه اغا ، الهرم ، تقريبا • انه لا يشبه الاخير الذي هو كبير الجرم قوي الجسم ، وان كان عقله قد دهمه الخرف • ان جسمه لصغير واهـن ، ويديه ترتعشان ورأسه يهتز ، على حين يمتلك عقلا نشطا جدا • انه يتكلم كثيرا ، ويعيد كلامه غالبا ، وله لحية خفيفة قصيرة ، ووجه شاحب صغير ذو بثور غالب ، وقد خطت السنون عليه اثارها • ان عينيه سوداوان وحاجبيه مصبوغان •وطوله نحو خمس اقدام وثلاثة انجات ، وملابسه مهلهلة دواما يعلوها رداء طويل ومعطف عتيق ، وغطاء رأسه موشى بالذهب ، وهو بال جدا • انه ليمشي هونا وعلى عصا طويلة متوكئا • وهو ممسك اليد الى قصاراه ، وقيل بانه ينام ليلته على صناديق نقوده[11] •

ان خدمته الرسمية الطويلة في الحكومة التركية ، وهي التـي نال عليها رتبة (باشا) ، صيّرته حصيفا ، أي حصيف ، وشيخا حاذقا مجربا • واثر اشغاله مناصب شتى ، في أمكنة قصية مـن قضـاء رواندوز،شغل طوال ١١ سنة،قائممقامية اربيل،كما شغل،حينا من زمان، وكالة متصرفية (محافظة) لواء السليمانية • وبسبب وثاقـة معرفتـه بالاكراد ، وطرائقهم ، كانت الحكومة التركية تلجأ اليه في أيـام

عسرتها . وفي ظرف ما ، اوفد الى السليمانية ليصلح ذات البين بين الشيوخ البلديين والمتصرف التركي ، وفي ظرف آخر نال من (شاه فارس) وساما لحسمه احدى المنازعات الناجمة بين قبائل الحدود . وباعتداده موظفا تركيا سابقا كان مستقيما مخلصا ، وبقي للحكومة البريطانية مواليا ثابتا ، يمكن الاعتماد على مشورته دوما ، ان لم تمس تلكم المشورة اعداءه الشخصيين او ما يتعلق بنقوده بوجه ما . لقد قتل ابنه الوحيد قبل عام مضى ، وحفيده (اسماعيل بك) قد اتخذ (رواندوز) اليوم مثوى .

وكانت الحال فى (باطاس) تبعث على الطمأنينة والرضى . وعلى الرغم من ان الـ (سورجي) حاولت القيام بحركة عدائية ، قبل اسابيع خلت ، الا ان وجود رتل التأديب في منطقة عقرة حال دون ذلك . وكان مبعث قلقنا الرئيس يتركز حول قبيلة الـ (هركي) ؛ وكانت في هذا الاوان تنحدر الى مضيق رواندوز ، ومن العسير ان يسيطر عليها ان افلتت من قبضة اليد ، ذلك ان في مقدورها استنفار ٦٠٠ من المقاتلين حسني السلاح ، وانهم من أفضل المقاتلين في هذا الجزء من كردستان .

وعدت الى اربيل يوم الـ ٢٤ من تشرين الثاني ، بسبيل (موران) و (كورة) . والاولى قرية ذات رواء كائنة في واديها الخاص الضيق الصغير ، ويفصلها عن (دشتي حرير) نشز من صخر سامق . لقد كانت منذ قرون مستقر اسرة من (الملالي) ، تابهة الشأن معروفة بـ (الحيدرية) . وذات مرة كان فيها بين ٢٠٠ — ٣٠٠ من البيوت تطيف بها بساتين تمتد اميالا ، لكن الماء الذى كانت تروي به كان يستنفذ في بساتين شقلاوة ، اما اليوم فليس هناك الا احد الجداول الصغيرة ينساب في الوادي نزلا ، ثم يتسع مجراه ، بمروره في القرية ، ليكوّن بركة ماؤها (اصفى من عين الوزة) . واحد (الحيدرية) هؤلاء هو اليوم في القسطنطينية ، وقد شغل مؤخرا

منصب (شيخ الاسلام)[١٢] • وثم رجال عديدون من (الاســرة) يقطنون اربيل نفسها ، ويمثلها في (مادران) ، في هذا الاوان ، المدعو (عزيز اغا) ، وهو كردي على الفطرة الساذجة غير متعلم ، قتــل ثلاثة من الجندرمة في مضافته باخرة • ومن عجب انه ، في اليوم الذي احرر فيه كلماتي هذه ، وردتني رسالة تفيد في القرية قد دمرت كليا بفعل النار •

ومن هنا ، افضى بنا تسلق نشز آخر الى الطريق الرئيس الماد بين اربيل وشقلاوة ، وسرعان ما وجدنا انفسنا مع مصطفى آغا ، في(كورة) تغذى •

وعدت الى اربيل في الامسية نفسها ، وبعد يوم او يومين كنــت طريح الفراش اعاني من شدة حمى • ولقد شفيت منها في الوقت اللازم لاستقبل العقيد ويلسون مرحبا ، اذ قــد وصل اربيل يوم الـ ٢٩ مــن تشرين الثاني ، جوا • وجاء في اليوم نفســه ، (النقيب كيرك) من باطاس ، وكان في طريقه الى عقرة ، ومن الآن فصاعــدا اخذت اصرف شؤون منطقة راوندوز رأسا • وعاد (العقيد ويلسون) الى بغداد يوم الـ ٣٠ من تشرين الثاني ، وكان مجيئه بقصد مواجهة النقيب كيرك ، والبحث معه بشؤون كردستان • واثر عودته سافرت بسيارتي لزيارة الرائد سون في السليمانية • لقد مضت الآن سنوات عديدة على راحة الشيخ محمود ، وتحت حكم الرائد سون النشط تبدلت روح المكان وتغير مظهره كليا • وعدت الى اربيل بعد ثلاثة ايام ، فرحلت الى باطاس كرة اخرى ، وكلي أمل بان الظروف ستسمح لي بان اتوجه الى راوندوز ، وهو مكان سمعت عنه ودأبت على التوق الى رؤياه شهورا •

---

(١٢) نسترجح انه يريد المرحوم الشيخ ابراهيم الحيدري الذى اشغل وزارة الاوقاف في وزارة المرحوم ياسين باشا الهاشمى فى العهد الملكى البائد

(المترجم)

الفصل الثاني عشر

رواندوز و (المضيق)

وقبل ان نمضي في استرسال في سرد او اطناب في بيان ، خليق بنا ان نلخص ، بوجيز كلام ، تاريخ هذا الموقع الرابع اعني : (رواندوز)، وهي البليدة التي غدت ، طوال العشرة اشهر التالية ، مركزا تحوم حوله افكاري ومطامحي •

وعلى الرغم من وجود تواتر يرجع بتاريخه الى القرن السابع عشر الميلادي ، الا ان قلة من التفصيلات تتأتى عنها حتى تولى زمام الحل والعقد ، في سنة ١٨٢٦ ، محمد باشا المعروف بعاهة منيت به عينه ، لذلك سمى (الباشا الاعمى)[1] •

ولما كان هذا هو رأس الاسرة الحاكمة محليا ، لذلك سرعان ما عمد الى تدعيم سلطانه في منطقة رواندوز[2] • وفي غضون سنوات قليلة اكتسح كلا من (رانية) و (كسوي) و (اربيل) و (عقرة) و (العمادية)[3] و (زاخو)[4] • وتوغل حتى (الجزيرة) و (ماردين)•

---

(١) او (كور باشا : الباشا الاعور) ، ولقد ازدهرت في عهده رواندوز حتى صنعت المدافع فيها ومن هذه مدفع يستقر اليوم في متحف الاسلحة ببغداد . (المترجم)

(٢) يتالف اسمها من مفردتين كرديتين هما : (روان) وهو اسم قبيلة كردية ، وتدل المفردة على معنى (رحالة) ايضا ، و (دز) على معنى قلعة في اللهجة الكردية القديمة .

(المترجم)

(٣) قلعة بنيت على شعف جبل سامق مستدير لاتتسع شعفته الا المدينة وحدها . وبنيت جدران بيوتها على حافته المتهاوية .

(المترجم)

(٤) في راي (الانسة كرترود . بل G . L . BELL) ان في موقع زاخو الحالية كانت تقوم (الحسينية) التي يذكرها البلدانيون العرب وثمة قرية تقوم بازاء زاخو الحالية وعلى الجانب الاخر من (الخابور) لاتزال محافظة على الاسم (الحسينية) انظر كتابها (مراد صو الى مراد صو AMURATH TO AMURATH)

(المترجم)

وعندما ملئت السلطات التركية من سطوته المزائدة رعبا ، جردت ، في سنة ١٨٣٨ ، حملة قوية واستطاعت ان تخضد شوكته بسهولة . والقي القبض عليه ، ولقي مصرعه . والمنطقة اليوم تغطيها بقايا مصانع[٥] قام بتشييدها ليضمن طاعة القبائل ، وليحميها من عدوان (البابان) في السليمانية[٦] .

واستطاع اخلافه ان يبقوا على حال شبه مستقلين ، ودام ذلك طوال عشر سنين ، ثم قامت الحكومة التركية ، بعد ذلك ، بادارة المنطقة قصدا ، مبقية فيها ، في العادة ، حامية لا تقل عدتها عن الـ ٨٠٠ جندي . وما كانت لها من الهيمنة على القبائل البعيدة الا قليلا، وكان جباة الضرائب يسيرون صحبة ثلة من الجنود دواما .

وكانت البلدة قبل الحرب ، تفخر بسكان عدتهم ١٠٠٠٠ نسمة وزيادة ، وبجوامع وحمامات واسواق وسيعة .

وفي اوائل سنة ١٩١٦ احتل الروس (رواندوز) وقامت سوقة ، من نصارى فارس وارمينية ، مع الجنود الروس بانزال الدمار في ربعها ، وارتكبت هذه الطغمة كل ما يتصور من فظائع الاعمال . واستحالت المدينة كلها اخربة وركاما ، فيما خلا المحلة السكنية العالية ، حيث حل الضباط الروس فيها . ان مثل هذا الرعب والكره اللذين بعثهما ما ارتكبه الروس من فظائع ادى الى ان يجمع الاكراد من اربيل وكوي ورانية آمرهم على الوقوف في وجه تقدمهم ، فالتحق آلاف منهم بالقوات التركية التي كانت تخندق على (كرك داغ) المطل على البلدة . وكان كل زعيم كردي اعرفه موجودا هناك ، وبضمنهم

---

(٥) المصانع : هي القلاع والحصون ومنها بناية شيدت بالحجر والجص راكبة ضفة الزاب الصغير ، على مقربة من سد دوكان تدل على بعض ما اسلف هذا الباشا في الايام الخالية .

(المترجم)

(٦) وعلى سبيل المثال بنى البابان حصونا ومصانع امام قمجوغة الكائنة عند فم لجف جبل لتنهض بازاء القلعة التي بناها محمد باشا الراوندوزي في سردكة على الجهة المقابلة من نهر الزاب .

(المترجم)

(حمه اغا) الذي قيل انه كان ينام نوما هادئا خلال اشد الاوقـــات حرجا • وتناهت الى مسمعي شكاوى عامة تتصل بتصرف الضبـــاط الاتراك في هذا الظرف عينه ، وعقيب ايام قليلة انسحب الاكراد متبرمين ستززين • ومن المحتمل ان (الامر التركي) وجد ان من المستحيـــل اطعامهم ، وان مثل هذا الحشد العظيم الذي لا يعرف معنى الضبـط والربط ان هو الا غرم عليه وليس بغنم • وما استطاع الروس الاصعاد في (كرك داغ) الى الموقع الحصين والاستيلاء عليه ، فاضطروا بعـد شهرين او ثلاثة أشهر على الانسحاب • وعند ذلك عاود الجيـــش التركي احتلال البليدة ، وقبل مضي وقت طويل اجهز ، كآفـة الجراد الزحاف ، على البقية الباقية فيها • لقد قطعوا شـجر الفاكهه الثمـين ولستخدموا خشبه وقيدا ، وهو ما ابقى عليه الروس قبلا • وفي وقت الهدنة (سنة ١٩١٨) من المحتمل انه لم يبق من سكنة البليدة اصـــلا الا ٢٠ بالمئة فقط • وكان هوءلاء على حال فظيعة من الشقاء والحرمان ومما لاشك فيه انغالبهم كانوا في سبيلانهلاك لولا اتدخل البريطاني الذيجاءفي ابانه منقذا(١)وعقيب الاحتلالالبريطاني لاربيل باياهقليلة، وبينما كان يعبر ساقيةعلى الطريق المفضي الىدار والده عبدالله باشا في (بالطاس) لقي (سويد بك) مصرعه ، انه الرجل الفذ ، ذو تمام العزيمة وشدة الشكيمة ، في رواندوز • اطلق النار عليه اناس مجهولون كانوا يختبئون في بساتين مجاورة ، ولقد انعقد الاجماع على انه ســـري القوم ، ومقدمهم في المنطقة • وشغل مرة او مرتين منصب الحـــاكم عليها ، وذلك تحت ظل الاتراك ، كما ان نفوذه بين القبائل كان عظيما• ولو بقي في الاحياء لوفر على الحكومة البريطانية مـــن المتــاعب والنفقات كثيرا • ذلك ان بموته مات الزعيم المحلي الوحيد من بـــين الاكفياء ، القادر على السيطرة على المنطقة كلها • وخلف ولده الوحيد واسمه : اسماعيل بك •

عيّن اول (مساعد حاكم سياسي) بريطاني في رواندوز في وقت متأخر من شهر كانون الاول سنة ١٩١٨ • ومهما تكـن الحـــال ، فقد وصل الرائد نويل بعد ايام قليلة واخذ يعمل على تنظيم الحكومـة

المحلية ، ووزعت المناصب الرئيسة على وجهاء البلدة ، اذ تبين ان من المستحيل جعل احدهم فوق الجميع سائدا . كما خصصت لزعماء القبائل معاشات وعينوا قضاة في الاقسام التابعة ، كل في مستقره من المنطقة . كما وزعت القروض الزراعية بيسر واسماح ، وبذلك استطاع السكان الذين اشرفوا على الموت جوعا من اقامة اودهم خلال الشتاء ، وان يزرعوا كميات قليلة من الحنطة للحصاد القابل .

وقام ثلاثة من (مساعدي الحاكم السياسيين) بادارة المنطقة على التتابع حتى اوائل تموز حين عين النقيب كيرك . لقد وجد هذا نفسه يجبه خطرا جادا حقا . ذلك ان (ثورة الشيخ محمود) كانت ضربة جادة نزلت بالناموس البريطاني في طول كردستان وعرضها . وما كان عند الحكومة في رواندوز من ناموس يدعمها الا قليلا . وكانت اقرب حامية اليها في اربيل ، على بعد نحو ٦٨ ميلا . وعلى الرغم من وجود عدد ضخم من الجندرمة ، الا انهم أقرب شيء الى ان يكونوا اتباعا للاغوات من خدمة الحكومة ولذلك غدا هؤلاء المجندون (الجندرمه) خطرا محققا . وكان الزعماء البلديون الذين انقذوا من الموت جوعا ، عن طريق المعاشات السمحة والقروض الزراعية ، قد شرعوا بالتململ والتذمر عندما توقفت القروض وخفضت المخصصات . وسرعان ما رأوا ان الحكومة لا تملك الا وسائل قليلة لقهرهم ان تصرفوا تصرفا سيئا . ورفض نوري نجل (باويل اغا) . وهو ضابط درك شاب ذو شخصية بارزة ومن حصل على نفوذ كبير بين صفوف جنده ابان ثورة السليمانية اطاعة اوامر (مساعد الحاكم السياسي) .

وتحت وطأة مثل هاته الظروف ، وبوجه القتول الحديثة التي شهدتها (العمادية) ، وبالنظر الى النفقات الضخمة التي صبت في سبيل ادارة المنطقة وما جني من ورائها ، بقدر تعلق الامر بالغاية التي صبت في سبيل ادارة المنطقة وما جني من ورائها ، بقدر تعلق الامر بالغاية التي اليها قصدنا والغرض الذي اليه نزعنا ، الا القليل ،

لذلك تقرر اخلاء رواندوز[٧] ، ونقل دائرة (مساعد الحاكم السياسي) الى (باطاس) • لذلك اتخذ رجل من الجند لمساعدة النقيب كيرك على مغادرة البليدة سالما •

والقي القبض على (نوري) ، ولكنه في غضون دقائق قليلة ،استطاع ان يفلت من قبضة حارسه ويدحرج نفسه على حدور سفح الجبل نزلا• لقد خابت جميع الجهود التي صبت في سبيل معاودة القاء القبض عليه• وفي العاشر من شهر آب استطاع الرتل ان ينسحب خلال المضيق من دون معوق ، وينصب (مساعد الحاكم السياسي) في باطاس • وابقيت مفرزة صغيرة معه لتعزيز سلطانه •

وامتعض سكان رواندوز من انسحاب الحكومة ووقفوا من هذا الامر (وقوف شحيح اضاع في الترب خاتما) • ذلك انهم لم يكونوا شاعرين بعداء تجاهها ، او انهم لم يكونوا يشعرون به ابدا • وفي غضون ايام قليلة زار النقيب كيرك في باطاس جميع الوجهاء المقدمين • وبناء على طلبهم عين (نورس افندي) ، وهو الشخص الذي لقيناه من قبل في شقلاوة ، ممثلا للحكومة في البليدة • كما عينت قلة من الموظفين لتكون له عونا • لكن الرؤساء العشائريين حرموا من معاشاتهم جميعا فيما خلا (الشيخ محمد اغا) رئيس قبيلة بالك وهو من كان عن فتح الطريق المؤدي الى فارس مسؤولا ومن مد يد العون الموالي الى الحكومة دوما •

وكان (دشتي حرير) يدار من (باطاس) رأسا ، على حين بقيت (ناحية ديره حرير) المؤلفة من ارض تلال واقعة بين منطقة اربيل ودشتي

---

(٧) مما ساعد على نجوم مثل هذا الوضع في رواندوز عينها : انها في موقع حصين ، وتشبه في ذلك ، الى حد ما (العمادية) . ذلك انها محاطة بوديان واشبه ما تكون بقلعة منيعة . ونفتي معلومات القاريء الكريم عنها فنقول انها كانت في عهود العراق القديمة مستوطنا ضم الى الانبراطورية الاشورية كما ضم الى المملكة الارمنية عندما وهن شأن الاولى .

(المترجم)

حرير بأمرة مدير الناحية يحيي بك ٠

وعلى غرار ما يفعل الاطفال المتخابثون دأب اهل رواندوز وما جاورها ، لاشهر قليلة ، على سلوكهم الحسن ، آملين من وراء ذلك حمل الحكومة «الام» على العودة ٠

وعاش (نوري) منفيا في قرية على بعد اميال قليلة خارج (البلدة) ٠ وذات مرة قصفته طائرة ، لكنها هوت بعد ذلك بدقائق قليلة في (دشتي ديان) قبالة رواندوز ٠ وكان قد اتخذ ربانها والنقيب كيرك الذي كان يقوم بوظيفة راصدها ، الى باطاس سبيلهما سالمين ٠

غيّر القتلة في (بيره‌كبرة) ، في مبتدأ شهر تشرين الثاني الوضع، وشاع السلب والنهب على الطرق العامة وذاع ، وفي مقدمة مرتكبيها: يوسف بك ومحمد امين بك ، من اهل (دركله) الكائنة على الطريق الفارسية ، ينضاف اليهما بعض مناوئي الشيخ محمد اغا في قبيلة (بالك) ٠ وتحسّنت الامور قليلا لدى ايفاد حملة عسكرية الى (عقرة) وجاء (مير محمد امين ابك) واودع ضمانا بحسن السلوك في قابل الايام ٠ ومهما يكن من امر ، لم يظهر الساخطون الناقمون في (بالك) ما يدل على الندم ، على حين ازداد طغيان يوسف بك واخذ يدبر ما يرفعه الى مقام كبير في (رواندوز) ٠ وخاب والد زوجته (الحاج نورس) في كبح جماحه ، وفي معالجة الوضع عموما ، لذلك اخذ يبعث بالرسائل يرجو فيها قبول استقالته ، حينا فحينا ٠

لقد سبّبت هذه الاضطرابات لمساعدي الحكام السياسيين المجاورين قلقا عظيما ، ولو سُمح لها على الدأب ، من دون كبح لسرت عدواها الى المناطق المجاورة ايضا ٠

وعلى حين ذلك اتخذت السبيل من اربيل الى باطاس يوم الـ ٦ من كانون الاول ٠ وكنت اروم الشخوص منها الى (رواندوز) ان استطعت الى ذلك سبيلا ٠ وكل ذلك عساني اجد الوسائل التى تحول دون قيام اضطرابات اخرى ، وان سمحت الظروف ان اقتص من المعتدين ٠ وكنت آمل ايضا ان اقيم هناك نمطا من الحكم اكثر استقرارا ٠

وانصرفت ، على السبيل الرئيس راشدا ، واستطعت ان اقطع الـ ١٨ ميلا الاولى ، المفضية الى(ديرة)بالسيارة ، دأبا • واسم (ديرة) مشتق من اسم دير نصراني كان في هذا الجوار بسبب من وقوعها على الطريق الرئيس انمحت من الوجود ، خلال الحرب ، كليا • ولم تخلف وراءها الا حصنا منيعا على تل يتعالى ، هو احد مخلفات (الباشا الاعمى) • ومهما يكن من امر ، لقد حصل (مجيد اغا) ، شقيق (جميل اغا) رئيس قبيلة (كردي) على شطر كبير من القرية ، بالشراء تارة وبالاستحواذ تارة اخرى ، وهو اليوم يعيش في كوخ موقت شيّده في اسفل الحصن تماما • انه رجل علت به السن ، ذو وجه لفحه الطقس، يعدم اللحية ، ويرتدي في هذا الوقت من السنة نوعا من رداء أزرق اللون يضيق على جسمه وذا ازرار تحمل (الاسد الايراني)و(الشمس)• ولما كان هذا الرجل اعلى من (جميل اغا) سنّا ، كان له ان يحصل على زعامة قبيلة (كردي) ، لكنه نحّى عنها بسبب من غرابة طبعه وجعله يده مغلولة الى عنقه ، وهذا هو على النقيض من أخيه ذي الشخصية الاكثر تفتّحا وانفساحا • وكان الشنآن بين الاخوين دائبا لايريم • يصطنعها لازعاج غريمه دوماء وغب تجربة استطالت اشهرا ، وشملت وكان جميل اغا ، بخاصة ، يهوى الى الاعيب أشد ما تكون ضعة ، الاثنين معا ، اخذت افضل (مجيدا) اذ وجدته اكثر اخلاصا ، من بين الاثنين ، وصدقا • وكان احد مطامحه ، وهو لهج به ، ان يغدو لـ (ديره) مديرا ، لذلك سبّب متاعب جمّة لمن يشغل ادارتها • وكلما كنت ازور هذا المكان كان ينجم تنافس كبير مبعثه من منهما سيقوم بواجب الاقراء لي ، هو ام (يحي بك) •

ويحي بك هو حفيد (رسول باشا) ،آخر حكام رواندوز المستقلين ، ومن جهة امه هو حفيد (عبدالله باشا) الهرم وابن عم اسماعيل بك • ولد في كركوك ودرس فيها وهو لايشبه الكردي في مظهره وفي خلقه ابدا • أذ له وجه أبيض عجيني • وكلامه بتشنج عصبي • ولم يؤثر فيّ هذا الشخص تأثيرا طيبا بأول الامر ، لكنني وجدته فيما بعد موظفا على اشد ما يكون الموظف في خدمة حكومته ،

كفاءة واخلاصا ، لذلك فهو من هذه القلة التي كنت اعتمد عليها • ان اجتوائه الاكراد وهياجا كان يعتريه غالبا صيراه غير اثير في المنطقة نفسها • وبعد ان قدم لي طعاما هيّن الشأن في القلعة صحبني وانا اتخذ الى باطاس سبيلا •

ومررنا خلال الاميال القليلة الاولى من سفرنا هذا بنشوز خفيضة متتابعة قوامها حجر الجير وحجر الرمل ، حتى بلغنا : (دوين) • كانت هذه كرسي احدى الاسر الحاكمة القوية ، لكن لم يبق اليوم منها الا حصن خرب ، حيث يمد الطريق فوق سلسلة من تلال • وتقطن الارض المحيطة بها قبيلة (زرارى) وهم اناس من الجهلاء الوضعاء (كذا:المترجم) لاترى قراهم من الطريق • وتكسو الحدور الاخرى لنشز (دوين) نجوم النبات والعشب ، انه لبقعة موتقة ابان الربيع ، مطرزة بالزهر • هنا وجدنا مضربا كبيرا من مضارب الـ (هركي) وهي قبيلة كانت على طريقها من التلال نزلا • كانت الستائر المضفورة من اماليد الشجر والتي تكون جدران خيامها السود قد لفّت الى وراء ، وفي الامكان مشاهدة الرجال والنساء والصبيان جالسين يستدفئون في شعاع الشمس ، ونحن نمر على الطريق • ان لهم منظرا مونقا يسر الناظرين ، لكنهم مهلهلو الثياب ، وهي قذرة • وثمة كلاب ضخمة ضارية هرّت علينا ابان مرورنا ، كما كانت هناك عدد كبير من المهور والانعام وهي ترعى على الحدور صعدا ونزلا • وعبرنا جدولا ضخما، انه الذي ينبع في شقلاوة نفسها ، ويمر بـ (ماوران) ، ثم اخذنا نرقى خلال الديار المكسوة بشجير البلوط كساء حسنا • ثم جسنا خلل سهل صغير مخفوض فيه عين كبريت ، حتى بلغنا (بابا جيجيك) وهي قرية صغيرة فيها مركز درك ، ومقهى تبيت عندها القوافل السارية على الطريق عادة • واثر مرورنا من فجوة في سلسلة متهاوية من تلال . نزلنا منحدرين الى دشتى حرير ، ثم اننا ، بعد ركوب استطال مدة ساعة على ارضين متموجة تركنا الطريق الرئيس واكملنا الاميال الخمسة الباقية الى بلوغ باطاس •

وامضيت هنا اربعة ايام مددا ، كان اثنان منها في المعسكر ، واثنان في بيت عبدالله باشا . وفي الليلة الاولى التي اختلفت فيها الى المعسكر استضافني بكرمه الرائد مدلتون المنسوب الى الوحدة ال ٨٧ النجابية ، وهو آمرها اليوم.وزرت صباحالتالي (الباشا الهرم) فوجدت كتابا ورد من (محمد سويد بك) ــ وهو من بارادوست ــ يفيد انه قام بعون من القبائل المجاورة بقطع طرق الفرار التي كانت مفتوحة امام قتلة (مستربل) و (النقيب سكوت) ، وان في مكنته القاء القبض عليهم ان مدت الحكومة يد العون اليه . واخبرني (الباشا) ايضا ان (احمد اغا) ، وهو من (شيروان) زار حفيده في رواندوز واعطى وعدا مماثلا، لذلك ابرقت الى بغداد استأذنها بالشخوص الى (رواندوز) لمحادثة هؤلاء الرؤساء ، والقاء القبض على القتلة ان استطعت الى ذلك سبيلا . وجاء الاذن حالا ، كما اوعز الى الرائد مدلتون من قبل السلطات العسكرية بأن يتقدم صُعُدا حتى (كاني وتمان) ، عند فم (المضيق) لكي يكون لي منجدا . وتكلّمت بالهاتف مع اربيل اطلب مجيء (سيد علي افندي) صحبة اكثر عدد يستطيع جمعه من الدرك . ووصل في الزمين [٨] اللازم وهو يوم التاسع من الشهر ، وبالجنود الذين جاء بهم وبمن كانوا في باطاس ، اصبح عندي حرس عدته : ٥٠ وقبل ان ارحل رأيت ان من الاحجى ان يكون معي رئيس عشائري واحد يكون لي نصيرا، لذلك ارسلت الى جميل اغا وهو من عشيرة كردي خبرا كي يلتحق بي بأسرع من رجع الطرف ، وفق ما يستطيع ، وان يكون في صحبته : ١٥ رجلا .

واخيرا فصلت يوم العاشر من الشهر يرافقني جمعي الحاشد هذا . وكان طريقنا لمسافة اربعة اميال ، يمد خلال واد متكون من (حرير داغ) وكدس من صخر طويل . ومررنا بثلاث قرى او اربع وكان مسارنا وعرا صخريا . وبلغنا الطريق الرئيس ثم انحدرنا الى

(٨) الزمين والزمن والزمان : هو الوقت .

(المترجم)

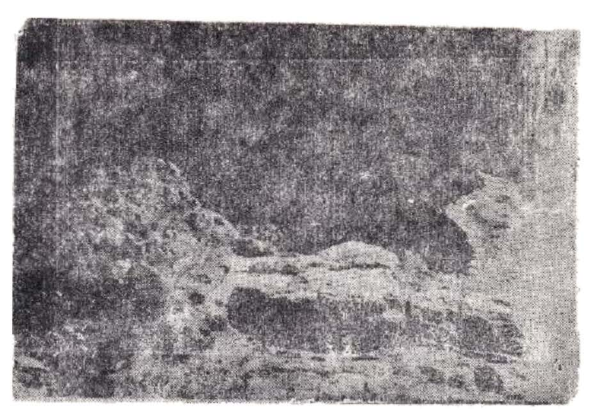
(مضيق سبيلك) فوجدنا انفسنا في ارض تختلف اختلافا كبيرا ، وهي اكثر عظمة وجلالا • وكان على يسارنا جبل عامر كثيف الشجر يعرف في هذه الارجاء باسم (صقع سرجية) ، وامامنا يقوم (كرك داغ) ، وهو شبيه بالسرج ، وبعلو يقرب من ٧٥٠٠ من الاقدام • انه الآن مغشّى بالثلج وقد تراكم عليه طبقا على طبق • على حين هناك الحدور الشرقي لـ (حرير داغ) وقد كسي بشجر البلوط كساءا حسنا •

وبين هاتين السلسلتين كنا قادرين على رؤية امتداد واد ضيّق يطبق عليه من اعلى ، احدُ الشوامخ السوامق هو اشبه ما يكون بعمود جبار ، وتملي ساقية متمعّجة بلمعان الفضّة والى قلبه منحدرة • وكان طريقنا يمد عند قاعدة نجود سرجية ومن مسافة تقرب من ميلين او ثلاثة اميال من (مضيق سبيلك) رأينا على شمالنا مقهى منعزلة وفوقها تختفي قرية (كاليكين) حيث يحل الشقى المشهور (حمادة شين) • وبعد ميلين او ثلاثة اخذنا تسلّق مسارا وعرا الى قرية (كاني وتمان) مفضيا • انها تقوم لفائدة القوافل المارة في الدرجة الاولى ، وفيها خانات ثلاثة لتحل القوافل فيها • انها بِنَى عجيبة غريبة لا نوافذ فيها فلا ينفذ الضياء اليها ، وسقوفها جد واطئة ، والى عديد من جذوع الشجر الخشنة مرتكنة • وفي هذه القرية كان يحل الدرك ، وفيها مركز مكس لتفتيش القوافل القادمة من فارس • ومن هنا يمكن ان يتملّى المرء مشهدا عجبا رائعا ، انه منظر الوادى الذى ذكرناه قبلا • وعلى حين تراءى أن أي تقدم لمسافة اميال قليلة قدما تقف دونه عقبة ، وما ادراك ما هذه العقبة : انها جدار فخم من صخر وخارج من (كرك داغ)متفرعاء ولا يمكن مشاهدة الا فرجة شبيهة بحرف (V.) الانكليزي ، ومن هذه الفرجة يسد الطريق الى (المضيق) داخلا •

ونزلنا منحدرين من (كاني وتمان) وسرعان ما بلغنا السهل الصغير المسمّى (خليفان) وضفة الجدول الذي كنا نراه منذ مسافة طويلة وهو يتدفق في واديه • واثر خبب يسير على ارض منبسطة معشبة ولمسافة اكثر من ميل او ميلين ، ومع الجدول دخلنا الابواب

المسمة بالاعتام المفضية الى (المضيق) •

لقد سمعت كثيرا عن هذا المكان ، نابه الشأن ، لذلك ولجته بأساس غريب اختلط فيه الرعب مع الاعجاب • في خارجه السدف والشمس ينساب شعاعها الى الارجاء كلها ، اما الان فالظلمة مطبقة والقر شديد ، وثمة برك على الطريق يعلوها جليد • ويستغرق المرور من (المضيق) مدة تتراوح بين ساعتين ونصف وثلاث ساعات ، فالمسافة نحو ١٠ اميال • وفي الاميال الثلاثة منها ، ينحدر الطريق محاذيا الجدول ، ويعبر هذا اول مرة بواسطة جسر متداعي البناء جدا • ان حاشيته على الجهة اليمنى من جذوع اشجار سود وصخرات لونها رمادي تعلوها صخرة شاهقة حادة ، يزداد علوها شيئا فشيئا ، ولا معدى عن أن يكون ارتفاعها ٢٠٠٠ من الاقدام • ويتواجه هذه ، على الجهة المقابلة شاهق كبير ، والمسافة بين الاثنين في بعض الاماكن لاتزيد على مئة ياردة • ويتلوى الطريق ويتعمج مارا بين صخور ضخام ، وينعطف عطفة غير مرتقبة ، ثم يمد بمحاذاة الجدول ، فطريق جسري موثق بازاء صخرة علوها ٣٠ قدما ، ثم يفضي الى فسحة صغيرة ، تستريح عندها القوافل ، فبقع صغيرة مزروعة بالماش • وعقب ثلاثة اميال ينبذ الطريق الجدول ويبدأ بالارتفاع • هنا نشز من صخر منعزل يقف في منتصف المضيق وكأنه عمود ضخم • ويمكن ان يشاهد بعد ذلك مضيق آخر يتفرع من الجهة المقابلة بزوايا قائمة • ويبدأ المسار هنا بالتلوى ويتعالى على النشز واذا ما نظر المسافر الى اسفل، رأى انه الان ذاهب في الجدول صعدا ، ذلك انه قد بلغ الان (رواندوز جاي) وهذا ، والجدول الذي رآه قبلا ، ينحدران على جهة المضيق المذكور الى الزاب الاعلى • ويدأب على التسلق لمسافة ٤ او ٥ اميال حتى يشاهد (رواندوز جاي) ، وكأنه خيط من فضة رفيع على مسافة ١٣٠٠ من الاقدام نزلا ، على حين هناك نشز من صخر يتعالى بما يزيد عن ١٠٠٠ من الاقدام • ويجبهه ، في الجهة المقابلة ، نشز من صخر عظيم علوه نحو ٣٠٠٠ من الاقدام •



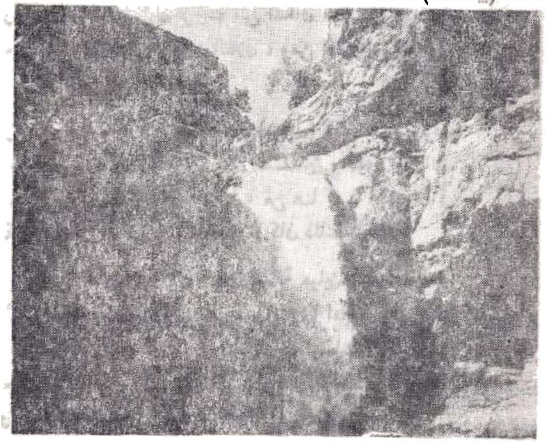
شعب الجبل في رواندوز

هنا الشجر والعشب وفير ، حيث يستطيع بجذوره الامساك بجوانب هذا الشق الرائع . ذلك ان منحدراته السفلية ليست حادة تماما ، والطريق يتلوى داخلا وخارجا بمحاذاة الوديان والمداخل . لقد غشيني ، لدى اختراق المضيق راكبا اول مرة روعة عظمته وجلاله ، وكاد ذلك يطبق علي . وكانت ابيات (براونتغ : BROWNING) في قصيدته : (جايلد رولند : CHILDE ROLAND) [٩] تجول في خاطري دأبا ، اذ قد صورت لي (رواندوز) بصورة (البرج الاسود) فيها . لم اشهد الطبيعة رائعة كما شهدتها ها هنا . بأية ضربات مفزعة استطاعت ان تشق هذا الكدس من الجبال الرواسي ، او بأي عدد من سني العمل استطاعت اذ تحفر هذه الهوات العظيمات ياترى .؟! وفي اعلى نقطة على الطريق هناك منصة خالية هي أشد مواقع الستر الروسية تقدما . ومن هنا يمكن ان يلحظ ان المضيق الصغير يستدير الى اليمين ، على حين هناك مضيق اصغر كائن الى الامام داخل فيه من

(٩) شاعر انكليزي نابه الذكر من العصر الفيكتوري (١٨١٢-١٨٨٩) وهو من كرس حياته للشعر .

(المترجم)

الجهة المقابلة . ولو نظر المسافر بأمعان لرأى عند النهاية العليا اخربة جسر عظيم كان في يوم ما يعبر الجدول الجاري تحته ، ثم قرية (بالكيان) . ووراء هذه ثمة لمحة مرة لسهل مخضوضر تحده جبال ضخمة جللت الثلوج هاماتها .ونأخذ الان بالانحدار وسرعان ماتيامن، وفي هذا الاتجاه يمتد المضيق لمسافة ميل مستقيما ، ثم ينعطف عطفه حادة احرى متياسرا . وفي هذا الميل تكون الشواهق الصخر ، على انها غير مرتفعة ،اكثر حدة ، والجدول يشاهد غالبا من علو شاقولي على مسافة من الطريق نزلا. ان الشاهق الصخر المقابل اجرد ومخطط بطبقات افقية، وثمة مسار يمد بمحاذاة القعر مفضيا الى كهوف صغيرة مقدودة في الصخرة ، كما يشاهد خارجها قطع خشب محترقة وروث الحيوان . وعند استدارة المضيق الرئيس متياسرا يتفرع مضيق جانبي قصير متيامنا ، وفوقه ينعطف مسارنا . هنا يساقط ماء غمر مزبد في مجرى ضيق تقوم على حفافيه شجر الصفصاف والارز ، وزهور البرية ، والتوت الشوكي . ويعبره الطريق ثلاث مرات والعبرة الاخيرة تحت شلال (بيخال) تماما .



شـلال بيخـال

ان هذا النبع يند عن الوصف :

وكنت متى ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما امتعتك المناظر !

وهو و (تاج محل في اكرا) اروع منظرين اثنين حظى (الكاتب) برؤيتهما حتى يومه هذا ٠وفي داخل الممر الضيّق الذى تطبق عليه نشوز سود هائلة ، وتحت الشق الذى يشبه شكله حرف (V) الانكليزي ، ومنه يخرج المسافر الى الهواء الطلق كرّة اخرى ، ينبع، على حين غفلة ، ومن نقطة في الصخر على ارتفاع ٥٠ قدما فوق الشلال، ماء ذو رغوة بيضاء فينتشر كالمروحة المفتوحة ، ويتضخم في كل لحظة، وله دوي في انحداره على الحدود المتهاوي،ليكون في القعر جدولا ضيقا

غمرا يتقافز ماؤه فوق صخرة فصخرة وفي مجراه البهيج القصير مصطبخا حتى (رواندوز جاي) انتهاء ٠ وحتى في منتصف الصيف ان ماءه لقادر على تجميد الحلقوم ! ويحيل الجو باردا مستحبا ٠ وثمة فسحة تتعالى فيها قلة من شجر الجوز تهيىء محل راحة للسابلة المجهدين ٠
بشعور من راحة تسلقت الشق وخرجت الى المكان الطلق ٠ لقد وجدنا انفسنا الان في حوض تطيف به التلال ، ومن المفروض انه لولا المخرج الذى نفذنا منه لتكونت بحيرة ٠

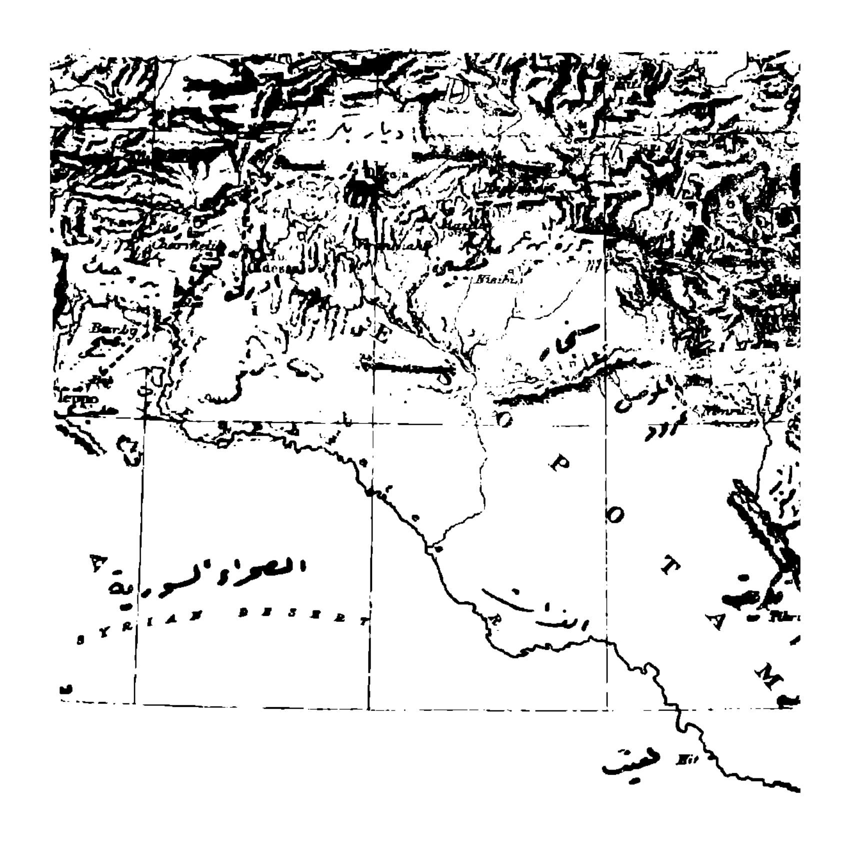
وبتياسرنا مررنا بالقرية الخربة المسماة (بيخال) ، ثم شرعنا نرقى نشزا ورأينا من فوق قمته جماعة من الرجال المسلحين والذي تبين انهم بعض درك الحاج نورس جاؤوا لاستقبالنا ٠ من هنا كنت افكر ان في الامكان رؤية (رواندوز) على التحقيق ، وما كان ذلك كذلك ٠

ودأب الطريق على التلوي،داخلاوخارجا،لمسافة ميلين،وبمحاذاة التل، حتى استدرنا حول الفج العميق ، ها هي (رواندوز) امام اعيننا ! لقد خلبني المنظر (وكدت من الشوق الممض اطير) حين ارسلت النظر الى رجل متين الجسم كان يعمل في مجرى ماء كائن على جانب الطريق ، وسرعان ما ولى الرجل فرارا بمجرد تقربنا انه (نوري) اياه ! ٠

وخارج البليدة تماما استقبلني جميل بك ، وكنت قد رتبت معه على ان احل عليه ضيفا فقادني الى بيته خلل زقاق ضيق وصفوف من ارباب وجوه مندية ، بعيون محدقة • ها قد فتح فصل آخر في تاريخ رواندوز ــ كيف سيكون مختتمه ياترى ؟•

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني

قريبا بعون الله وتوفيقه .



خارطة بلاد ما بين النهرين MAP OF

MESOPOTAMIA AND KURDISTAN

وكردستان

المقياس Scale of Miles بالاميال

50 0 50 100 150

Roads described ----------

Parts of other journeys by the author at various times -----

الملحق الاول

الملحـــق الثـــــاني

اثارت وفاة الاستاذ البحاثة فؤاد جميل مترجم هـــذا الكتـــاب اراء وتعقيبات اعلام الكتاب آثرنا نشرها في هذا الملحـــق تخليـــدا لذكراه - لقد ثبتناها ، غير مسلسلة ، حسب تواريخ حصولنا عليها ، فمكانة (كتابها) مقدرة لدينا ، على حد سواء .

الناشر

٢

٢٤٩

٢٥١

٢٦٧

٢٦٩

فؤاد جميل .. فقيد الثقافة والتراث(*)

للدكتور حسين امين

فقد العراق بل فقدت العربية واحدا من القلائل العاملين في حقل التراث ، ففي الامس القريب نعى الناعي الزميل الاستاذ فؤاد جميل ، الرجل الذي بنى مجده بعرق جبينه وعلا فى افق الثقافة بدأبه المتواصل وجهوده المثمرة .

نشأ الفقيد نشأة طيبة في بيت له عراقته في مدينة العمارة وتلقى معارفه العالية في جامعة بيروت الامريكية حيث تخصص في آداب اللغة الانكليزية ، وعاد الى الوطن ليسهم فى نشر الثقافة والمعرفة ، وشغل مناصب تدريسية في المدارس الثانوية ، وكان الفقيد سنة ١٩٤١ من مدرسي الاعدادية المركزية في بغداد ، وكنت أيامها تلميذا في المدرسة المذكورة ، فكان ذلك اول لقاء لي بالفقيد الكريم .

وتقلد الفقيد مناصب ادارية عديدة وكان من مؤسسي ادارة الاذاعة العراقية ، كما زاول مهنة التفتيش في وزارة التربية وحاضر فى مواضيع اللغة الانكليزية وآدابها في جامعة بغداد .

لقد برز الاستاذ الفقيد في الستينات كمترجم قدير لروائع ما سطرته اقلام الاجانب عن تاريخ العراق المعاصر . فانبرى الى تلك الكتب المهمة بهمة لا تعرف الكلل وروحية لاتؤمن بالتسويف والتأجيل، وانتقى ما ينفع التاريخ ويبعث في النفوس الشهامة الوطنية ويزيد الشعب وحدة وقوة ، وهو بعمله ذلك عرّف الناس بكثير من الاسرار المخفوظة فى الكتب الاجنبية وأفاد المثقفين فى دراساتهم وبحوثهم ، وجعلهم يحيطون بكل خبايا الاستعمار والجاسوسية وأساليبهما ، وبالاضافة الى هذا وذاك فان في اسلوبه الفريد المتعمد في اقتناص

مفردات لغتنا الفصيحة واستخدامها بشكل يضفي على الترجمة روعة في العرض وبهجة في التعبير بل وانها والحق لهي اللغة السليمة الفصيحة الاصيلة .

ان الثقافة اليوم وقد فقدت واحدا من اخلص روادها وابرز انصارها لتعزي المثقفين اولئك الذين يتعطشون الى امثال تاج الفقيد. عزاء للعلم والمعرفة وعزاء للمودة والوفاء . وانا لله وانا اليه راجعون .

(*) نشر في جريدة الجمهورية بعددها الصادر بتاريخ ٢٨–١٠–١٩٧١

بمناسبة يوم الاربعين :

فؤاد جميـــل

في قافلة شهداء العلم

بقلم د. صفاء خلوصي
الاستاذ بجامعة بغداد

بدأت القافلة قبل عامين ! ...

بدأت يوم نُعِيَ العلامة مصطفى جواد الذي مات والكتـب والاقلام والمحابر تحيطه ، وتبعه عبد الستار فوزي الذي كانت ابتساماته تملأ اروقة جامعتي بغداد والمستنصرية ، وتلاه البحاثة مســكوني ، فعبد الجليل الطاهر فعمر بادزير فشفيق العاني ، واليوم ينطلق صوت النعي بأسم فؤاد جميل ، فأية كوكبة رائعة من رجال العلم والبحـث والادب ودعناها خلال عامين !

والغريب في الامر ان تصاب هذه الفئة بأجمل وارق ما فيها ، وهو القلب ... خانها القلب بعد طول جهاد .

لقد كان فؤاد نسيج وحده ، شخصية فريدة لا تحاكيها شخصية، فقد عاش ومات راهب علم ، فكنت ازوره في بيته في محلة نجيب باشا بالقرب من شاطىء دجلة ، وهو بين اوراق مترجمة ومسودات طباعية ، وكتب من شتى الافانين ؛ والى ذلك كنتُ أطلُّ مـن صـالته ذات الواجهة الزجاجية على عشرات الاصناف من نبات الصبير والطيـور الزاهية الالوان ، العذبة التغريد .

كنتُ اغبطه على حياته هذه ، ولم اكن لاكتمه هذه الغبطـة ،

وكثيرا ما كنت ازوره ، ومعي ولدي الصغير «صميم» وكان يحب ان يراه ويحب ان اصطحبه معي الى منزله ليأنس بمنظر الطفولة ، وكنا كلما تركناه يسألني ولدي : « ابتاه ، اين اولاد عمّو فؤاد ؟ » فأجيبه مستغربا : « او لم ترهم ؟ » فيرد علي بنفس الاستغراب : « لا ! » فأقول له : « انهم يملأون المكتبات ، فكل كتاب من كتبه بمثابة ولد عزيز سيبقى ابد الدهر . لقد حفظ لنا فؤاد جميل في ترجماته العربية كتبا فُقِد أصلها الانكليزي أو اصبح نادرا عزيز المنال » .

ولكن طفلي لن يقدّر ذلك ، الا بعد أن تنضج مداركه ، وسيباهي اقرانه يوما ما بأنه ادرك فؤاد جميل ، ورآه ، وتحدث اليه ، وحمل صورته بالوداعة والمودةواللطف في صفحات ذاكرته .

اعتقد مخلصا ان المجتمع البغدادي المعاصر انطفأ سراج من سُرُجِه الوهاجة بموت « فؤاد » ، وكأن القدر منحه هذا الاسم ليذكرنا يوما ما بخاذله ، بخاذل الرجل الذى وضع اسس الثقافة الفولكلورية في العراق وقواعد الترجمة الرصينة ، فطوبى له ، فقد رحل الى دار الاحبة ... الى حيث تنتظره كوكبة شهداء العلم وفي طليعتها صديقه وصفيه مصطفى جواد ! .

ليدز (انكلترة)
١٩٧٧/١١/٣٠

ورحل عالم آخر(*)

الاستاذ : عبدالمجيد لطفي

خلال اقل من سنتين خسر العراق ثلاثة من جهابذة علمائه وقصاده وذادة الفكر واللغة والتاريخ فيه . ثلاثة تركوا الواحد بعد الاخر ثغرة كبيرة في حقل اختصاصهم من الصعب ان تجد له سداداً .

هذه الخسارة وقعت في حقل التاريخ واللغة والترجمة والثقافة الاكاديمية الرفيعة ، اولهم المغفور له الدكتور مصطفى جواد وقد ذهب مترعا بكل غال ونفيس ودراية فذة،وكان العزاء باثنين من امثاله في الصف الاخر اولهما المرحوم الاستاذ يوسف يعقوب مسكوني وثانيهما المرحوم المأسوف على حياته المثمرة الاستاذ فؤاد جميل ، الضليع المتطلع اعمق اطلاع على مسؤولية المترجم المخلص . فلم يكن أحد يتوقع وفاته وهو بهذا السن وعلى ماكان عليه من موفور العافية والنشاط.ان كلا من هؤلاء الثلاثة كانوا عظاما فعلا في حقول معرفة تحتاج فيما تحتاج الى الذكاء والصبر والتضحية بالوقت والمال من اجل المعرفة . وكان كل واحد منهم متضلعا بلغة اجنبية حية وا اكثر تضلعه في لغته .

واذا كان الاولان ، جواد ومسكوني قد نالا نصيبا طيبا من العمر فأن المرحوم الاستاذ فؤاد جميل كان يعد في صدر كهولة ثرة العطاء ، لذلك فان وفاته تعتبر بحق كارثة للحقل الذي تخصص فيه الى حد الابداع .

ان كتبه المترجمة بتلك الدقة والفصاحة والاخلاص ستظل فريدة في نوعها وواحدة من الاعمال الفكرية الكبيرة المنتقاة بعناية استاذ مخلص ونبيل ومتطلع الى الافضل والاجمل في كل شيء .

ان هذه الكلمات التقديرية الحزينة لايمكن ان تكون رثاءا للمرحوم فؤاد جميل لانه بالتأكيد كان اكبر من كلمات تقال بفرح او بوجيعة عنه . ولقد كان رأيي فيه مليئا بما يستحق وهو حي وقد رسخه الفقدان الموجع اكثر من ذي قبل .

عندما خرجت من مجلس الفاتحة مليء العينين بالدموع مفقود السلوى والعزاء وجدت المتنبي الى جانبي يهمس في اذني برقة وحزن ويقول :

« يدفن بعضنا بعضا وتمشي ، اواخرنا على هام الاولى .»

وبعد فان لحاجة في الصدر تحوم من سنين وجدت المناسب الان لاطرحها امام سيادة امين العاصمة ، وهو ان يقرر في بغداد مقبرة خاصة للادباء والعلماء والمفكرين والفنانين تدفن فيها اجسادهم وتستريح بعد عناء الكدح وان تؤسس في مدخل المقبرة مكتبة خاصة تضم مؤلفات ودواوين الراقدين فيها وتماثيل تصفية لهم وما كتب عنهم من دراسات لان بعض هؤلاء العلماء والشعراء ممن سيزارون على نطاق عربي وعالمي يوما ما ومقابرنا اليوم على ما نعرف من ضيق واجتشاد وأهمال ، وارى ان تكون البداية بنقل وفاة الشاعر الكبير معروف الرصافي الذي ستمر ذكرى وفاته في آذار ثم ينقل الى تلك المقبرة رفاة من يشاء اهله نقله من علماء وأدباء ومفكرين وفنانين مخلصين .

وقد سبق لي ان كتبت خاطرة موسعة بهذا الاقتراح كيومية لاحدى الصحف ولكنها لم تنشر مع ان للموتى من الادباء والكتاب حقا على امانة العاصمة فهم حتى في قبورهم شواهد على تألق بغداد بعقول كثيرة نيّرة عملت وعاشت فيها واستحقت التقدير والثناء .

وليرحم الله فقيدنا الغالي فؤاد جميل بواسع رحمته .

(*) نشرت في جريدة التآخي بعددها الصادر في ٢٠-١٠-١٩٧١

الكناري وجايكوفسكي والموت !(*)

الاستاذ يوسف العاني

تحدثت معه في التلفون راغبا في تسجيل حديث معه يتضمن ذكرياته واعماله وتجربته الطويلة في ميدان الكتابة والبحث والترجمة والدراسة الدائبة .. فقد كان انسانا ذا فكر نيّر ، يعمل بصمت منتج وبحيوية غريبة فائقة ، وتحسبه كلما لقيته مايزال في سنوات شبابه وعنفوانها .. يتحدث بحماس .. ويكتب بحماس ويتهيج ويفرح بحماس ، توفر على عمله الذي احبه فانعزل عن الكثير من متع الحياة وبهرجتها وراح يغدق الحنان على كائنات جميلة تحيط به .. طيوره التي تغني وببغاواته التي تناغيه .. كان يأنس لها يطعمها كما يطعم الاب ابناءه ويؤلمه سكوتها ان سكتت او هدوءها المفاجيء ان كفت عن اللعب والحركة .

الحياة في نظره عمل وعمل وعمل .. والفراغ الذي يعيشه لاينعزل عن توفير المتعة المحفزة لعمل جديد .

انه يقضي الساعات الطويلة يستمع الى جايكوفسكي ويبشر بالسماع له ، ويدعو الى اقتناء الكثير من التسجيلات الموسيقية ، انها تعني البقاء والخلود والتجدد المستمر في حياة الانسان . لقد قال : اسمح لي بمدة ايام ارتاح فيها .. وبعدها سأحقق لك ماتريد .. كان مريضا لكنه لايريد ان يعترف بالمرض ، فقد سخر منه سنوات طوالا ، ولم يرض لنفسه ان يزور مستشفى ليعالج مرض من الامراض ولم يقترب من طبيب ولم يصب مرة واحدة بالانفلونزا . هكذا كان يؤكد ، وهكذا اصر على ان الالم الذي كان يعاني منه لم يكن سوى ألم عابر في ظهره سيزول قريبا . وكنت انتظر شفاءه القريب فقد كان يضحك وهو يحدثنا بالتلفون .

وبعد أيام معدودات قيل لي أنه مات !! هكذا فجأة وبين رمشة عين وانتباهتها يموت الرجل العالم « فؤاد جميل » يموت بصمت محاطا بالاف الكتب ، ومئات الصفحات التي لم يتم كتابتها والكثير من المسودات التي ضمنها افكاره والعديد من البحوث ومئات الاسطوانات .. ولاول مرة بعد سنوات طوال .. لن تمتد يد لتسمع الحاضرين موسيقى جايكوفسكي.. ولاول مرة سكت الكناري وظلت الطيور الجميلة اللاعبة ساكنة الا من الصمت الرهيب الذى احاط المكان كله ..

فقد سكت قلب فؤاد جميل الى الابد .

(*) نشر في جريدة الجمهورية بعددها الصادر بتاريخ ٢٦-١٠-١٩٧١

فـؤاد جميل ..(*)

« مترجم روائع الآثار عن تاريخ العراق

ومدون اعظم موسوعة عن التراث البدوي »

للاستاذ عبد القادر البراك

تلقيت بجزع بالغ ، وألم ممض نبأ وفاة الاستاذ فؤاد جميـــل وهو على ابواب الــن الذي يتكامل فيه النضج ، وتلتقي المتفرقات من الامال والمطامح والاراء فى بوتقة واحدة تنطلق منها الفكرة المختمرة والرأي الرجيح ، والتوجيه السديد ، وزاد من الملي أن يموت الاســتاذ فؤاد جميل ، وهو في مثل هذه السن دون ان تتحقق آماله في تزويــد المكتبة العربية بعشرات الكتــب المترجمة عــن اكابــر العلمــاء وذوي الاختصــاص والاطــلاع في العــديد مــن قضايا العــراق التــاريخية والفولكلورية في القرن العشرين ، وهو الامل الــذى كان يشاركه فى انتظاره عدد كبير من الحراص على استجلاء ما يكتبه هوءلاء من آراء وانطباعات عن عديد من قضايانا في الماضي القــريب الــذي مازالت تربطه بالحاضر والمــتقبل الكثير من الوشائج والصلات .

لقد كان فؤاد جميل من الاساتذة الذين جمعوا التضلع الكامل بأسرار اللغتين العربية والانكليــزية ، تلقى الاولى مــن الاستاذين (الشــيخ قاسم القيــي) و (محمد بهجت الاثري) وتلقى الثانيــة مــن التحاقه بالمعاهد والكليات التى نال منها شهاداته العالية في أدب اللغة الانكليزية والعربية ، ولقد انضافت الى هاتين المزيتين مزية اخرى هي مزية التطلع الى المزيد من الثقافة ، ومد امته الام بما يراها بحاجة اليه من اللغة الثانية ، فكان من اثر ذلك ان تــرك في عالم المطبــوعات ترجمات لعدد من الكتب القيمة كان من بينها كتاب (فى بلاد الرافدين)

الذي استقصت به (مدام دراور) عادات وتقاليد وطقوس ومعتقدات واتجاهات كثير من الملل والنحل في العراق ، وكتاب (بغداد مدينة السلام) الذي استعان بفقيد اللغة العربية والتراث العراقي الدكتور مصطفى جواد في استكمال ما يجعله من امهات الكتب في التعريف بالعراق واهم خفايا تاريخه ، وكتاب (بلاد مابين النهرين بين ولاءين) تأليف (ولسن) ، وهو الكتاب الذي صدر منه حتى الان جزءان كشفا الكثير عن اسرار الاحتلال البريطاني للعراق • والاتجاهات والنوايا الاستعمارية وخفايا بعض ثعالب السياسة ، وكتاب (رحلة متنكر الى بلاد ما بين النهرين وكردستان) تأليف (ميجرسون) احد كبار رجال الاستشراق الضليعين بالاداب العربية والفارسية والتركية • بالاضافة الى عشرات الكتب •

ولئن اخذ على المرحوم فؤاد جميل تفاصحه وتقعره وتوخيه استعمال اوابد اللغة العربية وشواردها فيما يترجم من اللغة الانكليزية فهو بذلك يتبع طريقة المترجمين الرواد في الادب الحديث من امثال المرحوم (محمد عادل زعيتر) الذي اغنى المكتبة العربية بروائع التراث الغربي ، وكالمرحوم (محمد السباعي) الذي عرف الجيل السابق من القراء العرب بكثير من الاثار الادبية الخالدة •

بيد ان ما يخفف من وقع هذه المؤاخذة ، انها وليدة الاطلاع الواسع على اللغة العربية ، والحرص التام على الالتزام بافصح مفرداتها واستعمالاتها ، بل ان ما يجب ان يذكر تجاه هذه المؤاخذة ، ان سعة اطلاع المرحوم فؤاد جميل على كثير من القضايا العربية جعلته يتصدى لكثير مما كتبه الكتاب الذين ترجم عنهم بالنقد والتعقيب والتصحيح ، وهو في كل ذلك حريص على اظهار وجه الشعب العراقي المكافح ضد الاستعمار وضد كل اعوانه وادواته ومشاريعه ومخططاته ••

على ان للفقيد فؤاد جميل بوصفه من رواد الفولكلور العراقي عشرات بل مئات المقالات عن عادات وتقاليد ومأثورات وقصص بدو

العراق وحضره ، وهي مقالات تكاد تكون الاولى بين ما كتب عـن هذا الجانب من تاريخ العراق • ولقد جمع اشتاتها واوابدها والعديد من صورها ونصوصها من سفرات واتصالات وتقصيات لايقوى عليها الا القلة القليلة من ذوي القوة •

وليس من الكثير على وزارة الاعلام الذي اضطلعت في عهـدنا الثوري الراهن بنشر واحياء التراث العراقي على نطاق لم يشهده القطر العراقي في جميع عهوده ان تمد يدها الى هذه المجموعة من المقالات التي اعدها الفقيد للنشر لتقوم هي بهذه المهمة فتسد بذلك ثلمة في البناء الشامخ الذي بناه فقيدنا الكريم ، وتضيف الى التراث الشعبي العراقي مادة لا احسب ان الزمن سيهيئ من يتفرغون للاحاطة بها على النحو الذي احاط بهـا •

وان من الحق على اصدقاء وطلاب الاستاذ الفقيد ، في العـديد من الثانويات والكليات والجامعات ومـن تعاونوا معـه في تأسيس الاذاعة العراقية ، وفي هوايات جمع النقود النادرة المعتمد عليها فـي التعريف بتاريخنا العربي الاسلامي ، وفي غوايات غرس نوادر الاوراد والزهور وفي مجالات عديدة من مجالات الخدمة الثقافية ان يوفـوا الفقيد الكريم بما هو حقيق به من التقدير والتكريم •

(*) نشر في جريدة الجمهورية بعددها الصادر في ١٩٧١/١٠/٢٢

فهرست

ملاحيق الكتاب

تصويبات واستدراكات

السطر	الصحيفة	الخطأ	صوابه
٥	٧	KEUI	KOI
٦	٧		KEUI
١٧	٧	1912	IN DISGUISE
١	١٦	المبتدون	المتبدون
١٢	١٨	وبنقلب	وينقلب
٢٤	٢٠	تسورها	بتسورها
٨	٢١	خط	حظ
٢٢	٢١	بقال	يقال
١١	٢٣	فبه	فيه
١	٢٥	الولاياة	الولاية
٣	٢٧	نارا	مارا
١٤	٣١	نبني	لبني
١٤	٣٢	الهندبة	الهندية
١٦	٣٧	ويست	وليست
٢	٥٨	وتشيع	وتشيّع
٢٢	٦١	خط	حظ
٣	٦٤	بنكح	ينكح
٢٨	٧١	استأذنت	استأذنت
١٥	٧٦	الحديث	الذي
٣	٨٤	علبه	عليه
٢٢	٨٤	على	(تشطب)
٢	١٠٦	اكنرية	اكثرية
١٦	١١٠	(غير واضحة)	ESQUIRE
١	١١٨	واحد	واتخذ

تصويبات واستدراكات

السطر	الصحيفة	الخطأ	صوابه
٣	١١٩	بكلكها	بكلكلها
١١	١١٩	يس	ليس
١	١٣٣	غزويا	عرويا
٣	١٣٣	وتبفى	وتبقى
٨	١٤١	سمعة	سعة
١٥	١٤٥	سيفومون	سيقومون
١٦	١٤٥	بادحالها	بادخالها
١	١٥١	(غير واضحة)	سنة ١٩٢٠[١٥]
٢٧	١٥٤	مديدة	عديدة
٨	١٥٧	جدد	جَدَد
١	١٦١	يمدم	يقدم
١	١٦١	ومد	وقد
٨	١٦٥	معناد	معتاد
١	١٦٨	الشيوخ	الشيخ
٦	١٧٥	للطيف	لطيف
٣	١٧٨	تفخلوا	تفخلوا
٢٧	١٨٠	( )	ZAMBE
١٢	١٩٢	وفصفت	وقصفت
١٤	٢٠٩	قذيفة	قديفة
٤	٢١٠	لفاء	لقاء
١٦	٢٢٦	تنحيت	تنحيتك
٧	٢٢٧	اتبعث	ابتعث
٤	٢٤١	صباح التالي	صباح اليوم التالي

تصويبات واستدراكات

السطر	الصحيفة	الخطأ	صوابه
٣	٢٤٣	بأساس	بأحساس
١٦	٢٤٥	شلال بيخال	شلال گلي علي بك
١٠	٢٤٦	مصطبخا	مصطخبا

على الرغم مما بذلناه من عناية مستأنية في مراجعة اخطاء طبع (تجارب الطبع) ــ وياللاسف ــ لا معدى عن (مسرد) لهـا ولتصويباتها ، وقد تكون في الكتاب غيرها ، غير خافية عن القاريء الكريم فمعذرة .

آثار (مترجم الكتاب) المطبوعة

١ ـ (مقالات واحاديث جـ١) ط سنة ١٩٥٨ .. .. نافد

٢ ـ (أصول ادارة الشرطة) ـ بالاشتراك مع المرحوم اسماعيل الراشد (طبعة اولى) سنة ١٩٥٧ .. .. نافد

٣ ـ (أصول ادارة الشرطة) ـ (طبعة ثانية) سنة ١٩٥٨ .. .. نافد

٤ ـ (حضارة العالم الجديد)ـ فصول تاريخية شارك في اعدادها ٦٠ استاذا جامعيا وعلما من الكتاب ط سنة ١٩٥٨ .. .. نافد

٥ ـ (في بلاد الرافدين) صوروخواطر ط سنة١٩٦١ .. .. نافد

٦ ـ (فن الدراسة) ط في بيروت سنة ١٩٦١ .. .. نافد

٧ ـ (بغداد .. مدينة السلام جـ١) بالاشتراك مع المرحوم د. مصطفى جواد ط سنة ١٩٦٢ .. .. نافد

٨ ـ (ثورة العراق سنة ١٩٢٠) ط سنة ١٩٦٥ .. .. نافد

٩ ـ (رحلات الى العراق جـ١) ط سنة ١٩٦٥ .. .. نافد

١٠ـ (بغداد .. مدينة السلام جـ٢)بالاشتراك مع المرحوم د. مصطفى جواد ط سنة ١٩٦٧ .. .. نافد

١١ـ (رحلات الى العراق جـ٢) ط سنة ١٩٦٨ النسخ محدودة

١٢ـ (بلاد ما بين النهرين بين ولاءين جـ١)ط سنة ١٩٦٩ .. نافد

١٣ـ (رحلة متنكر الى بلاد ما بين النهرين وكردستان جـ١) ط سنة ١٩٧٠ .. نافد

١٤ـ (بلادما بين النهرين بين ولاوين جـ٢)ط سنة١٩٧١ النسخ محدودة

١٥ـ (رحلة متنكر الى بلاد مابين النهريـــن .. .. نافذ
وكردستان جـ٢) ط سنة ١٩٧٢

١٦ـ (سنتان في كردستان) الجزء الاول ط سنة ١٩٧٣
الذى تحمله بيمينك ايها القارىء الكريم

١٧ـ (سنتان في كردستان) الجزء الثاني سيصدر قريبا

ملحوظـة :

سنسعى الى اعداد كتاب (بلاد ما بين النهرين بين ولاءين جـ٣ وجـ٤) للطبع وكتب مترجمة ومؤلفة اخرى بـاذن الله .

ترقبوا قريبا جدا

صدور

الجزء الثاني من هذا الكتاب

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٩٣٥ لسنة ١٩٧٢



حفزني (بيان الحادي عشر من آذار) الذي حقق تلاحم شمال الوطن الحبيب مع (أمه) ، وهو تلاحم سيبقى على الدهر ، على استحاثة المصادر الأمهات الأثبات التي تجلو كفاح المواطنين الكرام الأعزة الأكراد بوجه الاستعباد وفي سبيل الحرية ، ولقد وجدت في هذا الكتاب ما يؤمن هذه الغاية ٠

فؤاد جميل

٢٦/٨/١٩٧٠

رسم الغلاف بريشة الفنان غازي

٧٠٠ فلساً

طبع الغلاف في مطبعة الزهراء - بغداد